

## رسالة الولاية

– في بيان معنى الولاية بحسب الحقيقة –



# رسالة الولاية

– في بيان معنى الولاية بحسب الحقيقة –

الشيخ حسن بدران

© حقوق الطبع محفوظة

دار المعارف الحكيمة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-018-0

[١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.]



دار المعارف الحكيمة

Dar Al maaref Alhikmah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تريز - سنتر يحفويي - بلوك C - ط3

تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - Email: almaaref@shurouk.org

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ









يعود بحث الولاية في دلالته العرفانية إلى مرحلة متأخرة نسبياً عن عصر النصوص الإسلامية الأولى، وإن كنا نقع على أساسيات لنواة هذا المصطلح متضمنة في تلك النصوص نفسها، إلا أنه يمكن تلمس الخطوات الأولى على صعيد تشكيل المصطلح، مع نصوص أمثال الفضيل بن عياض (ت ١٨٧)، ومعروف الكرخي (ت ٢٠٠)، والجنيد (ت ٢٩٧) والمحاسبي (ت ٢٤٣)، وذي النون المصري (ت ٢٤٥)، والبسطامي (ت ٢٦١).

وشياً فشيئاً تكتسب لفظة الولاية فرادتها وخصوصيتها التي تحيل إلى غاية كمال أهل الحقيقة، ومنتهى وصالهم، وتخزن في ذاتها شحنة هائلة من الحمولة الدلالية في الحقل الصوفي، والتي انطوت عليها مفردات فرعية تم تداولها بكثرة لدى قدماء الصوفية، كمفاهيم القرب والتوحيد والاتصال والشهود والطمأنينة وغيرها، لتستقر بعد ذلك على ما يعطيه الفناء والبقاء.

وعلى الرغم من أن الباحثين الأوائل في الحقل الصوفي لم يفرّدوا مصطلح الولاية مبحثاً خاصاً، وإنما تحدّثوا عن مفاهيم متفرّعة عنه، إلا أنه لم تتأكد الولاية - في العرف الصوفي - إلا مع حكيم ترمذ (ت ٣١٨) حيث جعلها محور فلسفته الصوفية، وطبع بها أسماء كتبه أمثال: **علم الأولياء**، **ختم الأولياء**، **سيرة الأولياء**.

وهذا الاهتمام من الترمذي بالولاية أدى به في النهاية إلى أن تصوّفه بكامله ليس سوى: نظرية متكاملة في الولاية<sup>(١)</sup>. وقد أفرد ابن عربي المجلد الثاني من كتاب **الفتوحات المكية** للبحث في الولاية، متتبّعاً في ذلك خطى الترمذي. كما بحثها في كتابه **فصوص الحكم** حيث تناولها تلاميذه بالشرح والبسط سيّما القيصري (ت ٧٥١) في شرحه المشهور الذي أفرد لها فصلاً في مقدمة الشرح، مضافاً إلى التوسّع عنها في الشرح نفسه. وقد لاقت بحوث الولاية اهتماماً متزايداً من قبل العلماء المحققين من أمثال الميرزا محمد رضا قمشئي (ره) والإمام الخميني (ره) حيث أضافوا التعليقات القيمة والتشذيبات الهامة التي أدت إلى تبلور مبحث الولاية بالنحو الذي نراه في هذه الرسالة وأمثالها.

والولي من أسماء الله عز وجل، وهو وليّ المتقين: ﴿والله وليّ المتقين﴾<sup>(٢)</sup> وهم أولياؤه: ﴿الآن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾<sup>(٣)</sup> كما أنّ بعضهم أولياء بعض: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾<sup>(٤)</sup>.

والبحث في الولاية هو بحث في وشائج القربى التي تتسرّ علاقة الإنسان بمنبع وجوده، وهو بحث عن الحقائق الأكثر لصوقاً بالحالة الإنسانية فيه، تلك الحالة التي تميّزه عن سائر موجودات هذه العالم وتبرز جوهره الأصلي.

(١) للمزيد انظر: نيكلسون، **الصوفي في الإسلام**، ترجمة شريفة، الصفحة ١٢٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية ١٩.

(٣) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧١.

وتعود أهمية مبحث الولاية إلى كونه يمثل التفسير الأقرب إلى التصور القرآني عن فلسفة وجود الإنسان والذي تتشعب منه جعبة مفاهيمية كاملة تهدف إلى ترسيم الغايات الوجودية للإنسان على قاعدة استخلافه على الأسماء والصفات ويوصفه المظهر التام والواسطة في الفيض والإمداد.

هذه الرؤية من شأنها لو تكشفت أن تلقي الضوء على الصلة الجوهرية التي تحكم العلاقة بين الحق والخلق، وتنحّي عن طريقها المحاذير التقليدية على مستوى التشبيه والتنزيه، وترسم خطوط العلاقة على أساس الفاعلية الكامنة في وجود الإنسان والتي تتيح له مجاورة عالم القرب الإلهي من خلال جدلية تتناغم فيها ظهورات الأسماء والصفات مع مظاهرها الكونية، ويتمثل الإنسان على أساسها بوصفه التجلي التام للفاعلية الإلهية. وبهذا الاعتبار، تشكل الولاية محوراً ضرورياً ومدخلاً أساسياً في فهم مباحث العرفان النظري.

من هنا، تأتي أهمية مقارنة هذا المجال الحيوي وتناوله بالبحث بالطرق الحديثة على الرغم من الوعي بالمخاطر التي تتخلل الخوض في مثل هذا الشأن، إلا أن ما يهون الخطب أن حجم التدخل لم يتجاوز الضرورات الفنية التي تقتضيها عملية التعليم من قبيل الوقوف على التعريفات المستفادة من كتب القوم، والتوسع في الاستشهاد بالنصوص والأمثلة وكل ما من شأنه أن يصبّ في خدمة الفكرة التي ينقلها النص، على أن هذه الإضافات تمّ استفادتها من ذات السياق الفكري للنص كما ظهر في مدونات العرفان النظري قديماً وحديثاً. كما قمنا بتوزيع المباحث وترتيب المطالب بالنحو الذي يجعله أكثر انسيابية في عرض المفاهيم، وأقرب للفهم من حيث تسلسل الأفكار، مع التوسع في العرض حين تقتضي الحاجة.

هذا، وقد عمدنا إلى توزيع مباحث هذه الرسالة على فصلين، يتعرّض الأول منهما إلى الولاية الاكتسابية، وهي الولاية العامة التي جعلها الله تعالى لخصوص المؤمنين، فاستغرق هذا الفصل في مباحث تتعلق بماهية الولاية، ومبدأ هذه الولاية المتمثل بالولاية الإلهية وخصائصها، وأقسام الولاية ومراتبها، والولاية الخاصة التي هي أعلى درجات الولاية، ومقاربة مفهوم الولي والأولياء والفاء والبقاء، ولوازم الولاية المتعلقة بالولاية التكوينية، وكيفية السلوك ومراتبه، وعلاقة الولاية الخاصة بالنبوة التعريفية، وحقيقة الحجاب.

فيما تعرّض الفصل الثاني لمبحث الولاية الاختصاصية التي جعلها الله تعالى برحمته للأنبياء والأوصياء والأنمة (عليهم السلام). واستغرق البحث مطالب النبوة والولاية المطلقين والمقيدين، والعلاقة بين الرسول والنبوي والولي، وختم الولاية المحمدية، والحقيقة المحمدية وخصائصها وعلاقتها بالولاية الإلهية، وما يرتبط بهذه المطالب من لوازم تتعلق بوحدة الولاية المحمدية والحقائق النورية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصعوبات التي يمكن أن تواجه الكاتب في مبحث الولاية تنجم عادةً من تعقيدات الدلالة التي يتناولها المصطلح العرفاني وفق تنوع سياقات استخدامه وتطور مفهومه وتشعبه بالثراء الدلالي الحاصل في مقام التداول والاستعمال. مضافاً إلى الحقل الكلاسيكي الذي

ينتمي إليه النصّ، وما يفرضه من تعقّب الدلالة وفق سياقها الخاصّ بها ومقاربة الأفق الثقليّ الذي أنتجها والذي ما زال يرزح تحت عبء اللغة التراثيّة ويفتقر إلى الدراسات والأبحاث الجادّة، والتي من شأنها أن تسيّل هذه المادّة العلميّة المهمّة بالطرق والمناهج المعاصرة.

حسن بدران



# رسالة في الإنسان الكامل والولاية التكوينية

أحمد بن محمد حسن الأشتياني



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، حجج الله على الخلق أجمعين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين. وبعد؛ فيقول العبد الفقير إلى رحمة الله الغني، أحمد بن محمد حسن الأشتياني:

هذه وجيزة رسمتها في الولاية، مأخوذة جملةً من كلمات المنتسبين إلى العرفان، ومؤلفة مما ساقوه في هذا المقام على حسب قول بعض الإخوان، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

### الولاية لغة

الولاية - كما ذكرها أهل اللغة - إذا استعملت بكسر الواو فهي الإمارة والتولية والسلطان، وإذا استعملت بالفتح فهي المحبة. ويقال أيضاً: إنها مأخوذة من الولي بمعنى القرب.

### الولاية اصطلاحاً

وبحسب الاصطلاح، الولاية: حقيقة كلية، وصفة إلهية، شأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور ﴿وهو الولي الحميد﴾ (الشورى/ ٢٨)، ويظهر حكمها من جميع الأشياء من الواجب والممكن، فهي رفيق الوجود يدور معه حيثما دار.

### الولاية الإلهية

كما أنّ الوجود بحسب الظهور له درجات متشعبة ومراتب متفاوتة بالكمال والنقص والشدة والضعف، ويحمل عليها بالتشكيك، فكذا الولاية فإنها بعدما كانت بمعنى القرب، فلها درجات متفاوتة ومراتب مختلفة بالكمال والنقص والشدة والضعف، ويقال عليها بالتشكيك، حتى تنتهي إلى قربه تعالى بالأشياء، ولا أقرب منه بها: «مع كل شيء [أي بالمعية القيومية] لا بمقارنة»<sup>(١)</sup>.

لما كان القرب أمراً إضافياً معنوياً، والنسبة دائماً بين شيئين، فالحق المتعال جل شأنه قريب من الأشياء، والأشياء قريبة منه تعالى، ولكن قربه تعالى من الأشياء إضافة إشراقية محصلة للمضاف إليه، نظير إشراق الشمس الموجب لوجود النور في مقابلها، لا إضافة مقولية متوقفة على وجود الطرفين.

ثم إنه ليس مجرد هذا القرب مناط صحة إطلاق الولاية، فإنها قرب الخلائقية له تعالى والمخلوقية للأشياء، وليس بين الخالق والمخلوق شيء، «ولو ذهب في هذا بحسب فكرك لتبلغ غاياته

(١) خطب الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، (قم: دار الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٢)، الجزء ١، الصفحة ١٦. واشتهر عنه، عليه السلام، قوله: «داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بمزايلة - لا بمباينة».

ما دلتك الدلالة على أنّ خالق النملة هو فاطر النحلة»<sup>(٢)</sup>، «استوى مع كل شيء»<sup>(٣)</sup>.

توهم کرده أي از قرب حق	که طبقتور دور نبود از طبق
این ندانستی که قرب اولیاء	صد کرامت دارد و کار وکیا
آهن از داود مومی شود	موم در دست جو آهن می بود
شاخ خشک وتر قریب آفتاب	آفتاب از هر دوکی دارد حجاب
لیک کو آن قربت شاخ طری	که ثمار یخته از وی می بری
قرب بز نوع باشد ای یسر	می زند حورشید بر کهساروزر
لیک قربی هست بازر شیدرا	که از آن آکه نباشد بیدرا <sup>(٤)</sup>

### الولاية الكسبية

كما أنّ الوجود إذا تنزّل يبلغ في النزول إلى مرتبة تنتفي أوصافه، وتختفي آثاره وأحكامه، حتى يسلب اسمه، ويزول عنه رسمه، بحيث يكون إطلاقه على المتصرّات كالأصوات والحركات، والقوّة المحضة الهيولانية بضرب من المسامحة والعناية، فكذاك الولاية إذا نزلت وانتهت في النزول، يزول حكمها ويسلب عنها اسمها، فلا يقال للغواسق والظلمات كالأحجار والأمدار والفسقة والفجار أولياء الله؛ ذلك لانقهار نور الوجود وأوصافه وغلبة ظلمة العدم وأحكامه. فإذا خرج الوجود عن ذلك المسكن وتوّر بنور الإيمان، ويظهر أحكامه ويغلب أوصافه، ويصير مظهرًا لصفات الجمال واللطيف، ويتّصف بالولاية على تفاوت الدرجات واختلاف المراتب.

### الولاية المطلقة والمقيّدة

تنقسم الولاية إلى المطلقة والمقيّدة؛ لأنها من حيث هي صفة إلهية مطلقة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيّدة، والمقيّدة متقوّمة بالمطلق، والمطلق ظاهر بالمقيّد، فولاية الأنبياء والأولياء

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١١٧. قال عليه السلام: «ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النحلة (النحلة)، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حيّ (شيء)»

(٣) مولی محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ١، ٢٠٠٠ م)، الصفحة ٨٦ - ٨٧. عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سئل عن قول الله عزّ وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. فقال: استوى على كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء. أيضًا: أنّ أبا عبد الله سئل عن قول الله عزّ وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. فقال: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء.

(٤) هذه الآيات وردت في دفتر الثالث من المثبوت، طبعة خاور، وحتى لا تنقده هذه الآيات قيمتها الشعرية، نورد معناها نثرًا: "أيها المتفكر في سرّ السلوك، تفكّر قليلاً في حقيقة الدرب. واعلم أنّ الله حقّ يتجلّى نوره في كلّ الوجود. واعرف بعقل العارف أنّ صانع الأطباق قريب منها، فالسرّ يجول في كلّ الحدود. انظر ملياً إلى الأولياء لتدرك أنّ قريهم لم يكن من هباء. فهم صلوا وصاموا وقدموا أجسادهم هبات، ونسوا الدنيا وما فيها. وارتضوا قضاء الله وقدره دون لوم. أيها المتفكر في سرّ الوجود، كن على يقين واعرف أنّ الله يعطي الفضل لمن يريد. فالحديد في يد موسى ليّن واللين في يدك أنت حديد، فالقرب ليس بمحمّد يعطي، إنّما فعل العطاء من ربّ كريم. فالشمس تشرق على الناس جميعاً، ولكن القرب يناله الأقربون. فالنور يفيض على الناس جميعاً ولكنّ المدركون للحقيقة عددهم يسير". شفيق جرادي، رشحات ولائية (بيروت: معهد المعارف الحكمية، ٢٠٠٦ م)، الصفحة ٢٠.



كلهم جزئيات الولاية المطلقة، كما أن نبوة الأنبياء جزئيات النبوة المطلقة.

## الولاية عامة وخاصة

وتنقسم الولاية أيضاً إلى العامة والخاصة :

والأولى: هي التي تعم جميع المؤمنين بأصنافهم ، وتشمل كل من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً بمراتبهم كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧) ، فإن الإيمان له مراتب ودرجات :

منها: اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع من دون برهان كاعتقاد المقلد المصيب، فإنه ليس مستنداً مأخوذاً من البرهان، إنما استناده إلى مخبر صادق وقد حصل له القطع بصدقه.

ومنها: أنه يتصور الأمر على ما هو عليه، ولكنه كان مستنداً إلى البرهان المفيد للقطع، وهذا أرفع وأقوى، كإيمان أصحاب الفكر وأهل النظر. وكلاهما مرتبة اليقين.

ومنها: العلم الشهودي الإشراقي المطابق للواقع المعبر عنه بالكشف الصحيح. وهذا أقوى من المرتبتين السابقتين، كإيمان أهل السلوك وأصحاب الكشوف، ويكون مرتبة عين اليقين.

وكل هؤلاء أولياؤه تعالى، والله تعالى وليهم، وتتفاوت درجاتهم على حسب درجات إيمانهم. والثانية: وهي الخاصة، تختص بالسالكين عند فنائهم في الخلق، وبقائهم به علماً وشهوداً وحالاً، لا علماً فقط. والخاصة عبارة عن فناء العبد في الحق ذاتاً وصفةً - والمعبر عنه بالمحق والطمس والمحو إشارة إلى توحيد الذات والصفات والأفعال - بل أثراً أيضاً:

من همان دم كه وضوساختم از جشمه عشق  
ولسانها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر/ ١٥) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر/ ٤١) .

## الولي والفناء

الولي هو الفاني فيه تعالى الباقي به. وليس المراد بالفناء انعدام عين العبد مطلقاً، بل المراد منه فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية، فإن العبد مبدأ لأفعاله وصفاته قبل الاتصاف بمقام الولاية من حيث البشرية، وبعد اتصافه بها هو مبدؤها من حيث الجهة الربانية، كما نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): «قلعت باب خيبر بقوة ربانية»<sup>(٦)</sup>، وورد في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه

(٥) أنا عندما توضأت من يمين الغسق ناديت أربعة تكبيرات على كل شيء.

(٦) الشيخ الصدوق، الأمالي (قم: تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، الطبعة ١، ١٤١٧ هـ)، الصفحة ٦٠٤. قال: «روي أن أمير المؤمنين، عليه السلام، قال في رسالته إلى سهل بن حنيف (رحمه الله): والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضية [...]».

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»<sup>(٧)</sup>.

وذلك الاتّصاف لا يحصل إلا بالتوجّه التام إلى حضرة الحق المطلق المتعالى سبحانه، إذ به تقوى حقيقته [حقيته] فتغلب الجهة خلقيته إلى أن تقهرها وتغنيها من أصلها، كالمقطعة من الحديد المجاورة للنار؛ فإنها بسبب المجاورة والاستعداد بقبول صفات النارية والقابلية المختفية فيها تتسخن قليلاً قليلاً إلى أن يحصل منها ما يحصل من النار من الإحراق والإضاءة وغيرها، وقبل ذلك كانت مظلمة كدرة باردة، فما ظنك بالروح الإنسانية والنفس الناطقة القدسية القابلة للخلافة الإلهية والوجود الحقاني بالتصفية والتسوية؟ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص/٧٢). وكيف لا وقد وقع في الآثار الماثورة، أن للمقربين إلى الملوك الظاهرية علامات وشواهد يعرفون بها، ويتميزون بها عن غيرهم، ولهم جلالة وسلطان عند العساكر والجنود والرعية، وكل هذا من ناحية التقرب الذي لهم إلى هؤلاء السلاطين، فكيف لا يكون للمقربين إلى الحق المتعال آثار السلطنة الحقيقية الحقّة الإلهية، وقد ورد: «عبدني حتى أجعلك مثلي أقول لكل شيء كن فيكون»<sup>(٨)</sup>.

ثم ذلك التوجه لا يمكن إلا بالمحبة الذاتية الكامنة في العبد وظهورها لا يكون إلا بالاجتناب عما يضادها ويناقضها، وهو التقوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة/٤)، ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات/١٣)، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران/٣١)، فالمحبة هي المركب واليزاد التقوى.

درون خانه دل ناديت نور  
طهارت كردن از وي هم چهار است  
دوم از معصيت وزشرك ووسواس  
كه اينجا منتهى مي كرددت سير  
برون انداز از خود جمله رباك  
زخود بيكانه كشتن آشنائي است  
مهيا كن مقام وجاي محبوب  
شود بي شك سزاوار مناجات  
نمازت كي شود هرگز نمازي  
نمازات كردد آن دم قرّة العين  
به لاي نفي كرد او خانه جاروب  
وبى يسمع وبى يبصر نشان يات<sup>(٩)</sup>

موانع تا نكردانتى زخود  
موانع جون در اين عالم چهار است  
نخستين باكى از احداث وانجاس  
سوم باكى سراغست از غير  
وجود لاتوهمه خار است وخاشك  
وصال حق زخلقيت جدائي است  
برو توخانه دل را فروم روب  
هرآنكو كرد حاصل اين طهارات  
توتا خود رالابكلى در نيازي  
جو ذانت باك كردد از همه شين  
كسى كو از نوافل كشت محبوب  
درون جان محمود او مكان يافت

(٧) الشيخ الكليني، أصول الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري (دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٤، ١٣٦٥ هـ)، الجزء ٢، الصفحة ٣٥٢.

(٨) الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، تحقيق السيد علي عاشور (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩ م)، الصفحة ١٠٠. قال:

«عبدني أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حياً لا تموت، أنا غني لا أفقر أجعلك غنياً لا تفقر، أنا مهما أשא يكن أجعلك مهما تشأ يكن».

(٩) معنى الأبيات: «وصال الإله ليس عسيراً. لكن عليك أن ترمي عنك درن الحياة. وتعود نظيف السريرة: لذلك أدرك أنّ النور لن يدخل قلبك حتى

## الولي والبقاء

الفناء المذكور موجب لأن يتعين العبد بتعيينات إلهية وصفات ربانية مرةً أخرى، وهو البقاء بالحق. وهذا المقام أتم من دائرة النبوة، ولذلك انختمت النبوة، والولاية دائمة، وجعل الولي اسماً من أسماء الله تعالى دون النبي.

فالرسالة والنبوة التشريعيّتان لما كانتا من الصفات الكونية الزمانية، فتتقطعان بانقطاع زمان النبوة والرسالة. والولاية صفة إلهية لا تتقطع أبداً. ولا يمكن الوصول لأحد في الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية التي هي باطن النبوة.

نعم، النبوة التعريفية، وهي الإنباء عن المعارف الإلهية، ثابتة للأولياء وباقية ببقاء الولاية، إن لم تتقطع الدنيا باقية، وعند انقطاعها ينقل الأمر إلى الآخرة.

ولما كانت الولاية أكبر حیطة من النبوة وباطناً لها، شملت الأنبياء والأولياء، فالأنبياء أولياء فانون في الحق باقون به، منبئون عن الغيب وأسراره؛ لأن الولي هو الذي فني في الحق تعالى وعند هذا الفناء يطلع على الحقائق والمعارف فينبئ عنها. وهذا المقام كتمام النبوة اختصاص إلهي غير كسبي.

## السالك والواصل

فأول الولاية انتهاء السفر الأول الذي هو السفر من الخلق إلى الحق بإزالة التعشّق عن المظاهر والأغيار، والخلوص من القيود والأستار، والعبور من المنازل والمقامات، والحصول على المراتب والدرجات. وبمجرد حصول اليقين للشخص لا يلحق بأهل هذا المقام، ولا بحصول الكشف الشهودي أيضاً، إلا أن يكون موجِباً لفناء الشاهد في المشهود، ومحو العابد في المعبود.

فلا يتوهم العارف غير الواصل، والمشاهد بقوة استعداده للغيوب، والمتصف بالصفات الحميدة والأخلاق المرضية، غير السالك طريق الحق بالفناء عن الأفعال والصفات والذات المتحقق بقرب المقام والنوافل والفرائض، أنه ولي واصل؛ لأن وصوله علمي أو شهودي، وهو غير واصل في الحقيقة؛ لكونه حجاب العلم والشهود، وقد قيل: «العلم الحجاب الأكبر». وقال صاحب **الإشارات في مقام العارفين**: «من آثر العرفان فقد قال بالثاني»<sup>(١٠)</sup>. إنما يتجلى الحق لمن انمحي رسمه، وزال عنه اسمه.

تهذّب الحجاب، وتهذّب نفسك؛ لذلك اعلم أنّ الكون أزداد متتابعة نجاسة فطهر، شرك وإيمان. وإذا أدركت أنّ النجاسات أربعة، فاعلم أنّ الخير يساويها بالعدد، الأولى: الطهارة من الأحداث والأنجاس. والثانية: خروج من المعصية والشرك والوسوسة. والثالثة: التخلّص من الأخلاق الذميمة التي تجعل من الإنسان كالبيهمة. والرابعة: طهارة السرّ عن الغير وفيها تصبح مولوداً جديداً. وصال الإله ليس عسيراً ولكن عليك أن تصبح غريباً عن نفسك، فوجودك كلّ أوساخ وأدران، لذلك عليك أن تحضر منزل الروح. وتجعل منها مكاناً ومقاماً للمحبوب. فمن حصل كلّ الطهارات أصبحت نفسه مكاناً لائقاً للمناجاة.

(١٠) ابن سينا، **الإشارات والتنبيهات**، شرح نصير الدين الطوسي (قم: النشر البلاغة، الطبعة ١). الجزء ٣، الصفحة ٣٩٠. قال: «من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني».

## حقيقة الأولياء

فالأولياء هم الذين تطهروا من الصفات النفسية، وتزهوا عن الخيالات الوهمية، وتخلصوا عن القيود الجزئية، وأدوا أمانة وجودات الأفعال والصفات والذات إلى من هو مالئها بالذات، فعند فنائهم عن أنفسهم وبقائهم بالحق، يتصفون بالولاية وتحصل لهم ما هو غاية آمال العارفين:

در بيا با جون دور وديوار نيست      لا جرم دروي بجز انوار نيست  
خانه درويش جون باشد خراب      بر بود از نور ماه و آفتاب<sup>(١١)</sup>

وفي المجلد السابع عشر من **بحار الأنوار** عن أنس بن مالك قال: «قالوا: يا رسول الله، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال (ص): الذين إذا نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتموا بأجلها حيث اهتم الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن يتركوه، فما عرض لهم عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فما يجدونها وخربت بينهم فما يعمرونها، وحلت في صدورهم فما يحبونها، بل يهدمونها فينون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فما يرون أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون»<sup>(١٢)</sup>.

## النبوة المطلقة

قال بعض الأعلام: لكل من النبوة والولاية اعتباران، اعتبار الإطلاق واعتبار التقييد، أي العام والخاص.

والنبوة المطلقة هي النبوة الحقيقية الحاصلة في الأزل الباقية في الأبد، ولسانها: «كنت نبياً و آدم بين الماء والطين»<sup>(١٣)</sup>، «وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة»<sup>(١٤)</sup>. وهي اطلاع النبي المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها وماهياتها، وإعطاء كل ذي حق حقه الذي يطلبه لسان استعداده من حيث الإنشاء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي. وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، والآدم الحقيقي، المعبر عنه بالقلم الأعلى، والعقل الأول، والروح الأعظم.

## الولاية المطلقة

وباطن هذه النبوة الولاية المطلقة، وهي عبارة عن حصول مجموع الكمالات بحسب الباطن في الأزل

(١١) معنى الأبيات: «كما النور يكون باهراً في الصحراء الفاحلة لأنها ارتضت إرادة إله لها، هكذا يجب أن يكون منزل الدرويش خراباً حتى تدخل إليه أشعة القمر والشمس».

(١٢) العلامة المجلسي، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسسة الوفاء، الطبعة ٢ المصححة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، الجزء ٧٤، الصفحة ١٨١.

(١٣) ابن أبي جمهور، **عوالي اللئالي**، تحقيق مجتبي العراقي (قم: مطبعة سيد الشهداء، الطبعة ١، ١٩٨٥م)، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٤) **أصول الكافي**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

وبقائها إلى الأبد ، ويرجع إلى فناء العبد في الحق وبقائه به ، وإليه الإشارة بقوله (ع) : «أنا وعلي من نور واحد»<sup>(١٥)</sup>.

## النبوة والولاية المقيّدتان

والنبوة المقيدة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية، أي معرفة ذات الحق وصفاته وأحكامه، فإن ضم معه تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق وتعليم الحكمة والقيام بالسياسة، فهي النبوة التشريعية، وتختص بالرسالة، وقس عليها بالولاية المقيدة.

فكل من النبوة والولاية من حيث كونها صفة إلهية مطلقة ومن حيث استناده إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد متقوم بالطلق، والمطلق ظاهر في المقيد، فنبوّة الأنبياء كلهم جزئيات النبوة المطلقة وولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة.

## ختم الولاية

قال بعض المتأخرين: إن الولاية لما كانت صفة إلهية، فهي غير منقطعة أزلاً وأبداً، ولا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية، التي هي باطن النبوة، وهذه المرتبة من حيث جامعية الاسم الأعظم للأنبياء، ومن حيث ظهورها في الشهادة لخاتم الأولياء، فصاحبها واسطة بين الحق وجميع الأنبياء والأولياء، ومن أمعن النظر في جواز كون الملك واسطة بين الحق والأنبياء، لا يصعب عليه قبول كون خاتم الولاية - الذي مظهره الاسم الجامع أعلى مرتبة من الملائكة - واسطة بينهم وبين الحق.

ثم المراد بخاتم الأولياء ليس من لا يكون بعده ولي في الزمان ، بل المراد به من يكون أعلى مراتب الولاية أقصى درجات القرب مقاماً له، بحيث لا يكون من هو أقرب منه إلى الله تعالى، ولا يكون فوق مرتبته في الولاية والقرب مرتبة.

## الولاية المحمدية

وهذه الولاية هي الولاية الخاصة التي تختص بأهل الله الفانين في ذات الله الباقيين ببقائه صاحب قرب الفرائض، وهي قد تكون حالاً. والأولى تختص بمحمد (ص)، ومحمد نقلها إلى أوصيائه وورثته بالتابعية له، وأما الأنبياء السابقون وأوصياؤهم إن حصلت لهم، حصلت على أن يكون حالاً لهم، لا أن يكون مقاماً. يدل على ذلك رؤية كبرائهم في الأفلاك ليلة الإسراء، كل منهم في فلك، إما بمرتبة النفسانية أو العقلانية، والنفس والعقل وعقولها القدسية، أولياؤه تعالى بالولاية العامة، لا الخاصة، لأن وجوداتهم ليست وجودات حقانية، فإن الوجود الحقاني وجود جمعي إلهي، وهؤلاء

(١٥) علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح طيب الجزائري (قم: مؤسسة دار الكتاب، الطبعة ٣، ١٤٠٤هـ)، الجزء ١، الصفحة ١٨.

وجوداتهم وجودات فرقية. وكلامنا في المقام لا في الحال.

فالولاية الخاصة وهي الولاية المحمدية، قد تكون مقيدة باسم من الأسماء وحد من حدودها، وقد تكون مطلقة عن الحدود ومعرّاة عن القيود، بأن تكون جامعة لظهورات جميع الأسماء والصفات، واجدة لأنحاء تجليات الذات.

### خاتم الأولياء

فالولاية المحمدية قسمان: مطلقة وكلية من حيث كلية روحه المسمى بالعقل الأول، ومقيدة وجزئية من حيث روحه الجزئي المدبر لجسده، ولكل منهما درجات؛ للمقيدة بالعدة، وللمطلقة بالشدة، ويمكن أن يكون عالماً من علماء أمته خاتماً لولايته المقيدة، ووصياً من أوصيائه خاتماً لولايته المطلقة .

وقد تطلق المطلقة على الولاية العامة، والولاية المقيدة المحمدية على الولاية الخاصة، وبما ذكرنا يندفع التشوش والاضطراب في كلماتهم ولا تتناقض العبارات.

فنقول تفريراً وتقريراً لما أسلفنا: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) خاتم الأولياء بالولاية المطلقة المحمدية بالإطلاق الأول: أي الجامعة لظهور جميع الأسماء والصفات الواجدة لأنحاء التجليات، وخاتم الولاية المقيدة المحمدية بالإطلاق الثاني، أي الولاية الخاصة. وعيسى بن مريم (ع) خاتم الولاية المطلقة بالإطلاق الثاني أي العامة، والمهدي القائم المنتظر (عج) خاتم الولاية المطلقة بالمعنى الأول وخاتم الولاية المقيدة بالمعنى الثاني. والفرق بينه وبين جده أمير المؤمنين لما سيأتي بيانه.

أقول: ومن هذا البيان يعرف مراد صاحب **الفتوحات المكية**، محيي الدين بن عربي، حيث قال في الفصل الثالث عشر من أجوبة محمد علي الترمذي: «الختم ختمان: ختم يختم به الولاية مطلقاً، وختم يختم به الله الولاية المحمدية. فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى (ع)، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة، وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لا ولي بعده، فكان أول هذا الأمر نبي وهو آدم وآخره عيسى، أعني نبوة الاختصاص، فيكون له حشران: حشر معنا، وحشر مع الأنبياء والرسول. وأما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب أكرمها أصلاً وبدأً، وهو في زماننا اليوم موجود وعرفت به سنة خمس وتسعين وخمسماية، ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية فيه. وهي الولاية الخاصة لا يعلمها الكثير من الناس»<sup>(١٦)</sup>.

### الحقيقة المحمدية مظهر الولاية الإلهية

ثم قال مزيداً لتوضيح المقصود: الولاية صفة إلهية وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور،

(١٦) ابن عربي، **الفتوحات المكية** (بيروت، دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٤٩.

وأشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/٢٨)، وهذه الصفة عامة بالقياس إلى ما سوى الله لاستواء نسبته تعالى إلى الأشياء. وعن الإمام موسى الكاظم (ع): «استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء»<sup>(١٧)</sup>. فصورته ومظهره أيضاً عامة شاملة لجميع ما سوى الله، وليست صورة لجميع ما سوى الله سوى العين الثابت المحمدي (ص)، فصورة ذلك الاسم هي الحقيقة المحمدية (ص). وقد كان صورة لاسم الله الجامع، والصورة الواحدة لا تكون صورة للمتمايزين في العرض، فالاسمان في طول الترتيب. واسم الولي باطن اسم الله؛ لأن الولاية أخفى من الإلهية، فالولاية باطن الحقيقة المحمدية. وتلك الحقيقة صورة للاسمين وظاهر لهما. فالحقيقة المحمدية (ص) مظهر للولاية الإلهية التي ظهرت بأوصاف كماله ونعوت جماله، وهي النبوة المطلقة الجامعة للتعريف والتشريع.

### مظاهر الحقيقة المحمدية

ثم ظهرت الولاية الإلهية المحمدية بنعت الولاية، فصارت ولي الله وخليفة رسول الله، ثم ظهرت كل يوم في شأن من شؤونه، وفي كل مظهر بنعت من نعوته فصارت حجج الله وخلفاء رسول الله (ص) إلى أن ظهرت بجميع أوصافه، فصارت قائمهم، ومظهر أوصافهم. وكلهم نور واحد وحقيقة واحدة، واختلافهم في ظهور أوصاف حقيقتهم الأصلية وهي الولاية المطلقة الإلهية كما ورد: «أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، كلنا محمد»<sup>(١٨)</sup>.

فيرتفع ما يتوهم من التناقض في قولنا تارة: خاتم الولاية المحمدية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وتارة أنه المهدي الموعود المنتظر (عج)؛ لأنهما، بل لأنهم (ع) نور واحد بالسنخ، والاختلاف بالشؤون والظهورات على حسب اقتضاء الحكمة البالغة. فظهر أن ما في خاتم الولاية المحمدية هي الحقيقة النورية المحمدية التي خلعت لباس النبوة، واكتست كساء الولاية، وظهرت في صورة أوصيائه المعصومين. فإن شئت قلت: أمير المؤمنين، وإن شئت قلت: بأي إمام من الأئمة المعصومين (ع)، إلا أن قائمهم أولى بذلك لظهور جميع الأوصاف فيه (ع). هذه جملة من الكلمات التي ذكرها المسمون بأهل العرفان في هذا المجال.

### التأييد العقلي

ولو كان ما ذكره الحكماء الإسلاميون من القول بالعقول الطولية والأنوار القاهرة، والعقول العرضية المتكافئة المعبر عنها بالمثل النورية، محملاً صحيحاً ومستنداً قوياً، فإن الكبراء منهم كالمحقق الطوسي (قده) قال في متن **التجريد**: «أما العقل فلم يثبت دليل على امتناعه وأدلة وجوده

(١٧) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٢٧.

(١٨) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٢٥، الصفحة ٣٦٣.

مدخولة»<sup>(١٩)</sup>، وإلا لكان حقيقاً أن يقال: إن النور المحمدي (ص) الظاهر في خاتم الأنبياء وأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين والأئمة المعصومين متحد بحسب الحقيقة مع تلك الأنوار القاهرة الأعلين، وما هو في سائر الأنبياء وأوصيائهم مع الأنوار العرضية، والمثل النورانية بحسب مراتبهم.

## التأييد النقلي

وتدبر في الأحاديث المروية في المجلد الأول من كتاب **أصول الكافي**.

منها: ما ورد في باب أن الأئمة (ع) نور الله عز وجل: «عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن/٨)، فقال: يا أبا خالد، النور - والله - الأئمة من آل محمد (ص) إلى يوم القيامة، وهم نور الله الذي أنزل، وهم - والله - نور الله في السماوات والأرض، - والله يا أبا خالد -، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله تعالى نورهم عن يساء، فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد، لا يحبنا عبد ولا يتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا، ويكون سلماً لنا: فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وأمنه من فزع يوم القيامة الأكبر»<sup>(٢٠)</sup>.

وفي باب خلقه النبي (ص) والأئمة الطاهرين قبل خلق السموات والأرض.

منها: عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني، فأجريت اختلاف السبعة، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف عام ومن ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»<sup>(٢١)</sup>.

ومنها: ما روي عن المفضل: «يا أبا عبد الله، كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في أظلة خضراء نسبحه ونقدسُه ونهلله، ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق الكان والمكان، فخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزل أولين؛ إذ لا شيء كُون قبلهما، فلم يزلوا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب»<sup>(٢٢)</sup>.

ومنها: ما روي عن جابر بن يزيد قال: «قال لي أبو جعفر: يا جابر، إن الله أول ما خلق محمداً

(١٩) محمد الطوسي، **تجريد الاعتقاد** (قم: انتشارات آشكوري الطبعة ١٤١٣ هـ)، الصفحة ٢٢٧.

(٢٠) **أصول الكافي**، مصدر سابق، الجزء ١ الصفحة ١٩٤.

(٢١) المصدر نفسه، الجزء ١ الصفحة ٤٤١.

(٢٢) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤٢.



وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباحاً نورية بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور؛ أبدان نورية بلا أرواح. وكان مؤيداً بروح واحد، وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة، والصوم، والسجود، والتسبيح، والتهليل، ويصلون الصلاة، ويصومون ويحجون»<sup>(٢٣)</sup>.

وتدبر أيضاً فيما وقع في الزيارة الجامعة الكبيرة من قوله: «وإن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محققين حتى منّا علينا بكم»<sup>(٢٤)</sup>.

ولو تأملت فيما قدرناه من أول الرسالة إلى هنا، ثم تدبرت في بقية الزيارة الكاملة لوجدتها منطبقة على جملة ما ذكرناه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/٢١٣). ثم ذكر بعضهم أن المبعوث إلى الخلق لما كان تارة من غير تشريع وكتاب من الله تعالى، وتارة بتشريع وكتاب منه سبحانه وتعالى، انقسم النبي إلى المرسل وغيره، فالمرسلون أعلى مرتبة من غيرهم لجمعهم بين المرتبتين: الولاية والنبوة، وإن كانت مرتبة ولايتهم أعلى من جهة نبوتهم، ونبوتهم أعلى من رسالتهم، لأن الولاية جهة حقيقتهم وفنائهم فيه تعالى، ونبوتهم جهة ملكيتهم، إذ بها تحصل لهم المناسبة للعالم الإنساني، فمقام النبوة برزخ بين الولاية والرسالة يعني أنها فوق الولاية.

هذا ما وفقت لرسمه في هذه الأوراق وفاء بالميثاق، وأسأل الله أن يثبتني على ولاية أوليائه الطاهرين (ع). والحمد لله أولاً وأخيراً.

(٢٣) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤٢.

(٢٤) عباس القمي، مفاتيح الجنان (بيروت: دار الصفا، الطبعة ١، ١٩٩٩)، الصفحة ٨٠٧.



## الفصل الأول: الولاية الاكتسابية

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلَهُ وَلَطَفَ غَلِيظَهُ  
وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبَرَقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ  
وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ  
وَتَثَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنَهُ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ  
بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.  
(نهج البلاغة، الجزء ١، الصفحة ٤٦٥)



## الولاية في اللغة

الولاية كما ذكرها أهل اللغة، إذا استعملت بكسر الواو فهي الإمارة والتولية والسلطان، وإذا استعملت بالفتح فهي المحبة. ويقال أيضاً إنها مأخوذة من الولي بمعنى القرب.

الولاية في اللغة ذات معانٍ ودلالات متعددة، منها الإمارة والسلطنة، ومنها المحبة والنصرة، ومنها القرب. فهل ولاية ماهية واحدة ترجع إليها جميع الدلالات، أم أنها ماهيات متعددة؟

### ماهية الولاية

استعملت الولاية بمعنى المحبة، والنصرة، والنسب، والربوبية وغير ذلك. وأطلق الولي على كل من ولي أمر أحد، وعلى المالك، والسيد، والعبد، والناصر، والمحب، والتابع، والحليف، والصهر وغيرهم. وقد أحصى صاحب تاج العروس واحداً وعشرين معنى لها.

ويمكن القول إن الأصل في معناها هو ارتفاع الوسطة الحائلة بين الشئيين بحيث لا يكون بينهما ما ليس منهما. وحصول الثاني بعد الأول من غير فصل. فيقال للأمرين المتعاقبين إنَّ بينهما توالٍ. قال الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) في **المفردات**: «الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد»<sup>(٢٥)</sup>.

والولاية بمعنى القرب مأخوذة من الولي بسكون اللام. وهي تكون بين الأمور المعنوية، كما تكون بين الأمور المادية. فالموالاة والتوالي بمعنى القرب عبارة عن ارتباط الحوادث وقربها بعضها من بعض. ووجود هذا الارتباط الواقعي ضروري للعلاقة الولائية. وهو على قسمين:

١. ارتباط وتأثير متقابل ومتبادل، بحيث تكون الإضافة متوافقة بين الأطراف، ويكون الطرف الأول ولياً للثاني والثاني ولياً للأول، وتقرأ الولاية حينئذ بكسر الواو<sup>(٢٦)</sup>. وهذا النحو من الولاية هو الغالب في العلاقة بين أفراد الإنسان حيث تقوم الولاية بين أطراف متساوية في النصرة والمحبة والأخوة والإرشاد والهداية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة/٧١).
٢. ارتباط وتأثير من طرف واحد؛ وهي الإضافة المتخالفة الأطراف؛ بحيث يكون الطرف الأول ولي الثاني، ولكن الطرف الثاني مولى عليه بالنسبة للأول. من قبيل العلية والمعلولية، والأبوة والبنوة. وفي مثل هذا المورد تقرأ الولاية بفتح الواو، ويعبر عن الولي بالوالي (أي المدبر). وعلاقة الإنسان

(٢٥) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** (مكتبة نزار مصطفى الباز، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٦٩٢.

(٢٦) بخلاف ما جاء في عبارة الماتن. وهذا ناشيء من اختلاف أهل اللغة.

باللَّهِ تعالى تكون بهذا النحو، بأن يكون الله سبحانه ولياً بمعنى الوالي، والعبد مولى عليه؛ فإنه تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الذَّلِ﴾ (الإسراء/ ١١١)، فلا يتخذ ولياً من الذل، أما العبيد فلا حيثية عندهم سوى الذل والفقير: ﴿أَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء/ ١٣٩). وبهذا المعنى قيل: إن حقيقة الولاية هي رتق الولي وفتقه في الأمور المولى عليها، فيمسك عنها في بعض، ويرسلها في بعض؛ لتصل إلى كمال السعادة المطلوبة والمقدرة، وهذه الولاية هي ولاية حقيقية مبتناة على حقيقة الملك والتدبير، وهي لله تعالى وحسب، فهو المولى الحقيقي فقط: ﴿اللَّهُ وِليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧).

### المراد بالولاية

إن الجامع بين الإضافات على اختلاف مداليلها اللغوية، هو أصل وجود القرب، أي وجود لون من الاتحاد والنسبة بين شيئين. كالنسبة بين المالك والمملوك، وبين المنعم والمنعم عليه، وبين الحليفين وغير ذلك. هذه النسبة قد ربطتهما وشدت أحدهما بالآخر؛ لذا يقال لكل واحد من طرفي النسبة أنه ولي؛ لزوال البيئونة والغيرية تماماً. وهذا بصرف النظر عن كونها متوافقة الأطراف أم متخالفة الأطراف.

من هنا، يطلق الولي على الله تعالى، وعلى عبده المؤمن؛ بالنظر إلى أن كلا منهما يلي من الآخر ما لا يليه غيره؛ فإن الله سبحانه ولي عبده المؤمن؛ يلي أمره، ويدبر شأنه فيهديه إلى صراطه المستقيم، ويأمره وينهاه فيما ينبغي له أو لا ينبغي، وينصره في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿وَاللَّهُ وِليُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الجاثية/ ١٩). ﴿وَاللَّهُ وِليُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/ ٦٨). كما أن المؤمن حقاً ولي ربه؛ يلي منه إطاعته في أمره ونهيه، ويلي منه البركات المعنوية من هداية، وتوفيق، وتسديد، وما يعقبها من الإكرام بالجنة والرضوان.

وبناء عليه؛ تدل الولاية، والولي، والمولى وما يتفرع عنها من مشتقات على معنى عام بنحو الاشتراك المعنوي، وهو ما يفيد معنى القرب، غاية الأمر أنه يؤخذ بنظر الاعتبار خصوصية من خصوصيات القرب بواسطة قرينة حالية أو لفظية. وهذا اللون من الاستعمال حقيقي في جميع موارد الاستعمال.

### الولاية الإلهية

وبحسب الاصطلاح، الولاية: حقيقة كلية، وصفة إلهية، وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور (وهو الولي الحميد).

الولي اسم من أسماء الله تعالى، ولا ولاية لأحد إلا منه تعالى، وهي الولاية الكلية التي تترافق مع ربوبية الله المطلقة بحيث يكون الجميع مخلوقات فقيرة ذليلة لله تعالى. ويقع البحث هنا في تعريف الولاية الالهية التي هي ولاية ذاتية، ومعنى كونها حقيقة كلية، وصفة الهية، وشأن ذاتي، وكيفية اقتضاها الظهور.

### تمهيد

لا يدعي أهل المعرفة بالله تعالى أنهم يدركون حقيقة الذات المقدسة، بل إنهم يقولون بأن العجز عن المعرفة غاية معرفة أهل المكاشفة. وإنما يتشبهون بنوع من المعرفة يمكن أن تتعلق بأسمائه وصفاته تعالى، فيرون أن مباحث العرفان تدور مدار ظهور تلك الأسماء، كما أن مباحث الفلسفة تدور مدار وجود الحقائق. ويقصدون بمعرفة الأسماء التحقق العيني الخارجي بها. وهذا يعني أن الذات المقدسة إنما تظهر بعد تلبسها بالصفات والأسماء، كما أن ظهور الصفات في الأعيان الخارجية إنما يكون ببركة الأفعال. وكل هذا بمقتضى الولاية التي ظهر بها الوجود، وما الحب والقرب والربوبية والتدبير سوى شؤونات الولي.

### الولي شأن من شؤون الذات

الذات المقدسة لها الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهي قادرة عالمة حيّة، وهي جامعة للأسماء والصفات، محيطة بكاملات الوجود، بل هي عينها. وهذه الذات في خفاء؛ وذلك لأمرين:

١. إن الصفات في تلك المرتبة عين الذات: «لم يزل الله عز وجل ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاتها ولا مقدور»<sup>(٢٧)</sup>.
٢. كل صفة من صفاته تعالى في تلك المرتبة غير محدودة بحد: «ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود»<sup>(٢٨)</sup>، «نور لا ظلمة فيه، وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه»<sup>(٢٩)</sup>.

وبملاحظة هذين الأمرين، يتضح أن الصفات في تلك المرتبة مستهلكة في الذات: «كنت كنزاً مخفياً»<sup>(٣٠)</sup>، وهي لا تدرك هناك؛ إذ لا ظهور في مقام التجلي الذاتي؛ ولذلك أطلقوا على تلك المرتبة اسم «غيب الغيوب». والولي في تلك المرتبة هو شأن من شؤون الذات، مستهلك فيها؛ ولذلك لا يشار إليه باسم أو صفة.

(٢٧) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٠٧.

(٢٨) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٤.

(٢٩) الشيخ الصدوق، التوحيد، تحقيق هاشم الحسيني (قم: منشورات جماعة المدرّسين)، الصفحة ١٨٢.

(٣٠) المحقق الكركي، رسائل الكركي، تحقيق الشيخ محمد الحسنون (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة ١، ١٤١٢ هـ)، الجزء ٣، الصفحة ١٥٩.

## الولي صفة إلهية

إن تجلي الذات في مظاهر كمالاتها هو أول ظهور لها ، وهو مترتب على التجلي السابق، أي تجلي الذات لذاتها بكمالاتها في المرتبة السابقة. وفي عبارات أهل العرفان أن الذات المقدسة تبتهج بكمالاتها الذاتية، وهو الحب الذاتي: «فأحببت أن أعرف»<sup>(٢١)</sup>؛ والمقصود بذلك أن الكامل لا يبتهج بالناقص، ولا يميل إلا إلى الكمال الذاتي الذي هو عين ذاته تعالى.

إن صفاته تعالى في المرتبة السابقة في خفاء، وقد أحب تعالى أن يُعرف، فتعلقت المحبة بمعرفة الذات بظهورها في كسوة الصفات. وحيث إن المحبة الذاتية حاصلة أزلاً وأبداً فهو سبحانه دائم الفيض والجد؛ لا بخل في ساحته، ولا منع في عطائه، فلا يزال ظاهراً بما تقتضيه تلك الصفات العليا والأسماء الحسنی. فالولي في هذه المرتبة هو تعبير آخر عن اقتضاء الولاية لظهور الذات في كسوة الصفات.

## الولي حقيقة كلية

لما كانت الذات المقدسة قادرة وعالمة، وكانت في خفاء عن الظهور، وأحبت أن تعرف، فاقتضت القدرة مقدوراً لتظهر فيه فخلق الخلق والأشياء لكي تظهر تلك الصفات فتعرف بها، وكشف لهم برحمته من شؤون ذاته وصفات كماله ما يمكنهم به من معرفته: «أول الدين معرفته»<sup>(٢٢)</sup> والمعرفة والظهور هنا بمعنى التحقق بتلك الكمالات.

إن ظهور الصفات في مظاهر الأعيان الخارجية الكلية هو تعبير آخر عن الولاية التي هي الملك والربوبية والتدبير، وأحد أسماء الله الحسنی في القرآن الكريم هو الولي: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ (الشورى/٩). بل هو الولي حصراً: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد/١١). فالولاية بمعنى الملك والتدبير مختصة بالله سبحانه، وليس للمخلوق أي قدرة على تدبير أي شيء، ولا يوجد أي ولاية لأي موجود في عرض ولاية الله سبحانه.

وسياتي في مبحث الولاية الاختصاصية<sup>(٢٣)</sup> أن الولاية لا تفترق عن الإنسان الكامل، وأن الظهور الأول في عالم الصفات والأسماء لا بد أن يكون أكمل المظاهر وأتمها، والمظهر الأول في عالم الأعيان الخارجية هو الحقيقة المحمدية. فلا يمكن تولي جهة الحق بالأسماء والصفات إلا من خلال توسط هذه الحقيقة الكلية، وهذا هو مقصود العرفاء من الحقيقة الكلية بحسب الغالب في استعمالاتهم.

## اقتضاء الظهور

في الخبر: «فلما أحدث الأشياء، وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع،

(٢١) رسائل الكركي، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٥٩.

(٢٢) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٤.

(٢٣) في الفصل الثاني.



والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور»<sup>(٣٤)</sup>.  
 وحيث إن القدرة هي «ذاته ، ولا مقدور»<sup>(٣٥)</sup>، كانت القدرة تقتضي الظهور ؛ أي تقتضي مقدوراً تظهر فيه. وهذا يتحقق بأمرين:  
 ١. إيجاد المقدور؛ بخلقه.  
 ٢. إعمال القدرة فيه؛ بالتدبير والتصرف الربوبي.  
 فيتضح أن خلق المقدور، ووقوع القدرة عليه، هو مقتضى الاسم الولي؛ وهو الظهور بالتصرف والتدبير. وهكذا الأمر في سائر الأسماء والصفات.  
 من هنا، عرفوا الولاية بأنها السلطنة الواجبة للذات الأزلية والصفات العلية، والتي تقتضي الظهور بذاتها، أي بسط مملكة الألوهية، ونشر لواء الربوبية؛ بإظهار الخلائق، وتحقيق الحقائق، وتسخير الأشياء، وإمضاء الأمور، وتدبير الممالك، وإمداد الدهور، وحفظ مراتب الوجود، ورفع مناصب الشهود، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/٢٨).

### خلاصة

إن تجلي الذات لغيرها مترتب على تجليها لذاتها، وبعد تجليها الذاتي تتجلى للأسماء. وأما تجلي الأسماء فهو بحسب الاقتضاء الذي فيها؛ فالله الحي يقتضي وجود الحياة، والله الرازق يقتضي وجود الرزق، والله الولي يقتضي الظهور. أي إن تعيينات الصفات تتحول إلى تعيينات خارجية كلية. فالأسماء هي تجليات الذات، وليست شيئاً آخر زائداً عليها. والأفعال هي تجليات الأسماء وليست شيئاً آخر زائداً عليها. فالأسماء والأفعال ليست سوى مراحل من الظهور. وهذا الظهور هو الاقتراب والفناء والعرفان؛ ولهذا سمي العلم الموسوم بالعرفان بعلم الصفات والأسماء.

### قيومية الولاية الإلهية

ويظهر حكمها من جميع الأشياء من الواجب والممكن، فهي رفيق الوجود يدور معه حيثما دار. كما أن الوجود بحسب الظهور له درجات متشعبة ومراتب متفاوتة بالكمال والنقص والشدة والضعف، ويحمل عليها بالتشكيك، فكذلك الولاية فإنها بعدما كانت بمعنى القرب، فلها درجات متفاوتة ومراتب مختلفة بالكمال والنقص والشدة والضعف، ويقال عليها بالتشكيك، حتى تنتهي إلى قربه تعالى بالأشياء ، ولا أقرب منه بها: «مع كل شيء. أي بالمعية القيومية. لا بمقارنة».

(٣٤) التوحيد، مصدر سابق، الصفحة ١٢٩.

(٣٥) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٠٧.

يقع البحث عن عموم حكم الولاية ، وأنها بنحو التشكيك، ويهدف البحث لبيان أعلى مراتب الولاية بحسب المعية القيومية .

### سريان الولاية في الأشياء

الولاية تارة تلاحظ بالنسبة إلى قرب الله تعالى بالخلق، وأخرى بالنسبة إلى قرب الخلق إليه تعالى. والأولى ذاتية له تعالى. والمقصود هنا، هو بيان قربه تعالى للأشياء، وذلك من خلال بيان كيفية سريان حكم الولاية في الأشياء.

ويتم التعبير عن سريان الولاية في الأشياء بنسب متعددة؛ كنسبة القيام، والقرب والظهور. فمن جهة القيام؛ نجد أن قوام جميع الممكنات بالحق، وهو معهم، قائم عليهم، فهو الولي بالمعية القيومية. ومن جهة القرب والظهور، نجد أن الولاية كالوجود؛ فكما أن الوجود بحسب الظهور له درجات ومراتب متفاوتة بالكمال والنقص، والشدة والضعف، ويحمل عليها بالتشكيك، وكذلك الولاية، فإنها بعد ما كانت بمعنى القرب، فلها درجات متفاوتة، ومراتب مختلفة بالكمال والنقص، والشدة والضعف، تحمل عليها بالتشكيك. فالولاية حقيقة كلية، يظهر حكمها من جميع الأشياء؛ من الواجب والممكن، وهي رفيق الوجود، يدور معه حيثما دار.

وهذه النسب الواقعية من القيام، والظهور، كلها تشير الى حقيقة واحدة هي حقيقة القرب المعبر عنه بسريان الولاية بين الحق والخلق. ولتوضيح ذلك، يمكن تصوّر علاقة المخلوقات بالله تعالى بنحوين من أنحاء والتعلق:

١. أن المخلوقات لها ذوات مستقلة عن الله تعالى، غاية الأمر أن هذه الذوات تتصف بالفقر إلى الله تعالى.
٢. أن هذه المخلوقات ليس لها ذوات مستقلة، وإنما هي عين الفقر والتعلق والارتباط بالله تعالى، وأنه تعالى لو صرف نظره عنها طرفة عين لهلكت .

يذهب العرفاء إلى أن الموجودات كلها مع الله ومرتبطة به، بل إن وجودها هو عين الربط به، قال تعالى: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤)، وقال تعالى: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة/١١٧)، و ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت/٥٤). وبهذا المضمون يفسرون الولاية الإلهية؛ ذلك أن وجود كل موجود ملازم للولاية، وتقدم أن الظهور بأي صفة يقتضي خلق الموصوف وإعمال مقتضى الصفة فيه: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام/١٤).

### مفهوم المعية

معية الحق مع الخلق مصطلح مأخوذ من قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾ (الحديد/٤). والمعية مفهوم عام يتحدد معناه بحسب سياق وروده، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَنُنِيرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد/٣٥)، يراد بمعيته تعالى لهم معية النصر دون المعية القيومية

التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤)<sup>(٣٦)</sup>. وهكذا تتنوع المعية بحسب تنوع موارد استعمالها. وهي قد تكون معية علمية هي علمه بكل شيء، وقد تكون معية وجودية ويعبر عنها بالمعية القيومية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة/٢٥٥).

وقد تقدم أن الولاية هي ارتفاع الواسطة الحائلة بين شيئين بحسب اللغة، ويلزم من ذلك القرب والظهور والمعية. فالولاية المطلقة من أي قيد هي المعية القيومية، وحيثما وجدت مفردات الولاية، أو الولي، أو المولى وغيرها، وليست معها قرينة تدل على خصوص أحد مصاديقها، فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار المعنى العام دون أي قيد، واعتباره هو المراد من تلك المفردات. فمثلاً لو قيل: الولاية لله، يكون المراد هو معية الله لجميع الكائنات، وأن الله تعالى ولي الكائنات جميعها في عالم التكوين بشكل مطلق، كما أن الكائنات جميعها أيضاً وبلا استثناء ولية الله تكويناً؛ لأنه لا حجاب بين الرب وبين المربوبين إلا أن يكون ذلك الحجاب منهما<sup>(٣٧)</sup>.

### مفهوم القيومية

لا ريب أن للواجب بالذات صفات فعلية مضافة إلى غيره كالخالق والرازق والمعطي والجواد والغفور والرحيم إلى غير ذلك، وهي كثيرة يجمعها اسم القيوم الذي هو أم الأسماء الإضافية. والقيام هو حفظ الشيء وفعله وتدييره وترتيبه والمراقبة عليه والقدرة عليه. وقد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمور خلقه لنفسه حيث قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد/٣٣)، فهو القائم على كل شيء من كل جهة بحقيقة القيام، وليس لغيره إلا أن يقوم به<sup>(٣٨)</sup>.

إن المعية القيومية عبارة عن الإحاطة بوجود الشيء بحيث يكون الانفكاك عنه محالاً، بمعنى أن المقيم (من قام به الشيء) إذا رفع علاقة الإقامة عنه فإنه يفنى وينعدم. و«كل ممكن من الممكنات الموجودة، وكل ذرة من الذرات الموجودة، منورة موجودة بنور وجوده تعالى، لا بانفصال شيء من الوجود عنه تعالى، بل بارتباطه إلى ذاته تعالى. ولهذا لو انفك في آن من الإانات ممكن موجود عن هذا الارتباط لانعدم»<sup>(٣٩)</sup>. وهذه هي معية الله مع الخلق ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤).

وبذلك يتضح معنى قولهم أن الولاية على المخلوقات ذاتية له تعالى؛ فهو مع كل شيء بالمعية القيومية. قال أمير المؤمنين (ع): «مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة»<sup>(٤٠)</sup>.

(٣٦) للمزيد انظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (قم: مؤسسه مطبوعاتي إسماعيليان، الطبعة ٢، ١٩٧٣ م)، الجزء ١٨، الصفحة ٢٤٨ (بتصرف).

(٣٧) للمزيد انظر: محمد الحسين الحسيني الطهراني، معرفة الإمام، الجزء ٥، الدرس ٦١ - ٦٢ «دراسة لغوية لمعنى الولاية» (بتصرف).

(٣٨) للمزيد انظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٣٣١ (بتصرف).

(٣٩) ابن سينا، تفسير آية النور، الصفحة ٨٦.

(٤٠) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٦. واشتهر عنه، عليه السلام، قوله: «داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بمزايلة - لا بمباينة».

## إشراقية الولاية الإلهية

لما كان القرب أمراً إضافياً معنوياً، والنسبة دائماً بين شيئين، فالحق المتعال - جل شأنه - قريب من الأشياء، والأشياء قريبة منه تعالى. ولكن قربه تعالى من الأشياء إضافة إشراقية محصلة للمضاف إليه، نظير إشراق الشمس الموجب لوجود النور في مقابلها، لا إضافة مقولية متوقفة على وجود الطرفين. ثم إنه ليس مجرد هذا القرب مناط صحة إطلاق الولاية، فإنها قرب الخلائقية له تعالى والمخلوقية للأشياء، وليس بين الخالق والمخلوق شيء، ولو ذهب في هذا بحسب فكرك لتبلغ غاياته ما دللك الدلالة إلا على أن خالق النملة هو فاطر النخلة: «استوى مع كل شيء».

يتعرض البحث هنا إلى بيان طبيعة القرب الإلهي من كل شيء، وأن هذا القرب هو قرب الخلائقية والمخلوقية، وأنه ليس هو مناط صحة إطلاق الولاية.

## تمهيد

قد يشوب دلالة المفاهيم اللغوية شيئاً من النقص الذي يلزمها بفعل كثرة الاستعمال في المصاديق النازلة، مما يعطي دلالتها طابعاً سلبياً مصاحباً لمفهومها الأصلي. وحين تنسب هذه المفاهيم إلى الله تعالى، يجب أن تحذف تلك النقائص بحيث تبقى الحقيقة اللغوية على صرافتها ونقائنها<sup>(٤١)</sup>. من هذه المفاهيم مفهوم الولاية، فالولاية الإلهية ولاية حقيقية تكوينية، وليست من قبيل الإضافات والاعتبارات؛ ذلك أن الولاية بمعنى الملك تستعمل غالباً في الارتباط الحاصل بين الإنسان وممتلكاته، أو من يلي أمره، وهي ولاية جعلية اعتبارية، والولاية لا تنسب إلى الله تعالى بهذا المعنى الاعتباري. كما لا تنسب الولاية إليه تعالى بمعنى المحبة التي يعتورها النقص من جهة التأثير والانفعال. وكذلك الولاية بمعنى القرب الإضافي بين الأشياء والتي هي من الأمور النسبية لا الحقيقية؛ فإن هذه المعاني اللغوية يصاحبها بحسب الاستعمال العريفي لوازم النقص. وإنما تنسب إليه بعد إسقاط تقيصة الاعتبار. فهو تعالى ولي بالمحبة الكاملة والقرب التام والملكية الحقيقية.

وعليه، فالإضافة وإن كانت عبارة عن نسبة قائمة بطرفين، ولا تقع إلا من الطرفين معاً، وبهذا كان القرب أمراً إضافياً نسبياً متحققاً من الطرفين معاً. ولكن قرب الحق من الخلق ليس إضافة اعتبارية حاصلة بين طرفين، وإنما هو إضافة حقيقية حاصلة من طرف إلى آخر، بحيث إن المضاف إليه يوجد بنفس الإضافة؛ كالنار في إحراقها والشمس في إشراقها؛ فإن الشمس في إشراقها توجب وجود النور في مقابلها، ولكن دون أن يكون النور مستقلاً عنها، بل يكون مرتبطاً بها في وجوده.

(٤١) وهذه هي نظرية «روح المعاني» التي تبناها العرفاء والتي تدعو للتفكيك بين أصل المعنى وروحه، وبين ما علق به من كميّات خاصّة ناشئة من غلبة استعماله في المصاديق النازلة، فإن لوازم النشأة النازلة، غير ملزمة بحسب النشآت الصاعدة.

إذن، نسبة الأشياء إليه تعالى نسبة الإضافة الإشراقية، وليس هناك مضاف ومضاف إليه، بل هناك إضافة إشراقية، وهي قيام الموجودات بذاته تعالى، وأن وجودها هو عين الربط به تعالى؛ فإنه تعالى القائم على كل وجود، الفاعل لكل موجود، وكل ما عداه وجود رابط لا استقلال له. إن جميع الجهود التي يبذلها العرفاء في سيرهم وسلوكهم إلى الله تعالى هي لأجل اكتشاف هذه الغاية، وهي أنهم وجميع المخلوقات فانون في الله باقون به منذ الأزل إلى الأبد. كان الله ولم يكن معه شيء والآن هو كما كان. ما في الدار غيره ديار. فالكل عين الفقر إليه تعالى، والكل شعاع نوره جل وعلا، ولو عزفت شمس الحقيقة عن الإشراق لهلك الكل وبطل.

فيتضح أنّ الإضافة الإشراقية ناظرة إلى النسبة الحقيقية، أي القرب الحقيقي الناطق به كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (آل عمران/١٠٩)، ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم/١٤)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء/١٢٦). بخلاف القرب الإضافي الاعتباري.

### مناط صحة إطلاق الولاية

إنّ الله تعالى قريب إلى الخلق بالإضافة الإشراقية الحقيقية وليس بالإضافة المقولية الاعتبارية، والإضافة الإشراقية تعني استواء النسبة إلى الخلق؛ فإنّ نسبة الموجود الواجب تعالى إلى جميع الممكنات نسبة واحدة؛ لا يعجز عن بعض دون بعض. فإذا كان الله تعالى هو العلة الإيجابية للمخلوقات، وليس بين العلة الإيجابية ومعلولها سوى نسبة واحدة هي نسبة الإيجاد؛ فقربه تعالى بالنسبة إلى كل شيء على نسق واحد، وهو تعالى قريب بها، بل لا أقرب منه بها «استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب»<sup>(٤٢)</sup>؛ فلا تختلف نسبته - عز شأنه - بالقرب والبعد عن الأشياء، بل إن نسبته تعالى في القرب والبعد سواء، وهذه هي نسبة الخلاقية له والمخلوقية للأشياء، فإذا استوى مع كل شيء، ولم تتفاوت النسبة إلى النملة مع النسبة إلى النخلة، ولم يكن الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء<sup>(٤٣)</sup>، فلا يكون هذا النوع من القرب هو المناط في صحة إطلاق الولاية على أحد من الخلق، نظرًا لوجود التفاوت في نسبة الولاية وجدانًا.

توضيح ذلك :

- لا شك أن «الولي» يطلق على الحق تعالى وعلى المخلوق أيضًا.
  - الولاية مفهوم تشكيكي، بحيث تتفاوت في صدقها على أفرادها. وهي كذلك بواقعها.
  - استواء نسبة الخلق إليه تعالى بحسب الإضافة الإشراقية.
- وهنا يطرح سؤال: حيث إن مراتب الولاية تتفاوت من شخص إلى آخر بالوجدان، فبأي مناط

(٤٢) شرح أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٧٨

(٤٣) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١١٧. قال عليه السلام: «وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا

سواء».

## صح إطلاق الولاية ٩

قد يقال: إن قربه تعالى إلى عبده يستلزم قرب عبده إليه، وهذا حاصل في جميع معاني القرب لغة، وعليه، فلا مانع من كون الملاك في الولاية هو قرب الخلائق والمخلوقية. ولكن هذا الادعاء مردود؛

١. إن هذا القرب هو من آثار ألوهيته وخلاقيته تعالى، ومن لوازم وجوده البحت غير المحدود المستلزم لقهاريته ومالكيته. وليس هو من آثار سلوك الإنسان المعنوي في صراط العبودية لله تعالى. فإن القرب هنا منسوب إلى الله تعالى ومعلول له وليس إلى الخلق، ومن جهة أخرى يصدق هذا النوع من القرب على الخلق بنحو قهري، وهذا يتنافى مع أن الله سبحانه حث أوليائه في القرآن الكريم على إحراز مقامات القرب ومدحهم على ذلك.
٢. الولاية - بمعنى قرب الخلائق والمخلوقية - لا تتفاوت في صدقها على أفرادها؛ إذ ليس بين الخالق والمخلوق شيء حتى تقع الشدة والضعف في إيجابية الخلق، بل يدور أمرها بين الوجود والعدم؛ ولو ذهب في هذا بحسب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة العقلية والنقلية إلا على أن خالق النملة هو فاطر النحلة؛ استوى مع كل شيء؛ جليلاً كان أم حقيراً. وعليه، فهذه الولاية الثابتة لله تعالى على جميع الأشياء لا يمكن أن تكون هي المناط في صحة إطلاق الولاية. من هنا، وبمقتضى سريان حكم الولاية في الأشياء كلها؛ ينبغي التمييز في الولاية بين نحوين من أنحاء القرب:

١. تارة بالنسبة إلى الحق تعالى وقربه بالخلق، وهو بمعنى قرب الخلائق والمخلوقية، وهو قرب الحق تعالى: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤)، و﴿فَإِنَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة/١١٥)، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق/١٦). وهذا القرب عام لا يختص بشيء. وهذه هي الولاية الالهية التي تقدم أنها عبارة عن حقيقة كلية، وصفة إلهية، وشأن من الشؤون الذاتية.
  ٢. وأخرى بالنسبة إلى الخلق وقربهم إليه تعالى، وهو القرب بنور الإيمان من الحق سبحانه والذي تتفاوت به النسب والاضافات؛ وهذه الولاية قد تكون اختصاصية كالولاية الثابتة للأنبياء والأئمة (ع)؛ إذ هم المصداق الأبرز لأولياء الله تعالى، فلهم كل العزة والهيبة والجلال في ظل ولاية الله تعالى، بل إن ولايتهم لا يقاس إليها شيء. وقد تكون اكتسابية كالولاية الثابتة للأولياء المقتضين آثارهم.
- إن اكتساب الولاية يتوقف على تحقق قرب العبد منه تعالى بالإيمان، والترقي في الدرجات، إلى أن ينتهي إلى رفع الحجب بينه وبين الرب تعالى، حيث يصل إلى المقصود المعبر عنه بفناء العارف في المعروف والشاهد في المشهود. وهذا القسم - قرب الإيمان - هو المناط في صحة إطلاق الولاية.

## الولاية الاكتسابية

كما أن الوجود إذا تنزل يبلغ في النزول إلى مرتبة تنقي أوصافه، وتختفي آثاره وأحكامه، حتى يسلب اسمه، ويذول عنه رسمه، بحيث يكون إطلاقه على المتصرمات كأصوات والحركات، والقوة الحضة الهولانية بضرب من المسامحة والعناية. فكذلك الولاية إذا نزلت وانتهت في النزول، يزول حكمها ويسلب عنها اسمها، فلا يقال للغواسق والظلمات كالأحجار والأمدار والفسقة والفجار أولياء الله؛ ذلك لانتقار نور الوجود وأوصافه وغلبة ظلمة العدم وأحكامه. فإذا خرج الوجود عن ذلك المسكن وتور بنور الإيمان، ويظهر أحكامه ويغلب أوصافه، ويصير مظهرًا لصفات الجمال والطف، ويتصف بالولاية على تفاوت الدرجات واختلاف المراتب.

الولاية الاكتسابية هي الولاية العامة التي جعلها الله تعالى لعموم المؤمنين، وهي قد تصل إلى ذروتها لدى بعض السالكين من الأولياء. ويهدف البحث هنا إلى بيان أن الولاية كالوجود؛ تشتد وتضعف، وقد تزول. وأن الاتصاف بالولاية يكون بظهور نور الإيمان في كل بحسبه.

### تمهيد

يقع البحث هنا في الولاية الاكتسابية بمعنى قرب الخلق إليه تعالى بالإيمان. والقرب هو «القيام بالطاعات، والقرب المصطلح هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما تعطيه السعادة، لا قرب الحق من العبد، فإنه من حيث دلالة ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤) قرب عام، سواء كان العبد سعيداً أو شقيماً»<sup>(٤٤)</sup>.

وتستعمل الولاية بمعنى حقيقي يشير إلى مرتبة من الكمال الوجودي الثابت لأولياء الله. كما قد تستعمل بمعنى اعتباري يشير إلى الإمارة والتولية والسلطان مما يكون لولاية الأمر. والفرق بينهما واضح؛ إذ الولاية بالمعنى الأول، تنشأ من أسباب واقعية خاصة؛ توجد بوجودها وترتفع بعدمها. أما ولاية ولاية الأمر فهي ناشئة من أسباب اعتبارية جعلية؛ والاعتبار سهل المؤونة؛ يوجد بمجرد اعتبار الاعتبارين، ويرتفع بعدمه، كما في العقود والمعاملات.

ويتوقف تحقق الولاية الواقعية بمعنى الكمال الوجودي على العلم والعمل؛ فالعلم مقرون إلى العمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه<sup>(٤٥)</sup>. فلا بد في تحصيل الولاية من اقتفاء أثر الأنبياء والأولياء في السلوك، وذلك بإزالة العوائق الذهنية والشبهات النظرية عن الذهن توصلًا إلى علم اليقين، والتطهر من الموانع الخلقية والشهوات العملية في النفس وحرث بذور الشوق والمحبة

(٤٤) الجرجاني، التعريفات (بيروت: مكتبة لبنان، طبعة ١٩٨٥)، الصفحة ١٨٢.

(٤٥) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٤، باب الحكم، الصفحة ٨٥. الحكمة رقم ٣٦٦. قال عليه السلام: «العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل. والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه».

توصلا إلى عين اليقين؛ فإن التنزه عن الشك والشبهة نظريا، والتحكم بالشهوات عمليا؛ هما من محققات الولاية ومقدمات شهود توحيد الذات والصفات والأفعال. والعرفان ليس مطلباً نظرياً، بل هو بالدرجة الأولى معرفة خاصة الحقائق في ذاتها، بمعنى مشاهدتها حضورياً في صقع الذات والظهور بها.

## أدنى مراتب الولاية

الوجود شبيه بالنور بلحاظ الظهور والإظهار؛ فكما أن النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره، كذلك الوجود كالنور؛ ظاهر بنفسه مظهر لغيره. فالوجود كالنور والعدم كالظلمة، وكل ما سوى الله تعالى فهو عدم محض.

وللنور مراتب، تشترك في حقيقة واحدة هي النور، وتختلف في شدة النور وضعفه، فنور الشمس أقوى من نور المصباح، والثاني أقوى من نور الشمعة، ولا اختلاف بينها إلا بالشدة والضعف. كذلك الوجود حقيقة واحدة ذو مراتب مشككة.

وكما أن النور يكون بنفسه ساطعاً على أشده، ويتدرج شعاعه فيكون أقل سطوعاً كلما ابتعد عن المصدر، كذلك فيض الواجب عز وجل لا انقطاع له، وإنما يستقبله كل بحسبه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد/١٧)؛ فالماء النازل من السماء إذا نزل على وريدة فواحة عبق عطرها، وإذا نزل على قذارة انبعثت رائحة كريهة، والماء ماء في الحالين: ﴿كَلَّا مَدُّهُ هُوْلَاءُ وَهُوْلَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء/٢٠). هكذا يتضاءل سطوع الوجود بحسب موقعه في مراتب الوجود النازلة حتى ينتهي إلى أفق العدم.

والولاية - كالوجود - لها مراتب ودرجات، بل إن اختلاف الولاية في الموجودات راجع إلى اختلاف مراتب الوجود؛ فإن شدة الولاية متلازمة مع شدة النور والعلم والحياة والقدرة وسائر أسماء الله الأخرى، وضعفها يتلازم مع ضعف النور والعلم والأسماء الإلهية الأخرى. ولذلك يعزى اختلاف الموجودات في قربها من الحق تعالى وبعدها عنه إلى اختلاف حجبهم، وبحسب مقدار الحجب تكون كثرة التعينات وقتلتها، واتساع الحدود والقيود الوجودية أو ضيقها، فلا يتكافأ حظ الموجودات كلها من الولاية، كما لا يتكافأ حظها من علم الحق وحياته وقدرته. وكلما كان الموجود إلى الحق أقرب، وتجرده أتم، كان حجابها أقل، وإحاطته وولايته أشد وأشمل، وبالتالي سيطرته وهيمته وتدييره في عالم الإمكان أكثر وأوسع. وكلما كان الموجود عن الحق أبعد، وتجرده أقل، كان حجابها أكثر وولايته أضعف<sup>(٤٦)</sup>.

والقرب يحصل بالعمل؛ فكل عمل يقرب المؤمن من الله فهو طريق لإثبات الولاية، ويمكن

(٤٦) للمزيد انظر: **معرفة الإمام**، مصدر سابق، الجزء ٥، الدرس ٦٥: الولاية التكوينية والتشريعية لرسول الله والأئمة عليهم السلام (بتصرف).



ملاحظة التفاوت في الخطاب القرآني بحسب مراتب القرب والبعد لدى المخاطبين؛ ففي خطاب الأنبياء، يقول تعالى في حق موسى، عليه السلام: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم/٥٢)، والمناجاة هي الكلام الخافت الذي يخاطب به الإنسان شخصاً بسبب قربه منه. وهكذا بالنسبة لعيسى، عليه السلام: ﴿وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران/٤٥).  
 أما أولئك البعيدين، فإن الخطاب معهم يتحوّل إلى نداء، بحيث ينادون الله ويناديهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة/١٧٢).

وأما الأكثر بعداً فيكون الخطاب معهم من خلال الواسطة: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ (آل عمران/٢٠)، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران/٦٤).  
 والأبعد من هؤلاء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (يوسف/٢٣).  
 وهناك من: ﴿وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ (آل عمران/٧٧).

وهذا التفاوت في الخطاب ناشئ من اختلاف مراتب القرب والبعد<sup>(٤٧)</sup>. فكما أن الوجود - على القول بكونه مشككاً - إذا تنزل في مراتبه، قد يبلغ في النزول مرتبة تنتفي أوصافه، وتخفي آثاره وأحكامه، حتى يسلب اسمه، ويزول عنه رسمه، بحيث يكون إطلاقه على مثل المتصرمات كالأصوات، والحركات، والقوة المحضة الهيولانية بضرب من المسامحة والعناية. كذلك الولاية إذا تنزلت في المراتب فقد تبلغ مرتبة يزول حكمها، ويسلب عنها اسمها. فلا يقال للغواشق والظلمات كالأحجار والأمدار والفسقة والفجار أولياء الله، فإن هؤلاء قد نزلوا إلى مرتبة من البعد المعنوي عنه تعالى، بحيث انقهر نور الوجود وأوصافه، وغلبت ظلمة العدم وأحكامه<sup>(٤٨)</sup>.

## ظهور الولاية بنور الإيمان

الإيمان شبيه بالنور بلحاظ الاهتداء؛ فكما يهتدى بالنور من غشاوة الظلمات، كذلك يهتدى بالإيمان من غشاوة الضلال والانحراف عن الصراط المستقيم. والخروج من ظلمات الضلال والعدم، إلى نور الإيمان والوجود، لا يكون إلا بالاتصاف بأوصاف الحق، والتخلق بأخلاقه، والتحقق بأسمائه وصفاته، أي بالقرب المعنوي الذي هو الولاية على ما سيأتي في تعريفها.

فإذا أراد الوجود الضعيف أن يخرج عن مسكن الذلة والبعد، فلا سبيل له إلى ذلك إلا بالقرب المعنوي من الله تعالى، والاستنارة بنور الإيمان، وحينئذ تظهر أحكام الوجود عليه، وتغلب أوصافه، ويصير مظهرًا لصفات الجمال واللطف، ويتصف بالولاية على تفاوت درجاتها واختلاف مراتبها، فإن لكل مخلوق من المخلوقات درجة خاصة من العلم والحياة والقدرة، وبالتالي حد خاص من الوجود؛ وهذا يتحدد تبعاً لملاك الولاية الذي هو القرب المعنوي إليه تعالى، وبمقدار القرب يكون

(٤٧) الشيخ جواد آملی، ولاية الإنسان في القرآن (بيروت: دار الصنفة، الطبعة ١٩٩٣م)، الصفحتان ٨١ و٨٢ (بتصرف).

(٤٨) جواد عباس كربلائی، الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، تحقيق محسن أسدي (دار الحديث، لا تاريخ)، الجزء ١، الصفحة ٢١ (بتصرف).

اتصافه بالولاية على تفاوت درجاتها واختلاف مراتبها.

## أقسام الولاية ومرتبتها الولاية المطلقة والمقيدة

تنقسم الولاية إلى المطلقة والمقيدة؛ لأنها من حيث هي صفة إلهية مطلقة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيدة متقومة بالمطلق، والمطلق ظاهر بالمقيد، فولاية الأنبياء والأولياء كلهم جزئيات الولاية المطلقة، كما أن نبوة الأنبياء جزئيات النبوة المطلقة.

البحث هنا في بيان أقسام الولاية، وارتباط هذه الأقسام بعضها ببعض. وقد تعرض الماتن إلى تقسيم الولاية إلى المطلقة والمقيدة هنا بداعي الضرورة المنهجية، وسيأتي التعرض لهذا التقسيم بالتفصيل في طيات مباحث الولاية الاختصاصية.

### الولاية مطلقة ومقيدة

تنقسم الولاية إلى المطلقة والمقيدة؛ فإن الولاية من حيث هي صفة إلهية تكون مطلقة وعامة<sup>(٤٩)</sup>: «ليس لها حد محدود، ولا نعت موجود»<sup>(٥٠)</sup>. ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء - كل على حسب قربه منه تعالى - تكون مقيدة وخاصة.

فالإطلاق هنا صفة للولاية باعتبار أن الولي فإن عن نفسه باقٍ بربه، والتقييد صفة له باعتبار أنه صاحبها قائم بها، وهي مضافة إليه؛ وباعتبار أعمالها في الخلق الموجب للتقييد، تخرج الولاية عن الإطلاق.

### العلاقة بين المطلق والمقيد

المقيد متقوم بالمطلق، لا تحقق له بدونه؛ ذلك أن الولاية لما كانت صفة إلهية، فهي الأصل. وهذا الأصل - المطلق - إنما يظهر في المقيد؛ لأن المطلق لا ظهور له بنفسه، وإنما يظهر في القيود والخصوصيات التي هي ظهوراته.

من هنا، كانت نبوة الأنبياء من حيث إنهم مظاهر المطلق هي جزئيات النبوة المطلقة، وولاية الأولياء كذلك جزئيات الولاية المطلقة. وحيث إن الظهور في الخلق مقيد، وأثر للمطلق، ومتقوم به، فالولاية باعتبار ظهورها في النبي والولي، وقيامها بهما، تكون مقيدة.

(٤٩) لأنها من حيث هي صفة إلهية مطلقة ثابتة للذات الربوبية المقدسة، بمقتضى ذاته المقدسة. للمزيد انظر: الأنوار الساطعة في شرح

الزيارة الجامعة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٢٢.

(٥٠) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٤.

## خلاصة

الأنبياء والأئمة، عليهم السلام، لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهية، حيث إن ولايتهم مظاهر الولاية الإلهية، وجزئيات للولاية الإلهية، فلها من آثار السلطنة والتولية ما للولاية الإلهية منها، وإليه يشير قوله، عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله تعالى»<sup>(٥١)</sup>. كما أن نبوة الأنبياء جزئيات النبوة المطلقة المحمدية (ص).

## الولاية العامة

تنقسم الولاية إلى العامة والخاصة. والأولى: هي التي تعم جميع المؤمنين بأصنافهم، وتشمل كل من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً بمراتبهم كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. فإن الإيمان له مراتب ودرجات.

يتعرض البحث إلى تقسيم الولاية إلى عامة وخاصة، وتعريف الولاية العامة، وبيان حقيقة الإيمان، وقابليته للتشكيك، وعلاقة العمل به.

## تعريف الولاية العامة

تنقسم الولاية إلى قسمين: ولاية عامة وولاية خاصة. والولاية العامة تعم كل من آمن بالله وعمل صالحاً؛ والولاية الخاصة تختص بالسالك في المقامات المعنوية عند بلوغه غاية القرب الإلهي وأيداعه القلب عند الله بحيث لا يرى مؤثراً غيره تعالى. فالولاية العامة ترتبط بالإيمان والعمل الصالح، ويتوقف توضيح المطلب على بيان أمور:

## الإيمان لغةً وشرعاً

الإيمان لغة هو التصديق<sup>(٥٢)</sup>، وهو من الأمن، بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها، وحينئذ فـ «أمن به» سكنت نفسه إليه واطمأنت بسبب قبول قوله وامتثال أمره. والتصديق هو القبول والإذعان بالقلب، وقيل: معناه قبول الخبر أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان. وأما شرعاً، فالإيمان هو التصديق بالقلب.

## الإيمان هو التصديق اليقيني

التصديق هو العلم الحاصل للنفس بما يتحقق به الإيمان. وأصول الإيمان ثلاثة: التصديق بوحداية الله في ذاته تعالى، والعدل في أفعاله. والتصديق بنبوة الأنبياء، عليهم السلام. والتصديق بإمامة

(٥١) محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات (طهران: منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ)، الصفحة ٩٥.

(٥٢) الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد العطار (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ٤، ١٩٨٧م)، الجزء ٥، الصفحة ٢٠٧١.

الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء، عليهم السلام<sup>(٥٣)</sup>. فالإيمان هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله وحكمته، وبالنبوة، وبكل ما علم بالضرورة مجيء النبي، صلى الله عليه وآله، به مع الإقرار بذلك، والتصديق بإمامة الأئمة الاثني عشر، عليهم السلام، وإمام الزمان، عليه السلام. ويتطلب الإيمان بهذه المعارف تصديقاً يقينياً جازماً ثابتاً؛ ذلك أنّ المعرفة واجبة بالدليل، والتقليد غير كاف فيها لإفادته الظن. من هنا أطبق العلماء على وجوب معرفة الله تعالى بالنظر، وليس بالتقليد، إلا من شذ منهم. وإنما وجبت المعرفة لحكم العقل بوجوب شكر المنعم، وعدم جواز تقليد غير المحق؛ وإنما يعلم المحق من غيره بالنظر.

والتصديق قد يحصل بغير اختيار وكسب، بأن يتفق حصوله بكشف، وإلهام، وتصفية نفس، أو بمشاهدة المعجزة مع سبق دعوى النبوة، من غير أن يكون الناظر في المعجزة قاصداً لتحصيل الحق؛ فإنه إذا شاهد المعجزة حصل له في الحال العلم الضروري بصدق المدعي في كل ما ادّعه، ولا ريب في تحقق الإيمان بذلك مع أنه لم يكتسبه باختياره. والإيمان يثاب عليه سواء أكان عن اختيار أو بغيره؛ ذلك أنه فعل العبد؛ أعم من كونه مباشرة وتوليداً.

### مراتب الإيمان

إن حقيقة الإيمان التي بها يصير الإنسان مؤمناً عند الله تعالى، لا تقبل الزيادة؛ لأن الإيمان هو التصديق القلبي الذي بلغ الجزم والثبات، فلا تتصور فيه الزيادة عن ذلك، سواء أتى بالطاعات وترك المعاصي أم لا، كما لا يعرض له النقص إلا لما كان ثابتاً. وما ورد في الكتاب العزيز والسنة، مما يشعر بقبول الإيمان الزيادة والنقصان، فمحمول على زيادة الكمال، وهو أمر خارج عن أصل الحقيقة. فالزيادة تعرض من جهة كمال الايمان، وليس من جهة أصل الإيمان. وعليه، فأقل مرتبة من مراتب الولاية العامة هي مرتبة حقيقة الإيمان، ولا بد من حصول اليقين فيها. وأما المراتب التي يشتمل عليها الإيمان فهي راجعة إلى كمال الإيمان، وتختص الولاية الخاصة بأعلى درجاتها. وحيث إن حقيقة الإيمان محفوظة في جميع المراتب، فتشملها الولاية العامة التي تعم جميع المؤمنين بأصنافهم، والتي تشمل كل من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً بمراتبهم.

### العمل الصالح شرط قبول الإيمان

استدل على أنّ الأعمال ليست نفس الإيمان أو جزءاً منه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة/ ٢٧٧) فإن العطف يقتضي المغايرة. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (طه/ ١١٢) فإن الظاهر من التقارن أن الأعمال شرط وليست جزءاً من أصل الإيمان. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (الحجرات/ ٩) فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض

(٥٣) الشهيد الثاني، حقائق الإيمان (قم: مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ)، الصفحة ١١٥.

المعاصي. ولقوله (ع): «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك»<sup>(٥٤)</sup>. وكذا ما روي أن جبرئيل (ع) أتى النبي (ص) فسأله عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر»<sup>(٥٥)</sup>. ولو كان فعل الجوارح أو غيره من الإيمان لذكره له. فالإيمان شرط لسائر العبادات، والشيء لا يكون شرطاً لنفسه، فلا يكون الإيمان هو العبادات. كما أن فساد العبادات لا يوجب فساد الإيمان، وذلك يقتضي كون الإيمان غير أعمال الجوارح. وعليه، فالعمل الصالح شرط لقبول الإيمان.

## مرتبة علم اليقين

منها: اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع من دون برهان كاعتقاد المقلد المصيب، فإنه ليس مستنداً ومأخوذاً من البرهان، إنما استناده إلى مخبر صادق وقد حصل له القطع بصدقه. ومنها: أن يتصور الأمر على ما هو عليه، ولكنه كان مستنداً إلى البرهان المفيد للقطع، وهذا أرفع وأقوى، كإيمان أصحاب الفكر وأهل النظر. وكلاهما مرتبة اليقين.

يتعرض البحث إلى التعريف بحقيقة اليقين، وإلى بيان مراتبه من حيث الإيمان الناشئ من اليقين الارتكازي، والإيمان الناشئ من اليقين العقلي التفصيلي.

## حقيقة اليقين

الإيمان هو التصديق اليقيني، ولليقين معنيان:

أحدهما اليقين بالمعنى الأعم، وهو مطلق الاعتقاد الجازم. وثانيهما اليقين بالمعنى الأخص، وهو الاعتقاد المطابق للواقع، الذي لا يحتمل النقيض فيه، لا عن تقليد. وهذا اليقين لا يشمل الجهل المركب، والظن، والتقليد.

وقد ذهب الشهيد الثاني إلى أن حقيقة الإيمان ومقداره هو من الأمور الاعتبارية التي يرجع في العلم بها إلى جعل الشارع وتقريره، فلا يعلم حينئذ مقدار الإيمان وحقيقته إلا منه تعالى. وما وصل إلينا من خطابه تعالى لا يدل دلالة قطعية على تعيين قدر مخصوص من أنواع الاعتقادات، لذلك يمكن أن يكون مراده من الإيمان مطلق الاعتقاد العلمي، سواء كان علم الطمأنينة [وهو الإيمان الارتكازي اليقيني]، أو علم اليقين، أو حق اليقين، أو عين اليقين [وهو الإيمان التفصيلي اليقيني بمراتبه]، فيكون حقيقة واحدة، وهو الإذعان القلبي والاعتقاد العلمي، والتفاوت بالزيادة والنقصان

(٥٤) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد (بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة ١، ١٩٩١م)، الصفحة ٨٢.

(٥٥) حقائق الإيمان، مصدر سابق، الصفحة ٧٢.

إنما هو في أفراد تلك الحقيقة ومشخصاتها، فلا يكون داخلاً في حقيقة الإيمان. وما ورد مما ظاهره الاختلاف في الدلالة على مراد الشارع منه، يمكن تنزيهه على تفاوت الأفراد المذكورة، كعلم الطمأنينة وعلم اليقين وغيرها، فيكون كل واحد منهما مراداً وكافياً في امتثال أمر الشارع، وهذا هو المناسب لسهولة التكليف واختلاف طبقات المكلفين في الإدراك. وبذلك يسهل الخطب في الحكم بإيمان أكثر العوام الذين لا يتيسر لهم الاتصاف بالعلم الذي لا يقبل تشكيك المشكك، فإن علم الطمأنينة يتيسر لكل واحد. وعلى هذا فيكون ما تشعر النفس به من الازدياد في التصديق والاطمئنان الحاصل بسبب برهان أو عيان إنما هو انتقال وتبدل بين أفراد تلك الحقيقة الواحدة<sup>(٥٦)</sup>.

وعليه، فالمقصود باليقين هنا هو الاعتقاد اليقيني الجازم المطابق للواقع، ولكن مع توسعة بحيث يشمل التقليد الذي معه جزم. على أن ما تقدم هو بلحاظ عموم المكلفين مما يتناوله الفقيه والمتكلم، أما بالنسبة للعرفاء فكان نظرهم هو جانب الحقيقة والباطن في الأشياء، وإبراز هذا الجانب لا يكون إلا لمن حاز على أعلى المراتب في الإيمان. من هنا، كان نظرهم منصباً على المراتب العليا في درجات اليقين دون إهمال المراتب الدنيا منها.

## مراتب اليقين

عموماً، يطلق اليقين على مرتبتين:

### ١ - مرتبة الإيمان الارتكازي

وقد يسمى بعلم الطمأنينة، وهو اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع، ولكن من دون برهان. كاعتقاد المقلد المصيب، فإنه ليس مستنداً ومأخوذاً من البرهان، إنما استناده إلى مخبر صادق وقد حصل له القطع بصدقه.

وأوضحه الإمام الخميني (ره) بأنه ما يحصل بالتوجه إلى المقامات ارتكازاً، وحضور القلب في العبادات إجمالاً، بأن يفهم الإنسان قلبه أن باب العبادات باب ثناء المعبود، وأنه يثني على الله تعالى بما أثنى الحق تعالى به على نفسه، ويوجه قلبه من أول العبادة إلى آخرها إلى هذا المعنى إجمالاً، وإن كان هو لا يعلم بكيفية ثنائه، وبماذا يثني، ولماذا يمدح، مثله كمثل شاعر يمدح أحداً بقصيدته ويعلم طفلاً أن هذه القصيدة هي لمدح فلان، ولكن الطفل لا يدري كيف مدح الشاعر الممدوح، وبأي شيء مدحه، ولكنه حين قراءته القصيدة يعلم إجمالاً أنه يمدحه وإن لم يعلمه تفصيلاً.

إن أصحاب الحضور الإجمالي في العبادة، لا يعلمون من الصلاة وغيرها من العبادات سوى الصورة والقشر، ولكنهم يدركون المفاهيم العرفية للأذكار والأدعية والقراءة. وحضور القلب لهم أن

(٥٦) حقائق الإيمان، مصدر سابق، الصفحة ١٠٤.

يحضروا في وقت الذكر أو القراءة مفاهيمها في القلب ، فتحضر قلوبهم عند المناجاة مع الحق<sup>(٥٧)</sup> .

## ٢ - مرتبة الايمان التفصيلي

الإيمان التفصيلي هو بأن يكون السالك متوجّهاً وحاضراً في جميع أعماله تفصيلاً، وعالمًا بماذا يصف الحق في عباداته، وكيف يناجيه. وله أنحاء متفاوتة على حسب تفاوت القلوب ومعارف السالكين في القرب، وهي كما يلي:

### علم اليقين

المقصود به هو القرب العلمي النظري والذي يعبر عنه عادة بعلم اليقين، وهو يحصل نتيجة للإحاطة بالأدلة والبراهين الدالة على وجود الله تعالى، ووحدانيته، وما يرتبط بذلك مما يرجع إلى إثبات ذلة العبودية وعزة الربوبية بالبرهان العلمي والفلسفي.

ويرى الإمام الخميني (ره) أنّ أصحاب هذا المقام هم الذين يفهمون حقائق العبادات والأذكار والقراءة بالقدم العقلي الفكري، فيعلمون مثلاً بالبرهان العقلي كيفية رجوع جميع المحامد إلى الحق، ويعلمون حقيقة الصراط المستقيم وحقيقة معاني سورة التوحيد التي هي أصول المعارف؛ كل ذلك بدم الفكر والعقل. وحضور القلب في العبادة هو أنّ تحضر قلوبهم تفصيلاً عند ذكر هذه الحقائق والمحامد، ويعلمون ما يقولون، وكيف يثنون على الحق ويحمدونه. وينبغي على السالك أن يدرك أنه لا يصح الاكتفاء بالسلوك العلمي هذا؛ ذلك أن سالك سبيل العبودية في هذا المنزل يقع في حجاب العلم، ولا بد من أن لا يبقى في هذا الحجاب وأن يخرقه؛ وإلا فإنه إذا اقتنع بهذا المقام وسجن قلبه في هذا القيد يقع حينئذ في مغبة الاستدراج، فيشتغل بالتفريعات العلمية والبراهين الكثيرة، ويغفل عن النتيجة المطلوبة وهي الوصول إلى الله<sup>(٥٨)</sup> .

### مرتبة عين اليقين

ومنها : العلم الشهودي الإشرافي المطابق للواقع المعبر عنه بالكشف الصحيح، وهذا أقوى من المرتبتين السابقتين، كإيمان أهل السلوك وأصحاب الكشوف، ويكون كرتبة عين اليقين .  
وكل هؤلاء أولياؤه تعالى، والله تعالى وليهم، وتفاوت درجاتهم على حسب درجات إيمانهم .

يهدف البحث في مرتبة عين اليقين إلى التعريف بحقيقة العلم الشهودي، وبيان مراتبه، وعلاقة الإيمان العلمي والعيني بالولاية.

(٥٧) للمزيد انظر: الإمام الخميني، سر الصلاة أو صلاة العارفين (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الطبعة ١، ١٩٩٥م)، الصفحات ٦٩ - ٨١ (بتصرّف).

(٥٨) للمزيد انظر: سر الصلاة أو صلاة العارفين، مصدر سابق، الصفحات ٦٩ - ٨١ (بتصرّف).

## تعريف عين اليقين

وهو قرب المعاينة والشهود، ومرتبة الإيمان الشهودي. وإنما يعبر عنه بعين اليقين لأجل معاينة العبد بقلبه حقائق هذا المقام. وقد عرفوا علم اليقين بأنه ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه، وعين اليقين بأنه ما أعطته المشاهدة والكشف ابتداءً، بعد علم اليقين<sup>(٥٩)</sup>.

ومرتبة عين اليقين تأتي بعد مرتبة علم اليقين، فهي إيمان القلب بعد إيمان العقل. وإيمان القلب هو أن كل ما أدركه العقل بقوة البرهان والسلوك العلمي يكتبه بقلم العقل على صحيفة القلب، كي يوصل حقيقة ذل العبودية وعز الربوبية إلى القلب، ويفرغ من القيود والحجب العلمية، ويحصل له الإيمان القلبي بالحقائق. وبهذا، يمتاز أهل العلم عن أهل الإيمان، وليس كل من هو من أهل العلم فهو أهل للإيمان.

## مراتب عين اليقين

للإيمان القلبي مراتب، قد تصل إلى درجة الاطمئنان، وفوقها مقام المشاهدة.

### أ. الاطمئنان

يلزم للسالك أن يدخل نفسه في سلك المؤمنين بعد سلوكه العلمي، ويوصل إلى قلبه عظمة الحق كي يخشع قلبه، ويصل إلى مقام الاطمئنان بأن يكون قلبه موكباً في اليقين لعقله في درجة اليقين، وهو في الحقيقة المرتبة الكاملة من الإيمان. قال تعالى مخاطباً خليفه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة/٢٦٠).

ومقام الاطمئنان عبارة عن أن يأتي السالك بالعبادة مع سكون القلب واطمئنان خاطر. وأصحاب الطمأنينة - كما يقول الإمام الخميني (ره) - يدركون الحقائق بقدم الفكر والعقل، ويكتبونها بقلم العقل على لوحة القلب، وقد عرفت قلوبهم تلك الحقائق وأمنت بها. فكم من أمر يدركه الإنسان بالعقل ويقيم البرهان على ما أدركه ولكنه لم يصل إلى مرتبة الإيمان القلبي، وإلى المرتبة الكاملة منه وهي الاطمئنان ولم يترافق قلبه مع عقله في ذلك.

### ب. المشاهدة

وفوق مرتبة الطمأنينة هناك مرتبة المشاهدة: وهي نور إلهي وتجل رحماني يظهر في سر السالك تبعاً للتجليات الأسمائية والصفاتية، وينور جميع قلبه بنور شهودي، ولهذا المقام درجات كثيرة.

وأصحاب هذه المشاهدة هم الذين أوصلوا هذه الحقائق إلى مرتبة القلب، ووصلوا إلى مقام كمال الاطمئنان، وبالإضافة إلى ذلك وصلوا إلى مرتبة الكشف والشهود بالمجاهدات والرياضات، فيعانون الحقائق بالعين الملكوتية والبصيرة الإلهية مشاهدة حضورية وبالحضور العيني بما يناسب

(٥٩) للمزيد انظر: الفتوحات المكيّة، مصدر سابق، الصفحة ١٢٢.



قلوبهم<sup>(٦٠)</sup>.

ويمكن القول إن مقام عين اليقين هو مقام الإيمان القلبي، والطمانينة تامة، والمشاهدة أثره.

### علاقة الإيمان العلمي والعيني بالولاية

اليقين سواء كان ارتكازياً أم تفصيلياً؛ عقلياً أم قلبياً، هو تعبير آخر عن القرب بالولاية، إلا أن القرب بهذه الولاية قرب عام باعتبار أنه لم يصل إلى درجة الخلو؛ والسري في ذلك أن أصحاب الولاية العامة - بكل مراتبهم - وإن كانوا قد خرجوا بإيمانهم عن الشرك الجلي، وحصل لهم القرب المعنوي بالنسبة إليه تعالى، إلا أنه لا تخلص لهم عن الشرك الخفي، وإنما يتم التخلص من الانية والأنانية بعد ارتقاء السالك من مقام المشاهدة إلى مرحلة غياب الشاهد في المشهود وفنائه فيه، والمعبر عنه بحق اليقين، وبالولاية الخاصة.

### الولاية الخاصة

والثانية: وهي الخاصة، تختص بالسالكين عند فنائهم في الحق، ويقائهم به علماً وشهوداً وحالاً، لا علماً فقط. والخاصة عبارة عن فناء العبد في الحق ذاتاً وصفة - والمعبر عنه بالحق والطمس وإخو إشارة إلى توحيد الذات والصفات والأفعال - بل أثراً أيضاً، ولسانها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾.

يتعرض البحث لتعريف الولاية الخاصة، وبيان شروطها، ومراتبها.

### تمهيد

إن مراتب القرب ثلاثة، وهي: العلم، والشهود، والحال.

١. العلم: إشارة إلى القرب البرهاني النظري المسمى بعلم اليقين.
  ٢. الشهود: إشارة إلى القرب الإيماني الشهودي المسمى بعين اليقين.
  ٣. الحال: إشارة إلى فناء الشاهد في المشهود المسمى بحق اليقين.
- فالأول والثاني من مراتب الولاية العامة، والثالث يختص بأهل الولاية الخاصة.

### تعريف الولاية الخاصة

تقدم تعريف الولاية الإلهية بأنها صفة من صفات الله تعالى، وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي

(٦٠) سر الصلاة أو صلاة العارفين، مصدر سابق، الصفحات ٦٩ - ٨١ (بتصرف).

الظهور. كما تقدم تعريف الولاية العامة التي تصف علاقة الإنسان بربه على أنها قرب الإيمان والعمل الصالح والتي تعم المؤمنين على اختلاف مراتبهم في الإيمان.

أما الولاية الخاصة التي هي الولاية على الحقيقة باصطلاح أهل العرفان، فهي الولاية التي ينتهي فيها الولي إلى أعلى درجات القرب منه تعالى، وهذا القرب هو مرتبة خاصة يعبر عنها في الاصطلاح بتعابير مختلفة:

فمن جهة، يعبر عنها بالتخلق بأخلاق الله، والتحقق بأوصافه تعالى، فالولي هو المتخلق بأخلاق الله تعالى والمتحقق بأوصافه، فيكون علمه علمه، وقدرته قدرته، وفعله فعله. قال، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «تخلقوا بأخلاق الله»<sup>(٦١)</sup>.

ومن جهة ثانية، يعبر عنها بقيام العبد بالله تعالى، وأن الولي هو القائم بالله. ومن جهة ثالثة، يعبر عنها بالفناء في الله والبقاء به، وأن الولي هو الفاني في الله الباقي به. والمقصود من الجميع هو الإشارة إلى أن الولاية الخاصة تختص بالسالك الذي تجاوز مقام المشاهدة إلى مقام فناء الشاهد في المشهود وبقائه به، بأن أحرز كافة مراتب القرب الإلهي. وسيأتي مزيد توضيح عند تفسير معنى الولي.

### مراتب الولاية الخاصة

الولاية الخاصة عبارة عن فناء العبد في الحق ذاتاً، وصفةً، وفعلاً؛ لذلك جعلوا مراتبها بحسب درجات الفناء؛ «فأول منزل من منازل أودية الفناء محو الأفعال في فعل الحق، ثم منزل محو الصفات، ثم منزل محو الذات»<sup>(٦٢)</sup>. إذ إن درجة الفناء والبقاء المطلق هي أعلى مراتب القرب الإلهي المتحقق بالفناء الذاتي.

ذلك أن الذات محجوبة بالصفات، والصفات محجوبة بالأفعال، والأفعال محجوبة بالأكوان. والعارف، من خلال سلوكه المعنوي، يسعى إلى خرق تلك الحجب، فيبدأ بتحقيق مقام وحدة الأفعال، ويفنى فيها، بأن لا يشهد فاعلاً إلا الله؛ ثم يرتقي إلى تحقيق مقام وحدة الصفات، ويفنى فيها، فلا يشاهد سميماً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً ولا حياً ولا عليماً ولا قادراً إلا الله؛ ليصل بعد ذلك إلى مقام وحدة الذات، ويفنى فيها، بحيث لا يشاهد موجوداً على الحق إلا الله تعالى.

ويعبرون عن مراتب الفناء الثلاث بالمحو والطمس والمحق على الترتيب: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَمَكِّحٍ بِالْبَصْرِ﴾ (القمر/ ٥٠).

والطمس أن يرى كل صفة كمالية مقهورة مبهورة في صفته، والأسماء الحسنی كلها لله، والعظمة

(٦١) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٥٨، الصفحة ١٢٨.

(٦٢) عبد الرزاق الكاشاني، شرح منازل السائرين، الصفحة ١٦٩.

له، والحمد له؛ إذ الثناء له أينما وقع.

والمحق أن يشاهد كل وجود منطوياً في وجوده فإنه الوجود الصرف والوجوب البحت والموجود في نفسه لنفسه بنفسه، وكل ذات منمحقّة عند ذاته فإنه القائم بالذات والقيوم على الإطلاق، وكل هوية متلاشية في هويته؛ فإنه هو المطلق، وهوية كل هو.

وعليه، الفناء هو عبارة عن نهاية سير السالك إلى الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر/ ١٥). وهو يستوجب البقاء، وهو عبارة عن بداية السير في الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (فاطر/ ٤١)، ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة/ ٤١). فالولي الخاص هو الفاني فيه تعالى الباقي به؛ ذاتاً، وصفةً، وفعلاً.

وهذه المراتب الثلاث للفناء تشكل مراتب التوحيد الثلاث؛ ذلك أن الشهود والعرفان له درجات ومراتب؛ وكلما تحققت منه درجة توفرت المعرفة بقدرها؛ فالدرجة الأولى مشاهدة التوحيد الأفعالي، والفناء فيه وهو المحو؛ والدرجة الثانية مشاهدة التوحيد الصفاتي، والفناء فيه وهو الطمس؛ والدرجة الثالثة مشاهدة التوحيد الذاتي، والفناء في الذات المقدسة للحق تعالى وهو المحق. فلا يتحقق الكمال لأحد إلا إذا تحققت الدرجات الثلاث من الفناء في فعل الحق واسمه وذاته؛ وهذا هو مقام التوحيد المطلق. وبهذه المراتب الثلاث للفناء يحصل التوحيد الذاتي والصفات والأفعالي. وهو الولاية الخاصة.

وينقسم الفناء بلحاظ آخر إلى قسمين: فناء الظاهر وفناء الباطن.

- فناء الظاهر: هو فناء الأفعال، وهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته، فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق، ثم يأخذ في المعاملة مع الله بحسبه. وليس للفاني أي إرادة أو اختيار فعل إلا إرادة الله واختياره سبحانه. وهذا الفناء هو لأرباب القلوب والأحوال.

- وفناء الباطن: وهو فناء الصفات والذات، بأن يكشف تارة بالصفات، وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات، ويغلب الحق على أفعاله فيستولي على باطنه حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس. وهذا الفناء هو لمن أطلق عن وثاق الأحوال، وصار بالله لا بالأحوال<sup>(٦٣)</sup>.

ويتضح مما تقدم، أن بلوغ مقام الولاية؛ هو بلوغ الولي مرحلة من مراحل السير والسلوك والعرفان والشهود الإلهي يزول معها كل حجاب من الحجب النفسانية بينه وبين الحق جل شأنه، وتضمحل شوائب الأنانية كلها في وجوده، ويظفر بمقام العبودية المطلقة المجردة للحق جل وعز. فإن ولاية الحق تخص هؤلاء الذين اجتازوا مراحل الشرك الخفي تماماً، واخترقوا الحجب النفسانية كلها، وقرقراهم في حقيقة العبودية.

(٦٣) أبو حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، من سلسلة مجموعة ذخائر العرب، رقم ٧٢

(القاهرة: دار المعارف، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٣١٢.

## مقاربة مفهوم الولي والأولياء والفناء والبقاء حقيقة الولي

الولي هو الفاني فيه تعالى الباقي به. وليس المراد بالفناء انعدام عين العبد مطلقاً. بل المراد منه فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية، فإن العبد مبدأ لأفعاله وصفاته قبل الاتصاف بمقام الولاية من حيث البشرية، وبعد اتصافه بها هو مبدؤها من حيث الجهة الربانية، كما نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام: «قلعت باب خبير بقوة ربانية». وورد في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر».

يتعرض البحث لبيان أمور ثلاثة: تعريف الولي، وتعريف الفناء، ومبدئية صدور فعل العبد. ويهدف لمعرفة حقيقة الولي، ومعنى اتصافه بالولاية.

### تعريف الولي

الولاية مرتبة من مراتب القرب الإلهي، هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وتبديل أخلاقه بأخلاقه، وتحقيق أوصافه بأوصافه<sup>(٦٤)</sup>. والولي اسم لمن فني عن صفاته وأخلاقه وتخلق بأخلاق الله<sup>(٦٥)</sup>. فهو الفاني في الله سبحانه وتعالى، والباقي به، والظاهر بأسمائه وصفاته<sup>(٦٦)</sup>. وهو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن<sup>(٦٧)</sup>.

ومحصّل هذه التعريفات، أن الولي هو من تواتت طاعته لله، وفني عن صفاته وأخلاقه بالتحقق بأوصافه تعالى والتخلق بأخلاقه. فرجع إلى البقاء به، وصار عارفاً بالله وصفاته بحسب ما يمكن، ظاهراً بأسمائه وصفاته. فيتوقف معرفة الولي على تعريف الفناء.

### تعريف الفناء

تقدم أنّ الولاية العامة هي التي تحصل لكل من آمن بالله وعمل صالحاً، فهي تعمّ جميع المؤمنين. وأما الولاية الخاصة فتختص ببعض السالكين؛ والسالك على قسمين، سالك غير واصل إلى الله، وسالك واصل. والأول يدخل في الولاية العامة، والثاني يدخل في الولاية الخاصة التي هي الفناء والبقاء في الله، والفناء عبارة عن نهاية سير السالك إلى الله، والبقاء هو عبارة عن بداية السير في الله. فالولي الخاص هو «الفاني في الله، القائم به، المتخلق بأسمائه وصفاته تعالى»<sup>(٦٨)</sup>.

(٦٤) حيدر الأملي، نص النصوص في شرح فصوص الحكم، الصفحات ٢٦٩ - ٢٧٠ و ١٦٧ - ١٦٨.

(٦٥) القيصري، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، الصفحة ١٤٠.

(٦٦) عبد الرحمن الجامي، نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، لا تاريخ)، الصفحتان ٢١٣ و ٢١٤.

(٦٧) التعريفات، مصدر سابق، الصفحة ٢٧٥.

(٦٨) ملا صدرا، مفاتيح الغيب، الصفحتان ٤٨٧ و ٤٨٨.

وليس المراد بالفناء انعدام عين العبد بحيث إنّ العبد يصير معدوماً بتمامه بعد أن كان موجوداً، بل هو الفناء في العرفان لا الفناء في الأعيان، وهو الفناء عن جهة عدمية لا وجودية؛ واجتياز الحدود العدمية وليس أصل الوجود؛ فإن أصل الوجود باق في السير إلى الله. فالفناء بمعنى أن جهة في العبد تنعدم وتبقى فيه جهة أخرى. ويقع البحث في تحديد هذه الجهة.

## جهة الفناء

### . فناء المخالفات

وهو - كما ذكروا - أن يكون العبد فانياً عن المخالفات باقياً في الموافقات، وتصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً<sup>(٦٩)</sup>. وليس معناه أنه إذا انتفت المخالفات تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً، بمعنى أنه إذا صارت المخالفات له موافقات، فيكون ما نهى عنه كما أمر به، فإن هذا المعنى يستلزم نفي الشريعة بالنسبة إليه. وإنما معناه: أن لا يجري عليه إلا ما أمر الله تعالى به، وما يرضاه له، دون ما يكرهه.

### . فناء البشرية

قد يتوهم بعضهم من قولهم: «إذا فني عما له، بقي بما لله» أن المراد بالفناء هو فناء قالب البشرية، وأن الجثة إذا ضعفت بترك الطعام والشراب، وزالت بشريتها، فيصير موصوفاً حينئذ بالصفات الإلهية. وسبب هذا التوهم هو عدم التمييز بين البشرية وبين أخلاق البشرية؛ فإن البشرية لا تزول عن البشر؛ كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود، ولا لون البياض عن الأبيض، وأخلاق البشرية تتبدل وتتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية<sup>(٧٠)</sup>. فليس للعبد في وجود الحق إلا الحكم، لا العين<sup>(٧١)</sup>.

### . فناء الحفظ

قيل: إذا فني العبد في الحق، فهو يفعل ما يفعل لله، لا لحظ نفسه؛ فكما أن الله تعالى يفعل الأشياء لغيره، لا لنفع نفسه أو دفع مضرة عنها، فكذلك الفاني عن نفسه الباقي بالحق؛ يفعل الأشياء لا لجر منفعة إلى نفسه ولا لدفع مضرة عنها، وبذلك تكون قد سقطت عنه حظوظ نفسه، فلم يعد يطلب المنافع لها. فالولي هو الفاني الباقي باعتبار أن «الفناء زوال الحفظ

(٦٩) الكلاباذي، التعرف، تحقيق أحمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٩٩٢م)، الصفحتان ١٤٢ و١٤٣.

(٧٠) السراج الطوسي، الملح، تحقيق عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي سرور (مصر: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٠م)، الصفحة ٥٤٣. قال: "والذي أشار إلى الفناء أراد به فناء رؤية الأعمال والطاعات ببقاء رؤية العبد لقيام الحق للعبد بذلك. وكذلك فناء الجهل بالعلم، وفناء الغفلة بالذكر".

(٧١) عبد الرزاق الكاشاني، رشح الزلال، تحقيق سعيد عبد الفتاح (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٥م)، الصفحة ٨٩.

الدينيوية والأخروية، والبقاء بقاء الرغبة إلى الحق تعالى»<sup>(٧٢)</sup>. وبذلك يكون فانيًا عن أوصافه باقياً بأوصاف الحق.

ولكن، ليس معناه أنه لا يجد حظاً فيما يفعل لله تعالى من طمع ثواب أو خوف عقاب مطلقاً. بل هما - الخوف والطمع - باقيان معه، قائمان فيه. فهو يفعل ما يفعله لله راغباً في ثواب الله وموافقته تعالى؛ لأنه تعالى رغب فيه وأمر أن يسأل ذلك منه. والعبد يخاف عقابه إجلالاً له وموافقة له؛ لأنه تعالى خوف عباده<sup>(٧٣)</sup>، فلا معنى لفناء الحظوظ مطلقاً.

### . فناء الإحساس

الفناء كما يظهر من البعض هو زوال الشعور وفقد الإحساس؛ «فقد يحدث أن يركز الإنسان فكره في مسألة من أمور الدنيا أو من أمور العلم، فيستغرق فكره كله فيها إلى حد أنك تحدثه فلا يسمعك، وتكون بين يديه فلا يراك، وترى في عينه جموداً في تلك الحالة. فإذا عثر على مطلوبه، أو طراً أمر يرده إلى إحساسه، حينئذ يراك ويسمعك. والفناء بهذا يعني زوال الشعور والإحساس من الإنسان بسبب حال اعتراه. قال أبو القاسم فارس: الفناء حال من لا يشهد صفته، بل يشهدها مغمورة بمغيبها. وقال أيضاً: فناء البشرية ليس على معنى عدمها، بل على معنى أن تغمد بلذة توفى علي رؤية الألم، واللذة الجارية على العبد في الحال كصواحيبات يوسف، عليه السلام: ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (يوسف/٥٠)؛ لفناء أوصافهن، ولما ورد على أسرارهن من لذة النظر إلى يوسف مما غيبهم عن ألم ما دخل عليهن من قطع أيديهن»<sup>(٧٤)</sup>.

«وقد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان؛ أو محتشم، فيذهل عن نفسه، وعن أهل مجلسه هيبة، وربما يذهل عن ذلك المحتشم، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيبات ذلك الصدر، وهيبات نفسه، لم يمكنه الإخبار عن شيء. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْرِمَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (يوسف/٣١). لم يجدن عند لقاء يوسف، عليه السلام، على الوهلة ألم قطع الأيدي، وهن أضعف الناس، وقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (يوسف/٣١)، ولقد كان بشراً، وقلن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف/٣١)، ولم يكن ملكاً. فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه؟! فلو تغافل عن إحساس بنفسه وأبناء جنسه، فأى أعجوبة فيه؟!»<sup>(٧٥)</sup>.

«فإذا فنى عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجوداً.

(٧٢) عز الدين محمود الكاشاني، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، الصفحتان ٤٢٦ و٤٢٧.

(٧٣) التعرف، مصدر سابق، الصفحة ١٤٢.

(٧٤) المصدر نفسه، الصفحة ١٤٥.

(٧٥) القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشريف (القاهرة: مجلة كتاب الشعب، ١٩٨٩م)، الصفحة ١٤٩.

وإذا قيل: فني عن نفسه وعن الخلق، فنفسه موجودة والخلق موجودون. ولكنه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، ولا خبر، فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير محس بنفسه وبالخلق»<sup>(٧٦)</sup>.

وعليه، ليس المراد بالفناء هواناً بالمخالفات وبقاء الموافقات، مما تقتضيه التوبة النصوح، ولا زوال الرغبة والحرص والأمل، مما يقتضيه الزهد. ولا فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة، مما يقتضيه تزكية النفس. ولا فناء الإحساس ونحوه مما يتضمن معنى الفناء من بعض الوجوه. وإنما المراد به حقيقة ما، أشاروا إليها بآثارها من الفناء المطلق، وما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد، فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد. وهو فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية. بحيث يكون العبد مبدأً لأفعاله وصفاته ولكن من حيث الجهة الربانية لا البشرية. وهذا هو أعلى درجات الفناء، أي فناء العارف في المعروف، أو الشاهد في المشهود، كفناء نور الكوكب والقمر في نور الشمس.

### مبدئية فعل العبد

بالفناء عن الجهة البشرية، والبقاء بالجهة الربانية، يصدر عن الفاني من الأفعال والصفات ما يصدر عن الله تعالى، كما ورد في الحديث المشهور: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي يبصر به»<sup>(٧٧)</sup>. ذلك أن العبد مبدأً لأفعاله وصفاته من حيث الجهة البشرية، حتى وإن حصل له مقامات الولاية العامة السابقة، فما يفعله يسندُه إلى نفسه، وهذا هو الشرك الخفي الذي لا تخلص له قبل اتصافه بالولاية الخاصة. وبعد اتصافه بمقام الولاية الخاصة هو مبدأً لأفعاله وصفاته من حيث الجهة الربانية. لهذا تكتسب أفعال العبد وصفاته نورانية خاصة بعد انتسابها إلى الجهة الحقية.

وكما يقول الامام الخميني (ره): «إنَّ كمال عمل الأولياء، عليهم السلام، إنّما كان بواسطة الجهات الباطنية، وإلا فصورة العمل ليست لها الأهمية الكثيرة، فإن نزول عدة آيات من السورة المباركة: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ (الإنسان/ ١) مثلاً في مدح علي، عليه السلام، وأهل بيته الطاهرين ليس بسبب إعطاء قرص من الخبز وإيثارهم به، بل كان للجهات الباطنية ونورانية صورة العمل، كما أشار إلى ذلك في الآية الشريفة حيث يقول: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان/ ٩). بل إن ضربة علي، عليه السلام، التي هي أفضل من عبادة الثقلين ليست أفضليتها بصورتها الدنيوية بحيث لو صدرت من غيره لكانت أفضل أيضاً، وإن كان نفس العمل بلحاظ موقعه - وفي حين تقابل الكفر والإسلام - كان مهماً، ولعل الأمر لولا تلك الضربة

(٧٦) المصدر نفسه، الصفحة ١٤٩.

(٧٧) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٣٥٢.

كان سيؤول إلى تمزق حبيكة جند الإسلام، ولكن العمدة في فضيلتها وكمال عمله، عليه السلام، إنما كان بسبب حقيقة الخلوص وحضور قلبه، عليه السلام، في إتيانه هذه الوظيفة الإلهية، ولهذا اشتهر منه، عليه السلام، أنه لما استولى الغضب عليه بتجاسر الملعون امتنع عن قتله، حتى لا يكون في عمله شائبة من الإنية وجانب «يلي الخلقى»، مع أن غضبه وهو ولي الله المطلق غضب إلهي، ولكنه مع ذلك أخلص العمل عن التوجه إلى الكثرة وأفنى نفسه بكليتها في الحق فوقع العمل بيد الحق، والعمل بهذه الصفة لا يمكن أن يوزن بميزان وأن يقابله شيء»<sup>(٧٨)</sup>.

فهذه الولاية تصحح النسبة، فقبل الولاية كان العبد يسند الفعل إلى نفسه، ويرى نفسه مبدئاً له، وبعدها يسنده إلى الجهة الربوبية، ويكون الفاعل هو الله تعالى، ويرى العبد حينئذ هذا التوحيد الأفعالي، ويرى نفسه مبدئاً للفعل أي مظهرًا له، فالفاعل هو الله تعالى، إلا أنه يظهر فعله في عبده بلحاظ الجهة الربانية، وإليه يشير ما نقل عن أمير المؤمنين، عليه السلام، من قوله: «قلعت باب خبير بقوة ربانية»<sup>(٧٩)</sup>، أي بالجهة الربانية<sup>(٨٠)</sup>.

## إثبات الولاية الخاصة

وذلك الانصاف لا يحصل إلا بالتوجه التام إلى حضرة الحق المطلق المتعالي سبحانه، إذ به تقوى جهة حقيقته فتغلب جهة خلقيته إلى أن تهترأ وتقنيتها من أصلها. كالتقطعة من الحديد المجاورة للنار، فإنها بسبب المجاورة والاستعداد بقبول صفات النارية والقابلية المختفية فيها تتسخ قليلاً قليلاً إلى أن يحصل منها ما يحصل من النار من الإحراق والإضاءة وغيرها، وقبل ذلك كانت مظلمة كدرة باردة. فما ظنك بالروح الإنسانية والنفس الناطقة القدسية القابلة للخلافة الإلهية والوجود الحقاني بالتصفية والتسوية؟ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

بعد الفراغ من البحث حول مقومات الولاية، وأقسامها، يقع البحث هنا عن إثبات الولاية الخاصة، وكيفية حصولها. وهو بحث حول محققات الولاية الخاصة. فإن البحث عن وجود الشيء وتحققه متفرع عن البحث حول ماهيته ومقوماته بحسب النظم المنطقي.

## أصل وجود الولاية

قبل الحديث عن إثبات الولاية الخاصة، نمهد بالحديث عن أصل وجود الولاية عمومًا. أما إثبات أصل الولاية (بكسر الواو) بمعنى التأثير والتأثر المتبادل، فيكفي فيه معرفة أن الإنسان

(٧٨) سَرِّ الصَّلَاةِ أَوْصَالَةَ الْعَارِفِينَ، مصدر سابق، الصفحتان ٧٠ و٧١.

(٧٩) الأُمَامِي، مصدر سابق، الصفحة ٦٠٤. قال: «روي أن أمير المؤمنين، عليه السلام، قال في رسالته إلى سهل بن حنيف (رحمه الله): والله ما قلعت باب خبير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعًا بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضية...».

(٨٠) الأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ فِي شَرْحِ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ، مصدر سابق، الصفحة ٢٣.



ليس موجوداً منفصلاً عن حلقة نظام الوجود، بل هو في حالة ارتباط وتفاعل مع الكائنات الأخرى. كذلك أفراد الانسان قد يحصل الارتباط بينهم برابطة الولاية والمحبة والنصرة. وهو ما صرح به القرآن الكريم حيث دعا إلى ضرورة ارتباط المؤمنين بعضهم ببعض برابطة الأخوة بحيث يكون بعضهم أولياء بعض. ونبه إلى أن هذا الولاء المتبادل بين المؤمنين لا يجتمع بحال مع الولاء لغيرهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المتحنة/١). كما نبه إلى أن طريق التولي بين المؤمنين يستوجب التبني من أعدائهم.

وأما إثبات أصل الولاية (بفتح الواو) بمعنى التدبير، والتي يكون أحد أطرافها ولياً والآخر مولياً عليه. فيكفي فيه الالتفات إلى ضرورة وجود النظام الاجتماعي الذي يضمن تأمين متطلبات الإنسان وحاجاته من خلال خضوعه لأولياء الأمر في التدبير والرعاية والتوجيه وفق ما تقتضيه المصلحة. وهذا مسلك يتبعه العقلاء قديماً وحديثاً من رجوع الجاهل إلى العالم في الاختصاصات كافة، والخضوع لتدبيراته، ومنه ولاية الإنسان على نفسه بحيث تكون شؤونه وقواه كلها تحت تدبير نفسه وروحه<sup>(٨١)</sup>.

### إثبات الولاية الخاصة

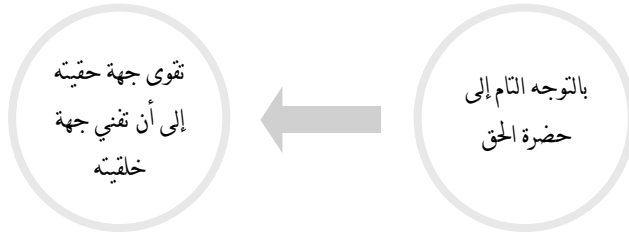
والسؤال المطروح في هذا البحث هو: هل يمتلك الإنسان قابلية أن تكون له ولاية حقيقية على شؤون الخارج كما له ولاية على شؤون النفس؟ وهذا هو المقصود بإثبات وجود الولاية الخاصة. أجاب الماتن بالإيجاب، مستنداً في ذلك إلى ما أودع في النفس الإنسانية من قابلية تتيح له أن يصل إلى مقام الخلافة الإلهية بالتسوية والتصفية، ويتحول بذلك إلى مظهر للاسم الولي بحيث يصدر عنه من الآثار ما يصدر عن الله تعالى بحكم المظهرية. وتقوم هذه الفكرة، على إيمان العرفاء بإمكانية فناء الإنسان عن الجهة البشرية فيه؛ وذلك بالاستعداد الكامن فيه والقابل للتحقق التدريجي، بحيث يترتب على هذا الفناء، عند اكتماله، البقاء بالجهة الإلهية.

### إمكان الولاية الخاصة

يتوقف إثبات إمكان الولاية على فهم طبيعة الإنسان وقابليتها للتحقق بالغير من حيث الصفات والأفعال؛ وذلك بالتسوية والتصفية. من هنا، يؤكد العرفاء على فكرة انفتاح الجهات في الإنسان؛ وأن لكل إنسان جهة إلى الخلق، وجهة إلى الحضرة الإلهية: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾ (البقرة/١٤٨). فالأعمال الصادرة عن الإنسان تارة تصدر عنه من الجهة الخلقية، وأخرى من الجهة الحقيقية. ويرون أن صورة العمل الظاهرية لا قيمة لها، وإنما قيمة العمل بالجهة الباطنية التي يكون فيها للحق تعالى. ولهذا فإن الولاية تصحح النسبة، بأن تجعل العمل صادراً عن الإنسان من الجهة الربانية.

(٨١) الشيخ جواد آملی، ولاية الإنسان في القرآن (بيروت: دار الصفوة، الطبعة ١، ١٩٩٣م)، الصفحتان ٥١ و ٥٢ (بتصرف).

ولتحقيق هذا المقام ينبغي أن يندرج الإنسان في سلك الولاية؛ فيسعى لإيقاظ الجهة الإلهية الكامنة فيه من خلال التوجه التام والعشق والمحبة، إلى أن يتحقق بصفات الله تعالى ويتخلق بأخلاقه ويزول اسمه وينمحي رسمه، فيحصل منه حينئذٍ ما يحصل من الله تعالى بحكم المظهرية. فالولاية الخاصة إنما تحصل بالتوجه التام إلى حضرة الحق المطلق سبحانه، بحيث تقوى الجهة الإلهية في العبد، والتي تلي الحق تعالى، وتشتد بهذا التوجه إلى أن تقهر الجهة الخلقية وتفنيها من أصلها، ويحصل عند ذلك الفناء التام. ويترتب على ما تقدم أمران :



١. أن الفناء هو فناء الجهة والأثر البشري، وليس انقلاباً في الذات الذي هو محال. ذلك أن المحو هو ذهاب الكل، ونفي الكل لا يقع إلا على الصفات<sup>(٨٢)</sup>.
- وإذا كان من ضرورة الفناء أن يغيب العبد عن صفاته المذمومة، كما عرفه القدماء بقولهم: «الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء قيام الأوصاف المحمودة، فمن أفنى أوصافه المذمومة، ظهرت عليه الصفات المحمودة»<sup>(٨٣)</sup>. وأنه: «فناء الآلة المذمومة والصفة المرذولة في طلب الصفة المحمودة، لا عدم المعنى بوجود آلة الطلب»<sup>(٨٤)</sup>. فإنه من ضرورة الفناء المطلق أن يغيب الواصل عن صفاته مطلقاً؛ سواء أكانت مذمومة أو ممدوحة. وحيث إن نفي الصفات البشرية يكون بإثبات بقاء الحق، قالوا: يجب نفي الصفات المذمومة بإثبات الخصال المحمودة؛ وذلك بمقتضى أن حكم الأوصاف كونها مقهورة لسلطان الحق؛ فإن الصفات إنما تكون مذمومة بلحاظ مبدئية جهة العبد لها، لا بلحاظ أنها مذمومة في نفسها.
٢. إن فناء الجهة يحصل تدريجياً بفعل القابلية والاستعداد الكامن في الإنسان. باعتبار أن كيفية الاتصاف بمقام الولاية الخاصة وإثباتها ينبع من الطبيعة الإنسانية التي خلقها الله تعالى والتي تتبع مبدأ التدرج بحسب القابليات.
- من هنا، مثلاً لكون التوجه إليه موجباً للفناء عن الجهة النفسية، والبقاء بجهة الإلهية، بالقطعة

(٨٢) لأنّ الفناء لا يكون على الذات في حال بقاء البشرية.

(٨٣) الرسالة القشيرية، مصدر سابق، الصفحة ٣٩.

(٨٤) الهجويري، كشف المحجوب، تعليق إسماعيل قنديل (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٤)، الصفحة ٢٢٥.

من الحديد المجاورة للنار؛ فإنها بسبب المجاورة والاستعداد لقبول الصفات النارية، والقابلية المختفية فيها، تتسخن قليلاً قليلاً، إلى أن يحصل منها ما يحصل من النار من الإحراق والإضاءة وغيرها، وقبل ذلك كانت مظلمة كدرة.

وإذا كان هذا هو الحال في قطعة الحديد، فكيف بالروح الإنسانية والنفس الناطقة القدسية، القابلة للخلافة الإلهية والوجود الحقاني بالتصفية والتسوية، كما أشير إلى هذه الروح بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر/ ٢٩).



فالتوجه التام في الإنسان بمنزلة المجاورة الدائمة لقطعة الحديد مع النار، وهذا التوجه يوجب انمحاء الجهة الخلقية والبشرية وظهور الجهة الربانية، فكما أن النار - بمجاورة الحديد لها - تؤثر فيها، بحيث تذهب جميع آثارها من الظلمة والكدورة، وتظهر فيها بآثارها، بحيث تصير قطعة الحديد ناراً بآثارها، مع أن الحديد هي الحديد، والنار هي النار، من دون حلول ولا اتحاد، وإنما ظهرت آثار النار فيها، وكذلك الإنسان؛ بالتوجه التام إليه تعالى تذهب آثاره الخلقية من المحجوبة والظلمة والجهل بحقائق الأمور، وتظهر فيه آثار الربوبية من أنوار جماله وجلاله، بما لها من الحقائق والمعارف.

### وقوع الولاية الخاصة

يتضح بما تقدم عدم المانع من وجود العلاقة الولائية الخاصة بين الله تعالى والإنسان، فإذا ثبت إمكانها فيقع البحث حينئذ في وقوعها، وهذا الأمر تكفلت به النصوص القرآنية والروائية والتي تفوق حد الحصر. وقد صرح القرآن الكريم بوجود هذا الاستعداد الخاص الذي يحمله الإنسان من بين المخلوقات في العلاقة مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر/ ٢٩). كما صرح بوجود هذه العلاقة الولائية بين الله تعالى وبعض عبادته، فهم أولياء لله تعالى وهو وليهم. قال تعالى: ﴿الْأَيْنَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/ ٦٢) وعندما يصير الإنسان قريباً من الله يدخل في حصن التوحيد «لا إله إلا الله حصني»<sup>(٨٥)</sup>. وعندما

(٨٥) التوحيد، مصدر سابق، الصفحة ٢٥.

يدخل في حصن التوحيد فلا خوف عنده ولا حزن، لأنه لم يفقد شيئاً لكي يفتم ولا يفقد شيئاً لكي يخاف. فما هو محبوب المؤمن غير قابل لأن يفقد وما هو زائل ليس بمحبوبه. فهم أولياء الله كما أن الله سبحانه أيضاً ولي المؤمن: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة/ ٢٥٧). ولا شك في أن دلالة الدليل القرآني على وقوع العلاقة الولائية الخاصة بين الإنسان وربه، تغنيانا من البحث عن إمكانها؛ إذ الوقوع أدل دليل على الإمكان.

### وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه

إن العلاقة القائمة بين الحديدية والنار هي علاقة حاصلة بين شيئين لا ارتباط بينهما في ذاتهما؛ إذ وجود كل منهما بعرض وجود الآخر، وإنما يرتبطان بحسب الأثر؛ وتكون العلاقة بين أثرهما علاقة طولية؛ بمعنى أن الإحراق يكون أثراً للنار بالذات، وأثراً للحديدية المشتعلة بالتبع. فالطولية بينهما إنما هي في وصف الحرارة وما يتبعها من الآثار. أما هما في ذاتهما فكل منهما شبيئية تخصه وتجعله مستقلاً عن الآخر في الوجود.

وليس الأمر كذلك في العلاقة القائمة بين الله تعالى وبين مخلوقاته، فإن وجود المخلوقات ليس وجوداً مستقلاً عن وجود الله تعالى، والإنسان ليس شيئاً في مقابل شبيئية الله تعالى، بل إن حقيقة الشبيئية هي لله تعالى كما أشير إليه في حديث الإمام الصادق، عليه السلام: «وأنه شيء بحقيقة الشبيئية»<sup>(٨٦)</sup>.

ويترتب على هذا: أن الموجود على الحقيقة هو ذاته تعالى التي هي صرف الحقيقة الواحدة بالوحدة الإطلاقيه التي لا مقابل لها، ولا حد، ولا ثاني له. وغيره تعالى ليس شيئاً موجوداً على الحقيقة، وإن كان له وجود فينحو الأثر والفيء؛ ذلك أن وجود المخلوقات هو من أفعاله تعالى وآثاره، وأثر الشيء ليس بشيء في قبالة، فأثر الشمس ليس شمساً، وأثر النار ليس ناراً، وصوت الإنسان ليس إنساناً.

وعليه، فإن وجود الممكنات بأسرها آثار النور الحقيقي وأفعاله، وذوات الممكنات صرف الفقر والربط بممسك السموات والأرض وقيوم الكل، لا أنها أشياء لها الربط، بل هي نفس الربط<sup>(٨٧)</sup>.

(٨٦) المصدر نفسه، الصفحة ١٠٤.

(٨٧) ضرورة أنه لو كانت الممكنات أشياء، لها الربط بالحق، وكان معنى الخلق هو إيجاد الربط بينهما، لاستلزم قدم الأشياء، وتعدّد القديم، تعالى القديم عنه علوً كبيراً. للمزيد انظر: **الأنوار الساطعة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٢٧.

## ولاية التكوين

وكيف لا وقد وقع في الآثار الماثورة، أن للمقرين إلى الملوك الظاهرية علامات وشواهد يعرفون بها، ويتميزون بها عن غيرهم، ولهم جلالة وسلطان عند العساكر والجنود والرعية، وكل هذا من ناحية التقرب الذي لهم إلى هؤلاء السلاطين. فكيف لا يكون للمقرين إلى الحق المتعال آثار السلطنة الحقيقية الحقبة الإلهية، وقد ورد: «عبي أطعني حتى أجعلك مثلي أقول لكل شيء كُن فيكون».

يتعرض البحث التالي لإثبات الولاية التكوينية لأولياء الله تعالى، وذلك من خلال بيان حقيقة التقرب من الله تعالى وضرورة السالك ولياً لله ومظهرًا لاسمه الولي.

### الولاية التكوينية

الولاية التكوينية هي اقتدار النفس على التصرف في مادة الكائنات، كما هو حال المعاجز والكرامات وخوارق العادات؛ فهي من قبيل التصرف في مادة الكائنات، بحيث تتخذ صوراً مختلفة، بإرادة الكمل، بإذن الله تعالى، وتصير العصا - مثلاً - بيد موسى، عليه السلام، حية تسعى بإذن الله. وقد أثبت العرفاء هذا النوع من الولاية لأولياء الله تعالى، وتوصلوا إلى بيان فكرتهم من خلال تقسيم التقرب إلى مراتب ودرجات، وملاحظة أثر كل مرتبة منها، بحيث يمكن القول بإثبات الولاية التكوينية لهم باعتبارها الأثر الطبيعي لأعلى مراتب التقرب وأكملها.

### حب الكمال بقدر المعرفة

تقرر في المباحث الأخلاقية والعرفانية أن الإنسان مفضو على حب الكمال وبلوغ مراتبه. وهذا يعني أن فطرة الإنسان على طلب الكمال هي من الأمور الذاتية الموجودة في أصل خلقة الإنسان وتركيبته، فالإنسان أبداً في طلب الكمال. بل إن مراتب الكمال غير متناهية؛ لذلك لا ينتهي سير الإنسان في المراتب والمقامات. وحيث إن مرجع كل كمال على الحقيقة هو الكامل المطلق، فيتوقف بلوغ أي مرتبة من مراتب الكمال على تحصيل المعرفة به سبحانه. كما أن محبة الإنسان لله عز وجل، هي فرع معرفته، فإذا عرفه أحبه. وحيث إن الحب يكون بمقدار المعرفة، فيدور معها شدة وضعفاً، ويكون للحب مراتب بحسب مراتب المعرفة. ويتقرر مدى قرب العبد من ربه، وحدود علاقته به تعالى، بحسب نوعية الحب والمعرفة.

وقد تقدم الحديث عن مراتب التقرب من الله تعالى، وأن معرفة الله تعالى على ثلاثة أنحاء:

- المعرفة العلمية النظرية الحاصلة بالإحاطة بالأدلة والبراهين الدالة على وجود الله ووحدانيته تعالى، ويعبر عنها بعلم اليقين. وصاحب هذه المعرفة الحسولية لا يمتلك من التوجه للمحسوب وعبادته إلا كما يمتلك العالم من صورة العلوم وشبحة ومثاله.

٢. المعرفة القلبية الشهودية الحاصلة بالمعاينة والشهود المعبر عنها بعين اليقين، ولا شك أن معرفة الله تعالى بالمعرفة الحضورية أكمل؛ حيث لا يعود الإنسان العارف ملتفتاً لشيء إلا الله سبحانه وتعالى، ويكون المحبوب حاضراً متجلياً من خلال تحقق السالك بالمعرفة الشهودية، كما أن العلم الحضورى يتعلق بصاحب الصورة، وليس بالصورة. وهذا هو مقام قرب النوافل. وهو المشار إليه في الحديث القدسي: «إنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبت، وإن سألتني أعطيت»<sup>(٨٨)</sup>. والمستفاد من هذا الحديث أن الله تعالى يكون عين العبد، وسمعه ولسانه، ويده، وبذلك تتحول أفعال هذه الجوارح الإنسانية إلى أفعال ربانية. إلا أنه ورغم بلوغ العبد هذا القرب النوافلي، لا زال ينطوي على شمة من إنيتة الفانية، كما يظهر من الإشارة في الحديث إلى بقاء المحدودية، حيث كان الله تعالى بصره، وسمعه، ولسانه، ويده، ولا ريب في محدودية بصر العبد، ومحدودية سمعه، ولسانه ويده.

٣. المعرفة الحاصلة من الفناء في المشهود المعبر عنها بحق اليقين، وهو مقام قرب الفرائض المترتب على قرب النوافل؛ فإذا أصابت العبد حالة الصحو من خلال رجوع الإحساس بعد غيبة، وصار في الحضور الإلهي، فترتدي عندها النوافل المستحبة في هذا المقام أحكام الوجوب عليه، وقد ورد في الحديث القدسي: «ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالفرائض حتى أحبه، فإذا أحببته صار سمعي [...]»<sup>(٨٩)</sup>. فيكون العبد سمع الله تعالى، ولسانه، وأذنه، ويكون البطش بواسطته، كما ورد على لسان أمير المؤمنين (ع) في قوله: «أنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله [...]» وأنا يد الله المبسوطة على عبادته بالرحمة والمغفرة<sup>(٩٠)</sup>. و«نحن حجة الله في عبادته، وشهداؤه على خلقه، وأمناؤه على وحيه، وخرانه على علمه، ووجهه الذي يؤتي منه، وعينه في بريته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدل عليه»<sup>(٩١)</sup>.

وعليه، فإذا حصل للإنسان التخلص التام من تبعية الدنيا ومتعلقاتها، وارتبط بالله وحده، وكانت أعماله وأخلاقه ونفسه كلها لله وحده، ولم يعد يرى موجوداً سوى الله سبحانه وتعالى، وكان في أعلى مراتب القرب من البارئ تعالى، صار من عباد الله المخلصين، وكان بذلك مظهراً للاسم الولي.

ويترتب على القول بالولاية التكوينية أمور نذكر هنا.

(٨٨) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٣٥٢.

(٨٩) البخاري، صحيح البخاري (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م)، الجزء ٧، الصفحة ١٩٠.

(٩٠) التوحيد، مصدر سابق، الصفحة ١٦٥.

(٩١) المصدر نفسه، الصفحة ١٥٢.

## الولاية مقام التصرف في الخلق

إن الولاية ليست مجرد سلطة اعتبارية يهبها الله سبحانه وأوليائه من باب شرف الرتبة، بل هي شأن له حاكمية على الكون، يعبر عنه بمقام التصرف في الخلق؛ فإن الولاية مقام فناء الجهة البشرية في الجهة الربانية، وتبديل أخلاق العبد وصفاته بأخلاق الله وصفاته، إلى أن يصير الله سمع الإنسان وبصره ولسانه ويده ورجله، وبهذا يتصرف الولي في العالم التكويني بإذن الله، وتصير الكائنات مطيعة له.

يقول السبزواري: «الولي له معان كثيرة منها المتولي لأمر العالم المتصرف فيه»<sup>(٩٢)</sup>. ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا: «لما كان فرح العارف بهجة الحق أعظم من فرح غيره بغيرها، وكانت الحالة التي تعرض له وتحركه اعتزازاً بالحق أو حمية إلهية أشد مما يكون لغيره، كان اقتداره على حركة لا يقدر غيره عليها أمراً ممكناً، ومن ذلك يتعين معنى الكلام المنسوب إلى علي، عليه السلام: «والله ما قلعت باب خبير بقوة جسدانية ولكن قلعتها بقوة ربانية»<sup>(٩٣)</sup>.

## الولاية ظهور آثار الربوبية

يدل الحديث القدسي: «عبي أطعني حتى أجعلك مثلي أقول لكل شيء كن فيكون»<sup>(٩٤)</sup>. على أن فناء آثار البشرية الحاصل بالتوجه إليه تعالى يوجب ظهور آثار الربوبية، فالعبد بعد فناءه عن نفسه وعن الجهات البشرية، يتعين فيه التعينات الإلهية وتظهر فيه الصفات الربوبية، وهو البقاء بالله تعالى. وتقدم أنه لا يراد من الفناء أن العبد يصير رباً حقيقة وذاتاً، بل المراد منه ظهور آثار الربوبية فيه، بحيث يكون اختيار العبد اختيار الرب، فإذا قال لشيء: «كن»، فإنما قاله الرب بلسان عبده، ولم يكن للعبد حينئذ جهة البشرية بحيث تكون هذه الجهة هي مبدأ الفعل، كما تقدم في المثال أن الحديد المحمّاة تفعل أثر النار مع أنها ليست بنار، بل لأجل انتفاء الظلمة والكدورة عنها، وظهور آثار النار فيها، صارت تعمل عمل النار.

## الأولياء مظاهر أسماء الله

إذا ظهرت صفات الله وأفعاله في العبد بعد الفناء والبقاء، صار مظهرًا لأسماء الله تعالى وصفاته. فالولي هو الظاهر بأسمائه وصفاته. وحيث كان الولي من أسماء الله: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/٢٨)، وكانت أسماء الله باقية ودائمة: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (يونس/١٠١)، كان امتلاك الولي للسلطة والقدرة هو بمقدار مظهريته لأسماء الله

(٩٢) ملا هادي السبزواري، شرح الأسماء الحسنى (طهران: مكتبة بصيرتي، لا تاريخ)، الجزء ١، الصفحة ٩٠.

(٩٣) الإشارات والتبسيّات، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٢٢٢.

(٩٤) مشارق أنوار اليقين، مصدر سابق، الصفحة ١٠٠. قال: «عبي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حيًا لا تموت، أنا غني لا أفقر أجعلك غنيًا لا تفقر، أنا مهمما أشأ يكن أجعلك مهمما تشأ يكن».

تعالى وصفاته، فيستطيع بإذن الله التصرف في مادة الكائنات وتسخير القوى الأرضية والسمائية، وإخضاعها تحت حكمه وتصرفه، فيكون حكمه وتصرفه في صورة هيولى عالم الطبيعة نافذاً وجارياً، وتستطيع الهيولى العنصرية الطبيعية أن تخلع صورة وتلبس صورة جديدة حسب إرادته، مثل عصا موسى، عليه السلام، التي خلعت صورتها الجمادية حسب إرادته وألبسها صورة حيوانية، حيث أخرجها على صورة ثعبان: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف/١٠٧).

### حقيقة الإيجاد والتأثير بإذن الله

إن جميع المعاجز والخوارق والكرامات من قبيل واقعة الشجرة التي انقلعت من مكانها بأمر الرسول، صلى الله عليه وآله، لتتنصب أمامه، وشق القمر، والبحر وغير ذلك هي من الولاية التكوينية وتأثيرات النفوس المؤهلة المؤيدة بروح القدس في الكائنات بإذن الله تعالى. وإن الفعل والإيجاد والتأثير في حقيقة الأمر هو من الله تعالى وإن كانت العصا بيد موسى وتسد إليه، والإذن الإلهي ليس أمراً قولياً بل هو الإذن التكويني المتفرع من الولاية الإلهية الكلية المطلقة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذِنُ فَيَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَثُبْرِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ يَأْذِنُ وَإِذْ تَخْرُجُ الْمُوتَى يَأْذِنُ﴾ (المائدة/١١٠). وفي الرسالة التي كتبها الإمام علي، عليه السلام، إلى سهل بن حنيف، قال: «والله ما قلعت باب خبير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضببة»<sup>(٩٥)</sup>. وينسب الله تعالى في القرآن الكريم التسخير إلى نفسه مطلقاً: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ \* وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأنبياء/٧٩ و ٨١).

### ولاية التكوين مقام الخلافة والإنسان الكامل

إن هذه الولاية التي هي اقتدار النفس على التصرف في مادة الكائنات تكويناً هي باطن الخلافة، وهي المقام المسمى بمقام «كن». وإلى هذه الخلافة يشير الإمام الخميني (ره) بقوله: «هذه الخلافة التي سمعت مقامها وقدرها ومنزلها هي حقيقة الولاية، فإن الولاية هي القرب أو المحبوبة أو التصرف أو الربوبية أو النيابة»<sup>(٩٦)</sup>. وقال شمس الدين محمد اللاهجي: «بما أن حقيقة الإنسانية تشمل الجهتين الإلهية والعبودية، وتصرف الإنسان الكامل في العالم يتحقق بواسطة القدرة وسائر الصفات الإلهية، إذًا يتحقق تصرف الإنسان بالتبعية لا بالأصالة، والخلافة هي تصرف الإنسان الكامل في العالم بالحق لا بنفسه، والإنسان لا يجرز منصب الخلافة الحقيقية إلا بعد فنائه عن الوجود المجازي وبقائه بالله وتبدل صفاته بصفات الحق

(٩٥) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، تقديم محمد مهدي الخرسان (قم: منشورات الشريف الرضي، لا تاريخ)، الصفحة ١٢٧.

(٩٦) الإمام الخميني، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، الصفحتان ٧٣ و ٧٤.



الكلي [...]» (٩٧).

وقد أشار الماتن إلى هذه الحقيقة بمثال تقريبي لينبه إلى أنه إذا كان للقرب الاعتباري آثاره، فكيف لا يكون للقرب الحقيقي التكويني آثاره أيضاً! وإذا كان القرب من المخلوق تترتب عليه نتائج مهمة، فما بالك بالقرب من الخالق الموجد!.

## التوجه التام بالمحبة والتقوى

ثم ذلك التوجه لا يمكن إلا بالمحبة الذاتية الكامنة في العبد. وظهورها لا يكون إلا بالاجتناب عما يضادها وبنافضها، وهو التقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. فالمحبة هي المركب، والزاد التقوى.

إن التوجه التام - الذي تحصل به الولاية - لا يمكن إلا بحصول المحبة لله تعالى، وظهور المحبة إنما يتحقق بالأعراض عما سوى الله تعالى، وهو التقوى. فنحتاج لبيان كيفية حصول المحبة من جهة، وشرطية التقوى لذلك من جهة أخرى.

## ضرورة تحصيل المحبة للوصول إلى الفناء

المحبة هي الميل والانجذاب إلى المحبوب، وهذا الميل لا يكون بلا سبب، وإنما ينشأ من توفر المحبوب على كمال ما، ولا شك في أن كل كمال وجمال فهو محبوب بحكم فطرة الإنسان. فقد فطر الله تعالى النفس على محبة الجمال وطلب الكمال، وحيث إن ذاته المقدسة أجمل من كل جميل، بل جمال كل جميل رشحة من بحر جماله وكماله، فتكون المحبة كامنة في الإنسان بالنسبة إليه تعالى.

غاية الأمر، إن تحقق المحبة يتوقف على الالتفات إلى جمال المحبوب، فإذا انكشف حجاب الغفلة بقوة الإيمان، ورأى الإنسان جمال ربه الجميل؛ أحبه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة/١٦٥). وإلا ما لم ترتفع الحجب الحائلة دون مشاهدة جمال الله تعالى، لا تصير محبة الجميل الكامنة في فطرة الإنسان فعلية. فالمعرفة والالتفات شرط تحقق المحبة. ولا بد لمن أراد الوصول إلى الفناء عن النفس من تحصيل المحبة به تعالى.

## كيف تحصل المعرفة؟

تقدم أن الولاية هي ارتفاع الوساطة الحائلة بين شيئين، وظهور كل منهما للآخر، وحصول القرب بينهما؛ فإذا زال الحجاب حصل التعارف. وفي مجال علاقة الإنسان بالله تعالى، فإن الوساطة

الحائلة هي نفس الاثنيينية، فإذا خرق السالك حجاب الاثنيينية والبيئونة وأدرك أنه عين الارتباط والتعلق والفقر إلى الله تعالى - ذلة العبودية -، وأن الله تعالى هو الحي القيوم - عزة الربوبية -، حينئذ يترتب على تلك المناسبة الارتباطية مقتضاها من المحبة أو الخوف.

توضيح ذلك: لا شك في أن باب المعرفة بالذات الإلهية مغلق، وإنما يمكن معرفة الصفات بحدود سعة الإنسان السلوكية والمعنوية. فهو يعرف شيئاً وتغيب عنه أشياء نتيجة هذه المحدودية. وهذه الصفات التي تتعلق بها المعرفة إما صفات جمال، وإما صفات جلال.

فإن كان نظره هو التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجلال والعز والاستغناء، غلبه الخوف بسبب الشعور بعظمة الحق وهيبته، وإذا وقف الإنسان على نقصان النفس وقصورها عن عبادة الحق، أو تخيل ترك الأدب في العبودية، استولت عليه الخشية من خطر تطرق إمكان البعد، وبمقدار معرفة العبد بجلال الله وتعالیه واستغنائها تكون قوة خوفه؛ ولهذا كان أخوف الناس لربه أعرفهم بربه ونفسه. وبقدر كمال المعرفة يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن. من هنا، كان خوف العلماء بالله العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحدز.

وأما إذا كان نظره هو التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال؛ غلبه الأنس بالنسبة لما أدركه من روح القرب والحضور، وغلبه الشوق بالنسبة لما لم يدركه بعد. وحيث إن الاتصاح فيما أدركه لا نهاية لدرجاته، وكذلك الازدياد فيما لم يدركه لا ساحل له، يتضح حينئذ أنه لا نهاية لهذا الشوق، ولا سكون له. ثم إن الأنس والمحبة والشوق كلها أمور تدعو إلى أفراد المحبوب، ويتوقف ذلك على تجريد القلب عما سواه، وهو التقوى.

### طريق تحصيل المحبة إجمالاً

كما أن محبة الله تعالى موجبة للعزوف والتقوى عما عداه، كذلك مخافته تعالى موجبة للتقوى عما عداه. وأقل درجات التقوى هو ما يظهر أثره في الأعمال من الامتناع عن المحظورات، ويسمى بالورع. فان زادت قوته، كفَّ عما يتطرق إليه إمكان التحريم، ويسمى حينئذ تقوى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (آل عمران/ ١٠٢). وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به، مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى. فإذا ضم إليه التجرد للخدمة، فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه، فهو الصدق، وصاحبه صدق. وبحسب أهل الحقيقة، فالتقوى عبارة عن الاجتناب عما أحل الله تعالى من طيبات الدنيا ولذاتها - إلا بقدر الضرورة - فضلاً عن الاجتناب عن محارمه؛ فالتقوى هنا في ترك الحلال، لا في ترك الحرام. ومن مراتب التقوى الاجتناب عن رؤية النفس. وأعلى مراتبها هو الاتقاء عن مشاهدة السوى؛ فالتقوى بحقيقتها هي اتقاء مشاهدة وجود الخلق مع وجود الحق. وهذه المرتبة هي مرتبة الإسلام الحقيقي والتقوى الحقبة التي تحصن صاحبها من الشرك الخفي، ذلك أن هداية المتقين هي عبارة عن مشاهدة الحق في مظاهره الآفاقية والأنفسية، واتقاء رؤية وجود الغير مطلقاً.

## ضرورة الذكر ونسيان الكثرة

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿الْهَآكِمُ التَّكَآثُرُ \* حَبِي زُرَّمُ الْمُقَابِرِ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* تَمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَنَسَآنُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر/ ١-٨). والإعراض عن جحيم التوجه إلى الكثرات، وعدم الالتفات لغير الله تعالى، ونسيان الكثرة، إنما يتحقق بذكر الله تعالى، والتفكير المتواصل فيه، والبكاء على فراقه، والاحتراق بنار هجرانه.

والمراد من النعيم هو مقام الولاية؛ وحيثما ورد في القرآن الكريم ذكر للنعيم والنعمة فإن القصد هو الولاية؛ وبهذا الاعتبار فإن الالتفات إلى الكثرات والتكاثر، سواء كان في المال، أو الولد، أو النساء، أو الملك والحكومة، أو العلم والمعرفة، أو الجاه وعلو المنزلة، كله منبعث عن نسيان الوحدة؛ ولذلك يؤدي إلى الضلال عن المقصد وفقدان نعمة الولاية ونييمها؛ وبالتالي فإن الشخص الذي يمتنى بهذه الكثرات سيكون عرضة لسؤال عن فقدان الولاية، وهي النعيم.

من هنا، تتوقف الولاية، على رفع حجاب الاثنية والبينونة، وبلوغ مقام العبودية الخالصة، وذلك بنسيان الكثرات، والإعراض عن عالم الاعتبار والغرور الباطل. ونسيان الكثرات لا يتيسر إلا بذكر الله؛ إذن فذكر الله المتواصل يؤدي إلى التمكن في منزل الولاية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (الكهف/ ٢٨). وقال تعالى: ﴿وَنَسِئَلُ إِلَهِ تَسْتِيلاً﴾ (المزمل/ ٨). والمقصود غض الطرف عن كل شيء غير الله ورضاه؛ وتحري سبيل الإخلاص<sup>(٩٨)</sup>.

## علاقة التقوى بالمحبة

التقوى هي طريق فيضان النور، فلا تظهر محبة الله تعالى للإنسان وترتفع الحجب، إلا باجتنابه المحارم، بل كل ما يصاد المحبة ويناقضها؛ ذلك أن تمامية التوجه إلى الله تعالى وكمال الانقطاع إليه يستوجب ترك التوجه إلى ما عداه، وإن ولاية الله تنحصر في الابتعاد عن الشيطان ووساوسه، وترك التوجه إلى عالم الكثرات والغرور، واجتياز كثرات هذه العوالم والإعراض عنها. فإذا قام العبد بالتقوى على ما ينبغي وأدى حقها على ما هو عليها في نفس الأمر، وزال عن قلبه بعد ذلك حجاب الكثرة والتفرقة، واضمحل عن مرآة نفسه ومن الظلمة والغفلة، ووصل إلى حد الصفاء التام، أفاض عليه تعالى نوراً من أنواره وانفسح به عين بصيرته، وانكشف له عالم الملكوت والجبروت، ونزلت عليه من سماء جوده وفضله الحكمة والمعارف والعلوم والحقائق<sup>(٩٩)</sup>.

(٩٨) للمزيد انظر: محمد الحسين الحسيني الطهراني، معرفة الإمام، الجزء ٥، الدرس ٦٢ و٦٤: كيفية الوصول إلى مقام الولاية (بتصرف).

(٩٩) السيد حيدر الأملي، تفسير المحيط الأعظم، تحقيق محسن التبريزي (طهران: وزارة الثقافة والإرشاد، الطبعة ٢، ١٩٩٥م)، الجزء ١، الصفحة ٢٦٢ (بتصرف).

والخلاصة: إن التقوى هي العزوف عن الكثرة والسوى، وهي سبب لحبّ الله تعالى لعبده، ومحبته تعالى له تقتضي كشف الحجب، فإذا انكشفت الحجب وشاهد الإنسان جمال الجميل أحبه، وإذا اشتد الحب إلى النهاية - ولا نهاية لظهور جماله - فقد تحقق الوصل والفاء. وقد قيل: إن حب الله عبارة عن النفحة التي تصل إلى المؤمن؛ فتشده إلى الله دائماً. فحبة الإنسان له تعالى بمنزلة المركب للوصول إليه تعالى، والتقوى الموجب لها هو الزاد.

## ولاية البقاء بالحق

الفناء المذكور موجب لأن يعين العبد بتعينات إلهية وصفات ربانية مرة أخرى، وهو البقاء بالحق. وهذا المقام أتم من دائرة النبوة، ولذلك اختتمت النبوة والولاية دائمة، وجعل الولي اسماً من أسماء الله تعالى دون النبي، صلى الله عليه وآله. فالرسالة والنبوة التشريعتان لما كانتا من الصفات الكونية الزمانية، فتقطعان بانقطاع زمان النبوة والرسالة. والولاية صفة إلهية لا تنقطع أبداً. ولا يمكن الوصول لأحد في الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية التي هي باطن النبوة.

يتعرض البحث لأمرين: الأول بيان أن أكمل مراتب الولاية هو المقام المعبر عنه بمقام البقاء بالحق. والثاني بيان أكملية الولاية بهذا المعنى من النبوة. وعليه، فالبحث هنا في أمرين:

١. بيان أن مقام البقاء بالله هو مقام التعيين بالوجود الحقاني.
٢. بيان أن الولاية بهذا المعنى أكمل من النبوة التشريعية.

## مقام البقاء بالله

تستعمل كلمة التعيين في الاصطلاح الفلسفي بما يرادف التشخص. ويعتبر صدر المتألهين أن تعيين الأشياء غير تشخصها؛ لأن التعيين أمر نسبي والتشخص ليس نسبياً؛ إذ التشخص كيفية وجود الشيء وهويته<sup>(١٠٠)</sup>. وبشكل عام، التعيين عبارة عن «ما به امتياز الشيء عن غيره»؛ بحيث لا يشاركه أي شيء غيره في ذلك الأمر. وقد يكون ما به الامتياز عين الذات كتعيين واجب الوجود المميز بالذات عن الممكنات، وقد يكون زائداً على الذات، كتعيين الكاتب عن الأمي بالكتابة. وكافة التعيينات الزائدة من لوازم الوجود.

وهذه التعيينات الزائدة على الذات قابلة للتغيير؛ فإن الحديدية المحماة بالنار يتغير وصفها لا

(١٠٠) بنظر صدر المتألهين، إن تشخص الشيء عين كونه ممتنع الشركة فيه بحسب نفس تصوّره، إنّما يكون بأمر زائد على الماهية مانع بحسب ذاته من تصوّر الاشتراك فيه. فالشخص للشيء نفس وجود ذلك الشيء. وإذا قطع النظر عن نحو الوجود الخاص للشيء، فالعقل لا يأبى عن تجويز الاشتراك فيه، وإن ضمّ إليه ألف مخصّص فإن الامتياز في الواقع غير التشخص، إذ الأوّل للشيء بالقياس إلى المشاركات في أمر عام، والثاني باعتباره في نفسه، حتّى أنه لو لم يكن له مشارك لا يحتاج إلى مميّز زائد، مع أنّ له تشخصاً في نفسه. ولا يبعد أن يكون التميّز يوجب للشيء استعداد التشخص.

عينها. وهذا لا يمنع من اختصاصها ببعض التعينات أزلاً وأبداً؛ فإن حرارة الحديدية تزول بزوال النار، وحرارة الإيمان لا تزول عن الأولياء المجاورين لحضرة القدس بوجوداتهم النورانية أزلاً أبداً. ويعود الأمر في ذلك إلى طبيعة التعينات، وما تتعين به؛ ذلك أن مكتسبات الإنسان تنقسم - بلحاظ بقاءها دنيا وآخرة، أو انقطاعها كذلك - إلى قسمين: مكتسبات ينحصر وجه الاستفادة منها في حدود عالم الدنيا، من قبيل العلوم والحرف والمهن التي لا يستفاد منها في الآخرة، كعلم الهندسة والطب. ومكتسبات يمتد نفعها إلى عالم الغيب والآخرة، من قبيل العلوم والمعارف الإلهية، والتي تسهم في تربية الإنسان وتمية روحه وتهذيب نفسه وترسيخ إيمانه. وهذه المعارف الإلهية لا تنقطع دنيا وآخرة، بخلاف العلوم المادية والتي تنقطع في الآخرة.

وتعد الولاية من المعارف الإلهية بل من أهمها؛ ذلك أن الأفعال التي تصدر عن الإنسان من الجهة الخلقية ليس لها الدوام والبقاء الثابت لها حين تصدر عن الجهة الإلهية فيه؛ ذلك بأن الجهة البشرية تسبق مقام الولاية والفناء، والجهة الربانية تترتب على مقام الولاية والفناء. وهذا الترتب باعتبار أن من فني عن جهته البشرية لم يعد له بقاء بها، فيحتاج إلى البقاء بالجهة الإلهية، أي إنَّ مَنْ خرج عن عالم الكثرة والخلق وفني عنه فلا يبقى فيه، وأن البقاء في عالم الكثرة والخلق بعد الفناء عنه لا يكون إلا بإبقاء الحق له. فهو فإن باق؛ أي خارج عن الخلق بلا مباينة داخل فيه بلا ممازجة، وهذا هو العارف الذي عرف حقيقته الإلهية؛ بأنه وجميع من في العالم فانون في الله باقون به أزلاً أبداً. وأن الذي هو شيء بحقيقة الشئئية هو الله تعالى لا غير منذ الأزل وإلى الأبد. فالسالك أفنى ذاته فيه تعالى وعرض له المحو والفناء عن الجهة البشرية والصحو والبقاء بالجهة الإلهية، وصار وجوده وجوداً حقانياً، وصارت جوارحه محلاً لأفعال الله تعالى، وصار بوجوده مظهرًا للحق تعالى. ولذلك عرفوا الولي بأنه اسم لمن فني عن صفاته وأخلاقه وتخلق بأخلاق الله، ففقد ذاته فيه، وتستر في العين الأحدية، وتحققت بها، فرجع إلى البقاء وتوجه ثانياً، وتعلق بعالم الخلق والفناء.

وكما أن الحديدية تتعين بتعينات النار، كذلك العبد بعد فنائه عن نفسه، وعن الجهات البشرية تتعين فيه التعينات الإلهية، وتظهر فيه صفات الربوبية وأفعالها، وهو البقاء بالله تعالى، حيث يصير العبد ولياً لله، فيكون بوجوده الحقاني مظهرًا لأسماء الله، وبه يظهر الحق.

### أكملية الولاية من النبوة

المراد بالولاية هنا خصوص مقام البقاء بالله تعالى، والمراد بالنبوة خصوص نبوة التشريع المعبر عنها بالرسالة. وعليه، فمقام الولاية هذا أتم من مقام النبوة لسببين:

الأول: إنما تختم النبوة - ظاهراً - بانتفاء الحاجة إلى تشريع جديد، وهي أيضاً مؤقتة بزمان التبليغ، فتقطع بانتضاء أمد التبليغ، وإن كان إظهار التشريع وبيانه - والذي هو من مهام الولي أيضاً - لا ينتهي؛ ذلك أن النبوة من الصفات الكونية الزمانية، أما الولاية فهي من الشؤون الذاتية

للَّهِ تعالى، كالقدرة والعلم ونحوهما، ومقام الولاية هو مقام السفر الدائم الى الله تعالى والبقاء والبقاء، فلا انقطاع له: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ ﴾ (النحل/٩٦) .  
 كما أن النبوة التشريعية تنقطع بانقطاع النشأة الدنيوية، والولاية باقية أبداً؛ فلا يكون بين الخلق وآبائهم الظاهرة في الآخرة علاقة ونسبة من حيث التكليف والنبوة والرسالة؛ لأن التكليف قد ارتفعت والرسالة والنبوة قد انختمت، بل تكون علاقة النسبة من حيث الولاية التي لا تنقطع أبداً.

أما ختمها - باطناً - فحيث إن الوجود في مقام البقاء بالله تعالى هو وجود حقاني، ولا انقطاع للوجود الحقاني أزلاً وأبداً؛ و «الولي» اسم من أسماء الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى/٢٨)، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (البقرة/٢٥٧)، بخلاف اسم «النبى». وأسماء الله باقية دنيا وآخرة: ﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (يوسف/١٠١)؛ لذلك ختمت النبوة، والولاية دائمة لا انقطاع لها.

الثاني: إن الولاية باطن النبوة. ويمكن ملاحظة عدة اعتبارات لتفسير كون الولاية باطناً للنبوة. منها: إن السالك إلى الله تعالى في سفر الولاية، يتخلق بأخلاق الله تعالى ويتحقق بأسمائه وصفاته، ويصير مظهرًا لأسماء الله تعالى وصفاته، فيصدر عنه ما يصدر عن الرب من الآثار، وبذلك يكون السالك مظهرًا للاسم الولي الذي هو من أسماء الله تعالى، وتكون له ولاية التكوين، ويطلع على حقائق عالم الإنسان وملكوت السموات والأرض وينبئ عن الأسماء والصفات. فإذا أمر بالتبليغ يكون نبياً بالتشريع. وعليه، فالنبوة إنما تحصل من جهة الولاية، ونسبة الولاية إلى النبوة كنسبة الحقيقة إلى الشريعة، ولا تكون الشريعة إلا لمن اطلع على الحقيقة، ولا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية. فالولاية باطن النبوة وأصلها وجذرها. وبتعبير آخر، إن للنبي وجهتان: وجهة إلى الله تعالى؛ بها يأخذ الفيض من الله تعالى، وهي جهة القرب والولاية. ووجهة إلى الخلق بها يقوم بتبليغ الخلق كلام الحق، وهي جهة الإنبياء والنبوة. ولولا جهة الولاية لم تكن جهة النبوة، فالأنبياء لكونهم المظاهر التامة للولاية المطلقة وسائر الفيوضات الإلهية، صاروا قبلة للناس وانجذب الناس إليهم.

ومنها: أنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا باتباع الشريعة؛ ذلك أن النبوة هي أحكام الشريعة والنواميس الإلهية، والولاية إنما تحصل بالعمل بهذه الأحكام والنواميس الإلهية. فتكون النسبة بين النبوة والولاية هي النسبة بين الظاهر والباطن؛ فالدين هو ظاهر الولاية باعتبار أن السبيل للوصول إلى الولاية هو اتباع تعاليم النبوة: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران/٣١)، ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء/٨٠)، وإليه أشار القرآن الكريم بلفظ الدخول في قوله تعالى: ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر/٢٩ و٣٠)؛ لأنَّ الدخول بحسب المعنى في عبادة المخلصين الذين هم الأولياء والأوصياء هو شأن من اتبع الرسول، فإذا انقلبت الظواهر بواطن والبواطن ظواهر فلا اعتبار حينئذ بالنسب الصور والقراية المجازية لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ

يَعْرِى الْمُرُّ مِنْ أَحِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَيْهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿ (عبس/ ٣٤-٣٦). فتكون أفضلية الباطن حينئذ باعتبار أكملية الغاية من ذيتها؛ فإن النبوة اسم ظاهر تتعلق أحكامها بالتحلية، والولاية اسم باطن يفيد التجلية، ومن الواضح أن التحلي الحاصل باتباع الشريعة، هو من مقدمات التجلي بالحقيقة.

ومنها: أن باطن النبوة هو الولاية؛ باعتبار أن النبوة ظاهرة في التنزيل، والولاية باطنة في التأويل. أي باعتبار الوظيفة الموكلة لكل من النبي والولي؛ فإن التنزيل يفترض الظهور في البعد الزمني والكوني، والتنزل إلى عالم التفصيل، ويرتبط بعالم الخطاب اللفظي، والامتثال العملي «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(١٠١)</sup>. وأما التأويل فيقتضي رد الفروع المتكثرة إلى أصول الحقائق المحكمة، وصيرورة الإنسان ناطقاً بالحقائق بلسان الحال لا المقال.

ومتابعة الولي في البيان والتأويل هي عين متابعة النبي في التنزيل والتشريع، لا يختلفان إلا ظاهراً وباطناً، ولذلك قالوا إنه عند انقطاع نبوة التشريع بإتمام دائرتها، وظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام؛ لينحفظ به هذا الترتيب والنظام. قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد/ ٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر/ ٢٤). فإذا انقطع الظاهر، بقي الباطن. وما ذلك إلا لأن الباطن حق، والحق لا يزول، وأما الظاهر فهو خلق، والخلق يزول. فالولاية جهة الحق، والنبوة جهة الخلق. والنبي من جهة الخلق مشرع، ومن جهة الحق ولي؛ فالشريعة ظاهر النبوة، والولاية باطنها؛ وهذا معنى قولهم إن للنبوة باطناً وهو الولاية، وظاهراً وهو الشريعة. ولهذا قالوا إن الولاية باطن النبوة؛ ولا يمكن لأحد من الأنبياء وغيرهم الوصول إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية؛ وما ذلك إلا لأن الولاية أتم من النبوة.

ثم إن هذا القسم من الولاية هو من أقسام الولاية الاختصاصية، لا الاكتسابية. وسيأتي التفصيل حول مبحث أكملية الولاية من النبوة في طيات تلك المباحث.

## النبوة التعريفية

نعم، النبوة التعريفية، وهي الإنباء عن المعارف الإلهية، ثابتة للأولياء وباقية بقاء الولاية، إن لم تنقطع الدنيا باقية، وعند انقطاعها ينتقل الأمر إلى الآخرة. ولما كانت الولاية أكبر حيلة من النبوة وباطناً لها، شملت الأنبياء والأولياء، فالأنبياء أولياء فانون في الحق باقون به، منبئون عن الغيب وأسراره؛ لأن الولي هو الذي فني في الحق تعالى وعند هذا الفناء يطلع على الحقائق والمعارف فينبئ عنها. وهذا المقام كمقام النبوة اختصاص إلهي غير كسبي.

(١٠١) الشريف المرتضى، الانتصار (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥هـ)، الصفحة ١٥١.

البحث في النبوة التعريفية من جهات عدة: تعريفها، وحكمها من حيث البقاء وعدم الانقطاع، وكونها من شؤون الولاية التي لها الإحاطة، وكونها اختصاصاً إلهياً غير كسبي. وهو يستهدف التمييز بين النبوة التشريعية والتعريفية، وبيان نحو علاقتهما بالولاية.

### تمهيد

النبوة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية والمعارف الربانية، وهي تنقسم إلى قسمين:

١. نبوة تعريف: وهي الإخبار والإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء والأفعال، أي الإنباء عن المعارف والحقائق الإلهية.
٢. نبوة تشريع: وهي كنبوة التعريف، مع زيادة تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق الحميدة وتعليم الحكمة والقيام بالسياسة. وتسمى هذه رسالة.

أما الولاية فهي الاطلاع على الحقائق الإلهية ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله كشفاً وشهوداً من الله خاصةً من غير واسطة ملك من الملائكة أو أحد من البشر.

### الولاية بين التعريف والتشريع

تقدم أن الولاية أتم وأكمل من النبوة التشريعية، فإن نبوة التشريع تنتهي بانتهاء الحاجة إلى تشريع جديد، وتقطع بانقطاع أمد التبليغ؛ لأنها من الصفات الكونية الزمانية التي تقتضيها حاجة المجتمع إلى الهداية لجهة التبليغ والتشريع، وقد ختمت بمحمد، صلى الله عليه وآله: «لا نبي بعدي»<sup>(١٠٢)</sup>. بينما الولاية دائمة لا انقطاع لها.

نعم، النبوة لا انقطاع لها من جهة أخرى، وهي جهة ارتباطها المباشر بالولاية، وبهذا المعنى تسمى بنبوة التعريف، وهي بهذا المعنى من شؤون الولاية؛ فالولي عند فناءه في الحق تعالى، يطلع على الحقائق والمعارف الإلهية، وينبئ عن ذات الحق وصفاته وأحكامه عند بقائه بعد الفناء. وبهذا يحصل له حظ من النبوة التعريفية، لكنه لا يسمى نبياً بالمعنى التشريعي، وإنما يأخذ الأحكام والشرائع من النبي المطلق ويكون تابعاً له. فالنبوة التعريفية كمال مترتب على الولاية التي هي صفة إلهية، والولاية باعتبار أنها صفة إلهية لا تتقطع، ولهذا تكون هذه النبوة باقية ببقاء الولاية وأثراً لها؛ إن لم تتقطع الدنيا باقية، وعند انقطاعها ينقل الأمر إلى الآخرة. فحكم النبوة التعريفية هو أنها ثابتة للأولياء وباقية ببقاء الولاية. بخلاف نبوة التشريع والرسالة التي هي صفة كونية؛ وقد انقطعت في محمد، صلى الله عليه وآله، فلا نبي بعده ولا رسول.

فالنبي ولي من حيث اطلاعه على الحقائق والمعارف الإلهية عند الفناء في الحق تعالى. والولي نبي من حيث إنبائه عن تلك الحقائق الإلهية عند بقائه بعد الفناء. والنبوة بهذا اللحاظ نبوة

(١٠٢) الشيخ الطوسي، الاقتصاد (طهران: منشورات مكتبة جامع جهلستون، ١٤٠٠هـ)، الصفحة ٢٢٢.



تعريفية؛ لأنه من حيث التعريف يقوم بالإنباء عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله سبحانه. وأما إذا أمر بالتبليغ فتكون نبوته حينئذ تشريعية؛ لأنه من حيث التشريع يقوم بتبليغ الأحكام، والتأديب بالأخلاق، والتعليم بالحكمة، والقيام بالسياسة.

## الولاية الفلك المحيط

قالوا: الولاية نعت إلهي، وفلك إحاطي، وكمال ذاتي. والرسالة خصوص مرتبة في النبوة، والنبوة خصوص مرتبة في الولاية. فالولاية هي الفلك الأقصى المحيط بالكل، إذ بها تسري النبوة والرسالة في الجميع. وكما أنه لا تأثير للممكن وصفاته إلا بما ظهر فيه من الحق وصفاته وأحكامه، كذلك لا رسالة ولا نبوة إلا بالولاية. ولهذا قيل: قوة النبوة بحسب قوة الولاية.

وحيث إن الولاية أكبر حيلة من النبوة والرسالة؛ لذلك هي تشتمل على الأنبياء والأولياء جميعاً؛ فالأنبياء أولياء حال كونهم فانيين في الحق، باقين به، منبئين عن الغيب وأسراره. فالأنبياء مطلقاً داخلون في النبوة التعريفية من جهة إحرازهم لمقام الولاية التي هي باطن نبوتهم. وباعتبار أن الولاية محيطة وعامة؛ كإحاطة الأفلاك لما تحتها من الأجسام، أطلق عليها اسم الفلك، فلها الإنبياء العام.

## مقام التعريف اختصاصي

مقام النبوة التعريفية كمقام النبوة التشريعية اختصاص إلهي غير كسبي، فإن النبوة التعريفية الملازمة للولاية الإلهية من مواهبه تعالى. وقد عبروا عن هذه الحقيقة بتعابير شتى؛ تارة بأن البقاء يكون بالله تعالى وذلك بعد الفناء الذاتي للعبد. وتارة بأن الولي على الحقيقة هو الولي المجذوب المحبوب من الله تعالى، لا السالك المحب. وتارة بأن تحصيل الكمال الحقيقي هو بنحو المقام، لا الحال. وتارة بأن الولاية الحقيقية ولاية دفع الحجاب، لا رفعه. وجميع ذلك مخصوص بالفضل الإلهي كما هو واضح. وهذا الاختصاص بالفضل هو بالولاية التي تكون للأنبياء والأولياء كما سيأتي في الفصل الثاني.

على أن الولاية بين الحق والخلق غير متوافقة الأطراف على ما تقدم في تعريف الولاية، بل هي شأن إلهي خاص، بحيث يكون الله سبحانه ولياً بمعنى الوالي، والعبد مولى عليه؛ ذلك أنه تعالى وإن كان له ولي، إلا أنه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الذَّلِّ﴾ (الإسراء/ ١١١)، فلا يتخذ ولياً من الذل، أما العبيد فلا حيثية عندهم سوى الذل والفقر: ﴿أَيُّبُغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ (النساء/ ١٣٩). وبهذا المعنى قيل: إن حقيقة الولاية هي رفق الولي وفتقه في الأمور المولى عليها، فيمسك عنها في بعض، ويرسلها في بعض؛ لتصل إلى كمال السعادة المطلوبة والمقدرة، وهذه الولاية هي ولاية حقيقية مبتدأة على حقيقة الملك والتدبير، وهي لله تعالى وحسب، فهو المولى الحقيقي فقط: ﴿اللَّهُ وِليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧).

وهذه الولاية الإلهية تكون للأنبياء والأولياء كل بحسب مظهريته للولاية المطلقة والفيوضات الإلهية، فتحصل لهم نبوة التعريف بمقدار نيلهم لمقام الولاية. فالأولياء خلفاء الله تعالى في الولاية لا شركاؤه فيها، سبحانه وتعالى عن أن يكون له ولي من الذل. وفي العيون عن الرضا، عليه السلام: «الإمام لا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، ويمكنه اختياره؟! هيهات، هيهات، ضلت العقول وتاهت الحلوم»<sup>(١٠٣)</sup>.

## أسفار السالك

فأول الولاية انتهاء السفر الأول الذي هو السفر من الخلق إلى الحق: بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار، والخلوص من القيود والأسرار، والعبور من المنازل والمقامات، والحصول على المراتب والدرجات.

يتعرض البحث لبيان الأسفار التي يطويها السالك بنحو الإجمال؛ وموقع الولاية منها، ويهدف إلى تحديد الأساس الذي تقوم عليه الولاية الحقّة، وهو نفي الأغيار والتعلقات الباطلة.

### تمهيد

السفر هو حركة بين الخلق والحق، وهذه الحركة تقع في مراتب الوجود الإنساني؛ وذلك بالترقي عن أدناس مقام النفس إلى مقام القلب، ومن أنوار مقام القلب إلى مقام الروح، ومن أضواء مقام الروح إلى الجنة المزلفة للمتقين. فإذا وصل السالك إلى المقصود برفع تلك الحجب الظلمانية في مقام النفس، والحجب النورانية في مقامي القلب والروح، شاهد حينئذ جمال الحق، وأفتى ذاته فيه. وهذه الأسفار على مراحل، ذكروها على النحو التالي:

### السفر الأوّل (من الخلق إلى الحق)

وهو عبارة عن السلوك والانتقال من عالم الخلق إلى عالم الحق، ورفع الحجب التي بين السالك وبين حقيقته الحقية. ونتيجة طي هذا الطريق يصل السالك إلى مقام وحدة الشهود: ﴿فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة/١١٥)، و﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/٤). فتغلب عليه أحكام الحق، ويظهر له أن الملك: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَّارِ﴾ (غافر/١٦)، ولا يعود يرى في الوجود إلا الله. وبهذا السفر يتخطى السالك المعرفة الظاهرية إلى معرفة من نوع أعمق، فلا يكتفي بمعرفة ظواهر الأشياء فحسب: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الروم/٧٠)، وإنما يسعى إلى معرفة

(١٠٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، تحقيق حسين الأعلمي (بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٤م)، الجزء ١، الصفحة ٢١٩.

الحقائق، والتي تتحدد من خلال مراحل السفر اللاحقة.

### السفر الثاني (من الحق إلى الحق بالحق)

وهو سفر في صفاته وكمالاته تعالى، ومشاهدة أسمائه، وفي هذا السفر يقطع السالك مراحل قرب النوافل، وقرب الفرائض، ويفني ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الحق وصفاته وأفعاله، إلى أن يصير: «بي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبسط»<sup>(١٠٤)</sup>.

وهو سفر في أسماء الله تعالى وصفاته «تخلقوا بأخلاق الله»<sup>(١٠٥)</sup>. وليس التخلق بالأسماء هو التخلق بألفاظها أو بمفاهيمها، وإنما يكون التخلق بالواقع العيني الذي للأسماء، ويراد بالأسماء الإلهية مصاديقها الواقعية، ويراد بالسالك في الأسماء ما يكون بحسب الواقع عالماً حياً قادراً، وحين يتخلق السالك باسم، يظهر منه ما هو أثر ذلك الاسم.

وعليه، فالسفر الثاني هو سفر من الاسم المقيد إلى الاسم المطلق، ذلك أن كل اسم هو نسبة خاصة وتعين خاص إلى الذات، فالقادر هو نسبة القدرة إلى الذات، والسالك يتجاوز النسب والتعينات ليدرك الله في إطلاقه. وحيث إن الحق مطلق غير متناه، فالسفر من الحق المقيد إلى الحق المطلق غير متناه.

والسالك يتخطى في هذا السفر المعرفة الظاهرية، ويقف على حقائق عالم الأسماء والصفات.

### السفر الثالث (من الحق إلى الخلق بالحق)

بعد أن استغرق السالك في شهود الحق، وذهل عن الخلق، يعود مجدداً إلى عالم الخلق، وهو الصحو بعد المحو، والبقاء بعد الفناء. والخلق هنا يجتمع مع الحق «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله [...]»<sup>(١٠٦)</sup>. ذلك أن العبد إذا زال عنه المحو، وحصل له الصحو، وبقي بالوجود الحقاني، وصار ينظر بعين الله، شاهد العوالم من الجبروت (العقل) والملكوت (النفس) والنباتات (الطبيعة) بأعيانها ولوازمها: ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام/ ٧٥)، وإن كان مقدار وقوفه على ملكوت السموات والأرض على حسب قوة سفره.

والسالك بعدما تحقق بأسماء الحق، يطلع هنا على حقائق أفعاله تعالى والتي هي عين الخلق، ويحصل له معرفة حقائق عالم الإنسان. وحقيقة كل شيء ليست سوى عين الربط بالله سبحانه: «رب أرني الأشياء كما هي»<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٤) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٧٠، الصفحة ٧٨.

(١٠٥) المصدر نفسه، الجزء ٥٨، الصفحة ١٢٨.

(١٠٦) شرح أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٨٢.

(١٠٧) رسائل المرتضى، تحقيق السيد أحمد الحسيني (قم: دار القرآن الكريم، ١٤٠٥هـ)، الجزء ٢، الصفحة ٢٦١.

## السفر الرابع (من الخلق إلى الخلق بالحق)

بعد أن يشاهد الخلائق وآثارها ولوازمها، فيعلم مضارها ومنافعها في الدنيا والآخرة، ويعلم كيفية رجوعها إلى الله، وما يسوقها ويقودها ويخزيها، وما يمنعها ويعوقها ويدعوها. فيكون نبياً بنبوة التشريع ويسمى بالنبى، فإنه ينبئ عن بقائها ومضارها ومنافعها، وعمّا به سعادتها وعمّا به شقاوتها، ويكون في كل ذلك بالحق لأن وجوده حقاني، ولا يشغله الالتفات إليها عن التوجه إلى الحق.

### أول الولاية

أول الولاية هو انتهاء السفر الأوّل الذي هو السفر من الخلق إلى الحق، ويفترض سفر الولاية تهيئة القلب لاستبصار الوجود الحق بعد تخليته من الوجود الباطل؛ فما خلق الله في جوف امرئ من قلبين. فهذا القلب تارة يكون مستغرقاً في الغفلة، بحيث يغلب عليه الذهول عن تعلقه الفطري بالكمال، وقد يعرض له الالتفات فيلوذ بالله تائباً، ويستيقظ من غفلته. وتارة بالعكس، لا يكون مستغرقاً في الغفلة، وإنما تعرض عليه الغفلة بتأثير النفس الأمّارة فينسى، ويخلط عملاً صالحاً بآخر سيء، ثم يعود بالتوبة إلى سيرته السائدة من الالتزام بالشريعة وأحكامها. وثالثة ينفذ عن ثوبه غبار الغفلة، ويتمكن من كبح جماح النفس، ويأخذ بقيادها نحو جادة الحق، ولكن دون أن يحصل له التجرد التام عن التعلق بالدنيا.

وفي جميع هذه الأحوال، لا نصيب للإنسان من مقام الولاية الحقة؛ لابتلائه حينئذ بعشق المظاهر والأغيار، ووقوعه في أسر القيود والأسرار. ولهذا فإن أول درجات الولاية لا تحصل إلا بعد إزالة التعشق عن المظاهر والأغيار، والخلوص من القيود والأسرار. فيتهدأ بذلك للعبور في المنازل والمقامات، والحصول على المراتب والدرجات. وبذلك يكون في السفر الثاني الذي هو سفر الولاية على الحقيقة.

### الولاية بين السالك والواصل

وبمجرد حصول اليقين للشخص لا يلحق بأهل هذا المقام، ولا بحصول الكشف الشهودي أيضاً، إلا أن يكون موجّباً لفناء الشاهد في المشهود، ومحو العابد في المعبود. فلا يتوهم العارف غير الواصل، والمشاهد بقوة استعداده للغيوب، والمتصف بالصفات الحميدة والأخلاق المرضية، غير السالك طريق الحق بالفناء عن الأفعال والصفات والذات المتحقق بقرب المقام والنوافل والفرائض، أنه ولي واصل، لأن وصوله علمي أو شهودي، وهو غير واصل في الحقيقة.

يتعرض البحث لبيان الفرق بين السلوك والوصول، وأن الوصول يستلزم رفع الحجاب بالكلية، وأنه لا يمكن الوصول مع بقاء حجاب النفس.

## الولاية محو وفناء

لا شك أن متابعة النبي توصل إلى المحبة الإلهية، وأن الوصول إلى الحقيقة متوقف على اتباع الشريعة. والشريعة هي مجموعة الأوامر والنواهي التي تبين للإنسان ضوابط العبادات، وموازن المعاملات والأحكام، والتي من شأنها لو اتبعت أن تنظم حياة الإنسان الفردية والاجتماعية بما يكفل له سعادة الدارين. والشريعة تتضمن اعتبارات من قبيل الملكية، والزوجية، والميراث، ولا بد من التزام الشريعة في سبيل تحصيل السعادة الحقيقية في دار القرار؛ حيث لا ملك إلا لله تعالى: ﴿الملك يَوْمَئِذٍ لله﴾ (الحج/٥٦)، ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (المؤمنون/١٠١). فالدار الآخرة تقوم على الحقائق لا على الاعتبارات.

والالتزام بالشريعة ومتابعة الأنبياء ينشأ من محبة الإنسان لله تعالى، فهو يلزم نفسه بالشريعة بدافع من التعلق بالله تعالى حتى ولو ظهر ذلك بنحو الرغبة في نعيمه، والخشية من عذابه، فإذا شملته محبة الله تعالى يعبد الله حينئذ لأنه أهل لذلك. والمحبة وإن كانت بظواهرها إضافة متبادلة الأطراف: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران/٣١)، و﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/٥٤)، و﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء/٨٠)، إلا أن تحصيل المحبة الإلهية تتوقف على متابعة العبد للشريعة؛ من الإحسان والتقوى والطهارة والتوبة؛ فإن الله تعالى يحب المحسنين، المتقين، التوابين، المتطهرين.

## بين السالك والواصل

الشريعة تقتضي السلوك برفع الحجب، والحقيقة تقتضي الظهور بالحق؛ ذلك أن سالك طريق الولاية على قسمين:

١. السالك غير الواصل: وهو من حصلت له الولاية بنهاية السفر الأول، الذي هو السفر من الخلق إلى الحق، بإزالة التعشق عن المظاهر والأغيار، والخلاص من القيود والأستار، والعبور من المنازل والمقامات، والحصول على المراتب والدرجات حصولاً يقينياً يسمى بـ «علم اليقين»، وهذا القسم لا يقال له أنه ولي واصل، وإن استلزم ذلك الاتصاف بصفات أولياء الله تعالى. وكذلك المشاهد بقوة استعداده للغيوب، والمتصف بالصفات الحميدة والأخلاق المرضية، الحاصل على المراتب والدرجات حصولاً يقينياً يسمى بـ «عين اليقين»، ليس مقامه مقام الوصل وإنما تنكشف له الحقائق في عالم الروح بدون الفناء فيها.

والسر في عدم الوصول هو أن هذا وصل علمي، أو شهود قلبي؛ بإلغاء القيود. فهو غير واصل في الحقيقة؛ لكونه بعد في حجاب العلم والشهود، والعلم هو الحجاب الأكبر، وهو من الشرك الخفي.

٢. السالك الواصل: وهو فيما إذا كان الكشف الشهودي موجباً لفناء الشاهد في المشهود، ومحو العابد في المعبود، وذلك بسلوك طريق الحق بالفناء عن الأفعال والصفات والذات، والتحقق

بمقام قرب النوافل وقرب الفرائض؛ بأن ينمحي رسمه، ويحول عنه اسمه، فيتجلى الحق له. وهذا هو الولي الواصل.

## قرب النوافل والفرائض

إن ثمره سلوك طريق الولاية هو تحصيل المحبة الإلهية، فإذا صار العبد محبوباً لله سبحانه وتعالى، فقد أحرز مقام القرب المعبر عنه بقرب النوافل أو قرب الفرائض؛ كل بحسبه. والقرب هو عبارة عن الدنو من المحبوب بالقلوب؛ مكاشفة، ومشاهدة، وانقطاعاً عما دون الله تعالى. وهو على نوعين:

١. مقام قرب النوافل: وهو زوال الصفات البشرية وظهور صفاته تعالى على البشر بفعل التخلق باخلاق الله تعالى والتحقق بأسمائه، ولهذا يكون الله تعالى سمع العبد وبصره ولسانه ويده، والعبد يحيي ويميت ويسمع ويبصر ويبطش بإذنه تعالى. وفي الحديث المروي عن الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله من طرق الفريقين: «وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتة، وإن سألتني أعطيتة»<sup>(١٠٨)</sup>. إذا، قرب النوافل هو فناء الصفات في صفات الله تعالى، وليس هو الفناء بالكلية؛ ففي قوله «كنت سمعه وبصره [...]» يرجع الضمير إلى العبد، فإذا كانت الإنيئة باقية، يكون الفناء محدوداً بحدود إنية العبد.
٢. مقام قرب الفرائض: وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجمع الموجودات، حتى نفسه وإنيته أيضاً، بحيث لم يبق في نظره إلا وجود الحق سبحانه<sup>(١٠٩)</sup>. وفي الحديث المروي عن الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله: «ما يزال عبدي يتقرب إلي بالفرائض حتى أحبه، فإذا أحببته صار سمعي [...]»<sup>(١١٠)</sup>. وإنما رجع الضمير إلى الله تعالى وليس إلى العبد، فصار العبد سمع الله تعالى وبصره، وليس العكس؛ لأن العبد فان عن نفسه وإنيته بالكلية.

إن كون سمع العبد هو سمع الله تعالى، وبصر العبد هو بصر الله عز وجل، سوف ينفي المحدوديات عن سمع العبد وبصره؛ إذ لا محدودية في سمع الله تعالى وفي بصره وفي نطقه وبطشه، فتكون جميع الأمور حاضرة عند العبد الفاني في الباري سبحانه في مرتبة الفناء الذاتي التام. فالفرق بين مقام التقرب بالفرائض، ومقام التقرب بالنوافل، هو أن الأخير متضمن للمحدودية، بخلاف الأول منهما. وعلى هذا التقدير، يكون قرب الفرائض أتم وأكمل من قرب النوافل؛ فإن الله تعالى يبصر ويسمع وينطق ويبطش من خلال العبد؛ لمقام فناء العبد فيه تعالى بالكلية.

قيل: وفوقهما مقام الجمع بين المقامين: فقد يتحقق العبد بهذين المقامين مع عدم القدرة على

(١٠٨) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٣٥٢.

(١٠٩) تقدم أنه ليس المراد بالفناء انعدام عين العبد مطلقاً، وإنما فناء جهة في العبد، كفناء الحديد الباردة في النار، بمعنى صدور آثار النارية عنها، لا أن الحديدية انعدمت واستحالت بذاتها نارا.

(١١٠) صحيح البخاري، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحة ١٩٠.

التحكم فيهما كيفما يشاء، وهو مقام «قاب قوسين». أو مع القدرة على التحكم فيهما كيفما شاء ومتى شاء، وهو مقام «أو أدنى».

قال السيد حيدر الأملي: «على أن قرب الفرائض وهكذا قرب النوافل لا يرتبطان الى مقام الذات، وكذا لا يتحققان في الصفات الذاتية له سبحانه وتعالى، بل يقعان لمن وصل هذا المقام والمنزلة في مقام الفعل، أي إن العبد يكون يد الله سبحانه وتعالى في مقام فعله تعالى وهكذا هو سبحانه وتعالى يكون يد العبد في مقام الفعل والظهور: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال/ ١٧)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١١١) (الفتح/ ١٠).

### حجاب العلم والشهود

لأن وصوله علمي أو شهودي، وهو غير واصل في الحقيقة. لكونه حجاب العلم والشهود. وقد قيل: العلم الحجاب الأكبر. وقال صاحب كتاب الإشارات في مقامات العارفين: «من أثر العرفان فقد قال بالثاني». إنما يتجلى الحق لمن أمحى رسمه وزال عنه اسمه.

تعرض العرفاء للبحث عن الحجاب بوصفه منشأ كل معاناة إنسانية، ودعوا إلى ضرورة اختراق الحجب وإزالتها، وكانت لهم رؤية خاصة حول الحجاب. ويهدف البحث إلى بيان حقيقة الحجاب بنظر العرفاء، والذي يحول دون التوجه إلى عز الربوبية وذل العبودية.

### مانعية الحجاب

الحجاب هو المنع، يقال حجبته عن كذا: أي منعته (١١٢). والحجاب حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده (١١٣). وقوله تعالى: ﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ حَجُوبُونَ﴾ (المطففين/ ١٥) أي مستورون عنه فلا يرونه، أو هو تمثيل في إهانتهم بمن يحجب عن الدخول على العظماء (١١٤). والحجاب في اصطلاح العرفاء هو كل ما ستر مطلوبك (١١٥)؛ ذلك أن السالك لا يسعى إلا إلى الوجه الإلهي، فهو مطلوبه، فيكون الحجاب كل ما يقف في طريق رؤيته المباشرة للوجه الإلهي. وما يقف في طريق رؤية الوجه الإلهي هو رؤية الأغيار، وذلك بأي صفة كان من صفات

(١١١) تفسير المحيط الأعظم، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحات ٨٦ - ٩٠.

(١١٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة «حجب».

(١١٣) اللمع، مصدر سابق، الصفحة ٤٢٨.

(١١٤) مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم (الطبعة ٢، ١٩٨٩م)، الجزء ١، الصفحة ٢٦٩.

(١١٥) التعريفات، مصدر سابق، الصفحة ٨٦.

الأغيار<sup>(١١٦)</sup>؛ سواء كان بصفة الأسباب: «احتجب عن العموم بالأسباب فهم يرونها»<sup>(١١٧)</sup>، أو كان بصفة: «انطباع الصور الكونية في القلب، المانعة لقبول تجلي الحق»<sup>(١١٨)</sup>، أو غير ذلك.

### حاجبية العلم والشهود

لا يقتصر مفهوم الحجاب على الحجب المنفردة، مثل حجاب النفس، والطبع، والشهوات، فما يشكل عائقاً لسلوك السالك بالدرجة الأساس هو الحجب العليا التي هي من صفات الكمال؛ كالعلم، والمحبة. وهذه التعينات تتحول إلى حجب كثيفة حين يكتفي السالك بها ولا يعبر منها إلى مقام أعلى. وبذلك تتنوع الحجب إلى حجب ظلمانية وحجب نورية. قيل: الحجب النورية براهين، والحجب الظلمانية شبهات<sup>(١١٩)</sup>.

ولما كانت مراتب السلوك متميزة، عدّوا منها ثلاثة :

١. مرتبة علم اليقين التي هي تصور الأمر على ما هو عليه.
٢. ومرتبة عين اليقين التي هي شهود الأمر كما هو.
٣. ومرتبة حق اليقين التي هي فناء في الحق وبقاء به علماً وشهوداً وحالاً.

وحيث إن الاكتفاء بالمرتبين الأوليين مع ما يشوبهما من الإنية والأنانية، يحول دون بلوغ المرتبة الأخيرة بالفناء الذاتي؛ قالوا إن الاكتفاء بمرتبة علم اليقين وعدم تجاوزها هو حجاب العلم، كما أن الاكتفاء بمرتبة عين اليقين وعدم تجاوزها هو حجاب الشهود، ولذلك فإن مجرد حصول العلم اليقيني أو الشهودي للسالك لا يلحقه بمقام أهل الله، لأنه إنما يتجلى الحق لمن انمحي رسمه وزال عنه اسمه؛ وذلك بالفناء الذاتي في مرتبة حق اليقين.

### منشأ الحجاب

يُرجع العرفاء حجب الظلمة والنور إلى حجاب النفس: «وذلك منك [...] لا من غيرك [...] لأنك الحجاب الأقرب [...] ومن كونك سترًا وحجابًا حددته، فمعرفتك به في هذا الموطن عين الجهل به، وأما الغير فحجاب أبعد بالنظر إليك»<sup>(١٢٠)</sup>.

فالإنسان هو الحجاب على الحق، وبالتالي: «لا يمكن للمعلولات مشاهدة ذاته إلا من وراء حجاب أو حجب، حتى المعلول الأول فهو أيضاً لا يشاهد ذاته إلا بواسطة عين وجوده ومشاهدة نفس

(١١٦) عبد الرزاق الكاشاني، **لطائف الإعلام**، تحقيق أحمد السايح وتوفيق وهبه (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة ١، ٢٠٠٥م)، الصفحة ٣٣٣.

(١١٧) أبو طالب المكي، **قوت القلوب**، تحقيق عبد المنعم الحفني (القاهرة: دار الرشد، الطبعة ١، ١٩٩١م)، الجزء ١، الصفحة ١٢٦.

(١١٨) عبد الرزاق الكاشاني، **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق عبد العال شاهين (القاهرة: دار المنار، الطبعة ١، ١٩٩٢م)، الصفحات ١٦ - ١٨.

(١١٩) **مشكاة الأنوار**، مصدر سابق، الصفحة ٢٢.

(١٢٠) **الفتوحات المكية**، مصدر سابق، الصفحة ٥٩٧.



ذاته. فيكون شهود الحق الأول له من جهة شهود ذاته وبحسب وعائه الوجودي لا بحسب ما هو المشهود»<sup>(١٢١)</sup>.

وإذا كان الإنسان حجاب الحق بوجهه، فهو أيضاً كشفه بوجهه؛ وحينئذ تتحول النظرة إلى الحجاب من حاجز مانع، إلى طريق موصل إلى وجه الله تعالى وقربه. ويترتب على هذا، أن يتحول كل موجود من حجاب على الحق، إلى باب يدخل منه على الحق، لأن كل موجود هو تجل وتعين للحق، وفيه إمكان الإيصال إليه بالإضافة إلى حجبه؛ «وليس الوقوف خلف الباب بحجاب إذا كان الباب يستحيل إلى من يكون خلفه الوصول، والإقامة لديه والنزول، فيكون الباب عين المطلوب»<sup>(١٢٢)</sup>.

### كشف الحجاب

يمكن مقارنة مسألة الحجاب ضمن النقاط التالية:

١. إن الإنسان يسعى بفطرته حثيثاً إلى احتواء مظاهر الغنى والكمال، وإن صاحب كل كمال وجمال حقيقيين هو الله تعالى لا غير، وكل من يدرك هذه الحقيقة ويتذوقها، لن يتعلق قلبه بغير الله تعالى، ولن يرجو غيره تعالى، فالعالم بأسره يبحث عنه تعالى، ويحوم كالفراش باحثاً عن جماله الجميل، وليس من حركة تقع إلا له تعالى، وليس من قدم تخطو إلا نحو ذلك الكمال المطلق.
٢. إن الإنسان الذي ينفر بفطرته من الفقر والنقص والعدم يجد صفات النقص هذه على الدوام في نفسه وفي المخلوقات من حوله، وإن أي كمال أو جمال ينطوي عليه أي موجود ليس منه ذاتاً، إنما هو مظهر لكمال الله تعالى وجماله، بل إن حقيقة شهود السالك ونتيجة السلوك هو رؤية ذل العبودية في نفسه وفي جميع الموجودات.
٣. إن التوجه إلى غير الله تعالى يحجب الإنسان بحجب ظلمانية وحجب نورانية؛ فالأمور الدنيوية بأجمعها إذا ما تسببت في انشداد الإنسان إلى الدنيا وغفلته عن الله تعالى، فإنها تبعث على الحجب الظلمانية. وإن أهم الحجب وأشدّها ظلمة هو التعلق بالنفس، فحقيقة الحجاب قائمة بنا، ونحن بذاتنا حجب، فأنايتنا وإنيّتنا هي التي تحجبنا، وإلا فإن الله سبحانه ظاهر بنفسه، بل إن كل ظهور هو ظهور له.
٤. إن النفس التي هي في ذاتها عين الفقر، قد يظهر فيها بعض الكمالات المستعارة، والتي من خلالها يمكن التعرف على صاحب الكمال الحقيقي بمقدارها فينا، وأما الميل إلى النفس والتعلق بها - بتوهم أن لديها كمالاً حقيقياً - فهو سبب الاغتراب والمعاناة والاحتجاب، ونحن وأمثالنا - ممن حجبنا الحجب الظلمانية المتراكمة بعضها فوق بعض - إنما نعاني ونتعذب

(١٢١) ملا صدرا الشيرازي، الأسفار، الجزء ١، الصفحة ١١٦.

(١٢٢) الفتوحات المكية، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٣٤٢.

نتيجة هذا الاحتجاب.

٥. إن أول خطوة تمهد لرفع الحجاب هي أن نعتقد أننا محجوبون، وأن نصحو تدريجياً من خدر

الطبيعة الذي شمل كامل وجودنا من السر والعلن والباطن والظاهر.

إِذَا، لَا بَدَّ مِنْ خَرَقِ هَذَا الْحِجَابِ وَفَتَحَ الْبَابَ كِشْرَطًا لِلخُرُوجِ مِنْ مَنْزِلِ النَّفْسِ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء/١٠٠). فكما أن الهجرة الصورية هي عبارة عن هجرة البدن إلى الكعبة أو إلى مشاهد الأولياء، كذلك الهجرة المعنوية هي الخروج من بيت النفس ومنزل الدنيا إلى الله.

وعلى السالك الذي يسعى للورود إلى الضيافة الإلهية أن يبذل كل الحجب من أمام طريقه، سواء النورانية منها أو المظلمة، وهو المعبر عنه بـ «كمال الانقطاع». وإلا فما لم يبذل حجب الظلام، وما دامت كل توجهاته إلى عالم الطبيعة، وما دام يجهل ما وراء الطبيعة والعالم الروحي، سوف لن يستفيد من القوى الروحية والمعنوية الذاتية لإزالة ما ران على قلبه من ظلمة الذنوب. إن إنساناً كهذا شأنه هو في الحقيقة في أسفل سافلين، الذي هو أدنى حجب الظلام وأشدّها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين/٥)؛ في حين أن الله - سبحانه - خلق الإنسان في أعلى مرتبة ومقام: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (الشرح/٥).

وأية الخروج والسفر والهجرة إلى الله تعالى هو زوال كل تعلق بنفسانية السالك، وإلا فما دامت البقايا من الأنانية على امتداد نظر السالك وجران مدينة النفس فهو في حكم الحاضر، لا المسافر ولا المهاجر.

## حقيقة الأولياء

فالأولياء هم الذين تظهروا من الصفات النفسية، وتزهوا عن الخيالات الوهمية، وتخلصوا عن القيود الجزئية، وأدوا أمانة وجودات الأفعال والصفات والذات إلى من هو مالكتها بالذات، فعند فناءهم عن أنفسهم وبقائهم بالحق، يتصفون بالولاية وتحصل لهم ما هو غاية آمال العارفين.

أولياء الله هم الذين تحققوا بالعبودية المطلقة، وارتفعت الحجب النفسانية والروحية كلها بينهم وبين المعبود، فلا حجاب بينهم وبينه، وتسموا بجميع أسماء الحق واتصفوا بجميع صفاته، وهذا هو مقام أولياء الحق سبحانه وتعالى. ولما كانت أسماء الأولياء ورسومهم قد فنيت في ذات الحق، فمسك الحق زمام أمورهم بيده، فالله هو المتجلي في مرآة وجودهم<sup>(١٢٣)</sup>.

(١٢٣) معرفة الإمام، مصدر سابق، الجزء ٥، القسم الثاني، الدرس ٦٣، ٦٤: كيفية الوصول إلى مقام الولاية (بتصرف).

## أولياء الله هم أهل التوحيد

يتميز أولياء الله تعالى بأنهم لا خوف عليهم، فلا يخافون غير الله تعالى، ولا هم يحزنون: ﴿الْأُولِيَاءِ لِلَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/ ٦٢)، فالخوف والحزن منتفیان من ساحتهم. وليس ذلك من جهة انتفاء أصل الشعور بالخوف والحزن بحيث يتساوى لديهم الخير والشر والهلاك والنجاة والراحة والعناء واللذة والألم، بل من جهة أنهم لا يرون لغيره تعالى استقلالاً في التأثير أصلاً، ويقصرون الملك والحكم فيه تعالى، فلا يخافون إلا إياه أو ما يحب الله ويريد أن يحذروا منه أو يحزنوا عليه.

إن التوحيد الكامل يقصر حقيقة الملك في الله سبحانه، فلا يبقى لغيره شيء من الاستقلال في التأثير حتى يتعلق به نفسه حب أو بغض أو خوف أو حزن، أو فرح أو أسى، أو غير ذلك. وإنما يخاف هذا الذي غشيه التوحيد ويحزن أو يحب أو يكره بالله سبحانه ويرتفع التناقض حينئذ بين قولنا: إنه لا يخاف شيئاً إلا الله، وبين قولنا: إنه يخاف كثيراً مما يضره ويحذر أموراً يكرهها<sup>(١٢٤)</sup>.

عن أنس بن مالك قال: «قالوا: يا رسول الله، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال، صلى الله عليه وآله: الذين إذا نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتموا بأجلها حيث اهتم الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن يتركوه، فما عرض لهم عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فما يجدونها وخربت بينهم فما يعمرونها، وحلت في صدورهم فما يحبونها، بل يهدمونها فينبون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثالثات فما يرون أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون»<sup>(١٢٥)</sup>.

## أولياء الله طائفة خاصة من المؤمنين

مدح المولى سبحانه أولياءه بقوله تعالى: ﴿الْأُولِيَاءِ لِلَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/ ٦٢) ثم نعتهم بعد ذلك بأنهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس/ ٦٣). ويرى السيد الطباطبائي أن الآية الثانية تفسر المراد بأولياء الله في الآية السابقة عليها؛ ذلك أن الآية تصفهم بالإيمان والتقوى المستمرة السابقة على إيمانهم من حيث الزمان؛ كما يظهر من عطف قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ على قوله ﴿آمَنُوا﴾ والదال على أنهم كانوا يستمرون على التقوى قبل تحقق هذا الإيمان منهم. فالآية الكريمة تأتي أن تكون الولاية شاملة لجميع المؤمنين، وفيهم أمثال الذين يقول الله سبحانه فيهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف/ ١٠٦). ومن المعلوم أن الإيمان الابتدائي غير مسبوق بالتقوى، بل هما متقاربان أو هو قبل التقوى، وخاصة

(١٢٤) للمزيد انظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، الجزء ١٠، الصفحة ٩٢.

(١٢٥) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٧٤، الصفحة ١٨١.

التقوى المستمرة؛ فيكون المراد بهذا الإيمان مرتبة أخرى من مراتب الإيمان غير المرتبة الأولى منه. فالآية تدل على أن هذا الوصف إنما هو لطائفة خاصة من المؤمنين يمتازون عن غيرهم بمرتبة خاصة من الإيمان تخصهم دون غيرهم من عامة المؤمنين<sup>(١٢٦)</sup>. وهؤلاء هم أصحاب القلوب، وأهل الله الفانين في ذاته، الباقيين ببقائه، صاحبي قرب الفرائض. المشار إليهم في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي»<sup>(١٢٧)</sup>. وهؤلاء هم الذين نضوا<sup>(١٢٨)</sup> جلباب البشرية وخلعوها، وتجاوزوا عن قدس الجبروت، ودخلوا في قدس اللاهوت، وهم الموحدون حقاً.

(١٢٦) للمزيد انظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، الجزء ١٠، الصفحة ٩٢.

(١٢٧) تفسير الألويسي، مصدر سابق، الجزء ١٧، الصفحة ١١٢.

(١٢٨) نضت القرية من شدة المَلِي: انشقت.

## الفصل الثاني: الولاية الاختصاصية

إن شأق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كل طائر  
وسرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر  
( أفلاطون الإلهي )

جلّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكلّ وارد  
أو يطلع عليه إلاّ واحد بعد واحد  
( الشيخ الرئيس )



## النبوة والولاية المطلقتان والمقيّدتان النبوة المطلقة

لكل من النبوة والولاية اعتباران: اعتبار الإطلاق واعتبار التقييد، أي العام والخاص. والنبوة المطلقة هي النبوة الحقيقية الحاصلة في الأزل الباقية في الأبد. ولسانها: «كُتِّبَ نبيًا وآدم بين الماء والطين»، «وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة» وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة». وهي إطلاق النبي المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذاتها وماهياتها: «واعطاء كل ذي حق حقه» الذي يطلبه بلسان استعداده من حيث الإنشاء الذاتي والتعليم الحقيقي الأزلي. وصاحب هذا المقام هو الموسم بالخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، والآدم الحقيقي، المعبر عنه بالقلم الأعلى، والعقل الأول، والروح الأعظم.

تطرق العرفاء عمومًا إلى بيان الخصوصيات التي تستقل بها ولاية الإنسان الكامل. ويعتبر البحث في ولاية النبي، صلّى الله عليه وآله والأئمة، عليهم السلام، وما لهم من الولاية الإلهية التي يمتازون بها عن غيرهم، من أهم مباحث الولاية. ويتعرض البحث لأمر ثلاثة: اعتبار الإطلاق والتقييد في النبوة والولاية، وتعريف النبوة المطلقة، وبيان مكانة القائم بها.

### اعتبار الإطلاق والتقييد في النبوة والولاية

ينصبّ حديث العرفاء على الحقيقة التي هي باطن الشريعة. ويعرّفون النبوة بما يتناسب مع ميلهم هذا، فالنبوة إخبار عما تحكيه الحقيقة في مظاهرها، وليس هي بالضرورة إخبار عما تحكيه الحقيقة من أحكام وتشريعات.

والأنبياء مخوّلون بالإعلان عن الحقيقة إعلانًا ذاتيًا بحكم ما لهم من مقام القرب المعبر عنه بالولاية، وهو التحقق بالحق، والتخلق بأخلاق الحق، وشهود الحق في مظاهر الخلق. كل هذا مع التأكيد على أن الحقيقة بهذا الاعتبار ليست سوى تجلٍّ ومظهر، وليست هي الحقيقة المجهولة في ذاتها. وبالتالي، فإن الإعلان عن الحقيقة هو إعلان عن ذاتهم من حيث هي مجلى الحقيقة ومظهرها.

وتوضيح ذلك أن الحقيقة التي تقع في مجال الأنبياء والأولياء خاضعة لمستويات من القرب والتحقق والظهور والتجلي، فقد ذهب العرفاء إلى القول بالمراتب والوسائط في الفيض والظهور، وكل مرتبة من هذه المراتب تشترك مع غيرها في أصل القرب من الحق، وتتمايز عن غيرها في خصوصية ذلك القرب، فهي مطلقة بلحاظ الأصل، ومقيدة بلحاظ الخصوصية؛ أي مطلقة بلحاظ الحق، ومقيدة بلحاظ الخلق. ومع أن الإنبياء الحقيقيين عن الحق لا يكون إلا من جهة الإطلاق، إلا أن الإطلاق تارة يلحظ في المقيد، وذلك يكون بالنحو المناسب لدرجة القرب؛ إذ بمقدار الغياب عن

الوجود الخلقى والحضور بالوجود الحقي، يكون إنباؤهم عن الحقيقة حينئذٍ. وتارة يلحظ الإطلاق في المطلق. وهذا هو نهاية القرب والظهور وختم مراتب التجلي والشهود. وهذا الأمر يستلزم وجود مرتبة التحقق الكامل والإنباء التام المعبر عنه بالنبوة المطلقة. فيتضح أن الإطلاق والتقييد في الإنباء ملحوظ باعتبارين: أحدهما أن الإنباء له مراتب مشككة باعتبار القيود والخصوصيات. وتكون مطلقة بلحاظ ما تشترك فيه دون ما تتمايز به. والآخر أن للإنباء مرتبة تامة هي الأصل، ولا تكون إلا مطلقة.

ويتضح أيضاً أن هذه المراتب ترجع إلى الأصل وتستفيض منه. لأن قوام المقيد بالمطلق. وهو منه بمنزلة الجزئي من الكلي. من هنا قالوا: إن كل من النبوة والولاية من حيث هي صفة إلهية تكون مطلقة وعامة، ومن حيث استنادها إلى الأنبياء والأولياء تكون مقيدة وخاصة. فنبوة الأنبياء كلهم جزئيات النبوة المطلقة، وولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة.

وعليه، فإن نبوة النبي، صلى الله عليه وآله، مطلقة ومقيدة، فالنبوة المطلقة صفة إلهية ظهرت في النبي، صلى الله عليه وآله، وهي مطلقة، أي لم يلحظ فيها النبي، بل هو فأن عن نفسه باقٍ بربه، فليس له، صلى الله عليه وآله، شأن غير الشأن الإلهي.

ولكن قد تلحظ هذه النبوة باعتبار قيامها بالنبي الأعظم، صلى الله عليه وآله، أي من حيث إنه، صلى الله عليه وآله، صاحبها وقائم بها، فله حينئذٍ - بلحاظ هذا المقام الإلهي - الإخبار عن الحقائق الإلهية، وبيان معرفة ذات الحق وصفاته وأحكامه، وبهذا اللحاظ هي نبوة تعريفية، فإن ضم معها تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق، وتعليم الحكمة، والقيام بالسياسة، فهي النبوة التشريعية، وتختص بالرسالة. وإنما تسمى بالنبوة المقيدة - بقسميها من التعريفي والتشريعي - بلحاظ إضافتها إليه، صلى الله عليه وآله، الموجبة لخروج هذه الصفة الإلهية عن الإطلاق، وإعمالها في الخلق الموجب للتقييد.

فالإطلاق هنا صفة لنبوة النبي بلحاظ كونه فانياً عن نفسه باقٍ بربه، والتقييد صفة لنبوة النبي - سواء أكانت النبوة التشريعية أم تعريفية - ولكن بلحاظين: أحدهما أنه صاحبها قائم بها، وهي مضافة إليه، وبهذا تخرج النبوة عن الإطلاق. والآخر لحاظ إعمالها في الخلق، وبهذا يلزم التقييد. ولا يتنافى هذا مع القول بأن لمقام النبوة مراتب، أدناها النبوة التشريعية وتسمى بنبوة التشريع، وأعلاها النبوة المطلقة وتسمى بمقام الإنباء، وهو مقام الإنباء والإخبار عن أسمائه وصفاته وأحكامه ومراداته. وبهذا الاعتبار، تكون النبوة مطلقة من جهة الإنباء عن الأسماء والصفات الإلهية، ومقيدة من جهة التشريع؛ ولا مشاحة حينئذٍ في الاصطلاح.

### تعريف النبوة المطلقة

لا يوجد كثير فرق بين النبوة المطلقة والنبوة المقيدة من جهة أنها إنباء. فكلاهما اطلاع على استعداد الموجود. وكلاهما إعطاء المستحق ما يطلبه بحسب استعداده، وكلاهما إنباء وتعليم، وكما



يحتاج الطبيب في عمله إلى الاطلاع على طبيعة المرض لتشخيصه، ومن ثم تشخيص العلاج الناجع معه، وتالياً إلى إجراء العلاج اللازم. كذلك النبي يطلع على استعداد الموجود وفقره، ويعطيه ما هو مستعد له، وذلك عن طريق الإنباء والتعليم.

وقد جاء التعبير عن إطلاق النبوة - بحسب التعريف - من جهات: من جهة الوقت، والحقيقة، والاختصاص، والشمول، والذات. فمن جهة الوقت، فإن النبوة المطلقة أزلية أبدية. ومن جهة الحقيقة، فهي مرجع كل نبوة واستفاضة؛ لكونها النبوة على الحقيقة. ومن جهة الاختصاص، لا يقاس الإنباء المطلق إلى غيره؛ لأنه هو الإنباء الجامع والأقدس. ومن جهة الشمول، فإن النبوة المطلقة هي اطلاع على الجميع، وإعطاء لكل. ومن جهة الذات، فهذه النبوة هي اطلاع على الاستعداد الذاتي، وإنباء وإعطاء بحسب الاستحقاق الذاتي. وعليه، فالنبوة المطلقة هي الوسطة الأزلية والأبدية في الفيض، ولا تقاس إلى غيرها، ولا يشذ عن حيطتها موجود ممكن. وهي العاملة في مقام الذات. ولذلك لا تتناهى عدّة وشدة ومدّة.

### النبوة المطلقة هي النبوة الحقيقية

إن ظهور الذات الإلهية المقدسة وتجليها بتوسط الحقيقة المحمدية، هو ما يسميه العرفاء بمقام النبوة المطلقة والحقيقية الحاصلة في الأزل. ذلك أن الذات المقدسة غير معروفة لأحد، وهي غيب مصون عن الظهور، فلا تظهر بذاتها، بل بتوسط خليفة يستخلف عنها في الظهور بالأسماء والصفات.

وحيث إن كل حقيقة منتزلة تنبئ عن الحقيقة التي فوقها، فلا بد وأن يكون الإنباء التام عن الذات من حيث شأن كلي ومظهر جامع لجميع شؤونها واعتباراتها، وذلك لا يمكن إلا في مظهر له تمام الجامعة وكمال القابلية، حتى يقبل كل ما يقابله، وهو الإنسان الكامل لا غير، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى/ ١١). ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم/ ٣٤).

وقد تقدم أن النبوة التعريفية من لوازم الولاية الإلهية التي لا تنقطع. فتكون بمقام إطلاقها أزلية أبدية. «فكل نبي من أول آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن كان تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود [...] وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث»<sup>(١٢٩)</sup>. فكما أن الله تعالى هو الأول والآخر مطلقاً، كذلك يكون خليفته «بنا يختم الله كما فتح الله»<sup>(١٣٠)</sup>، فلا يسبقه سابق في النبوة «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»<sup>(١٣١)</sup>، ولا يلحق به لاحق «لا نبي بعدي»<sup>(١٣٢)</sup>. ولذلك يقرر العرفاء حقيقة أن النبوة المطلقة هي نبوة شاملة لكافة مراتب الوجود الإمكانية ونشأته المختلفة؛ وأن النبي المطلق كان نبياً قبل أن يجيء إلى هذا العالم، ويكون نبياً أيضاً عندما يخرج من

(١٢٩) فصوص الحكم، مصدر سابق، الصفحتان ٦٣ و٦٤.

(١٣٠) ابن بابويه القمي، الإمامة والتبصرة (قم: مدرسة الإمام المهدي (ع)، الطبعة ١٤٠٤هـ)، الصفحة ٩٢.

(١٣١) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٣٢) الاقتصاد، مصدر سابق، الصفحة ٢٢٢.

هذا العالم.

## تعريف النبوة المطلقة

حيث إن هذه النبوة صفة إلهية ظهرت في النبي الأعظم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والصفة الإلهية مطلقة لا تحدُّ بحدٍّ، فتكون حقيقتها هي اطلاع النبيِّ المخصوص بها - وهو النبي الأعظم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - على استعداد جميع الموجودات بحسب ذاتها وماهياتها. أي اطلاع النبي على الفقرِ الوجوديِّ في حق جميع الموجودات التي هي عين التعلق والربط. وأن الله تعالى هو الحق ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ (الكهف/ ٤٤)، وكل ما عداه باطل «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله [...]»<sup>(١٣٣)</sup>.

ويلزم من اطلاع النبي على استعداد جميع الموجودات بمقتضى نبوته المطلقة؛ أن يعطي كل ذي حق حقه الذي يطلبه بلسان استعداده، أي إنباء جميع المخلوقات بحقيقة قيامها بالله تعالى بالمعية القيومية. فإن النبوة واسطة في إرجاع الفقراء إلى حظيرة القدس بإيقاظ الفطرة فيهم، وتذكيرهم بالميثاق الذي أعطوه بمقتضى ذواتهم وفطرتهم ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَآلُوا بَلِي﴾ (الأعراف/ ١٧٢). فإن الكمال اللائق بهم لا يتحقق مع الغفلة عن فقرهم الوجودي، والغفلة عن التوجه بربهم.

إلا أن هذه المخلوقات على تفاوت فيما بينها في الوفاء بالميثاق نظراً لما اعترأها من خدر الطبيعة والانحراف عن الفطرة السوية بالتهوؤ والتنصّر والتمجّس وغير ذلك. ولذلك فإن تحقق الغرض من الإنباء إنما يكون بمقتضى العدل والحكمة من حيث مطابقة الإنباء مع واقع الحال، وذلك بإظهار الحقائق الإلهية بمقدار القابلية على المستعد، وهو حقه الذي يطلبه بلسان استعداده. وهذا الإنزال والتكلم كما يقع بلسان المقال والشريعة، يقع أيضاً بلسان الحال والحقيقة، وهذا الإنباء لا يختص بالإنسان، بل يشمل سائر المخلوقات الأخرى.

وقد ذكروا أن للإنسان سرّاً، به يستعدّ لقبول فيض النور الإلهي بواسطة النبي الأعظم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والأئمة، عليهم السلام، فبالترقية يترقى الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وبسرّ المتابعة لصاحب الحقيقة المحمدية (ص) يترقى إلى عالم الجبروت وغيب الغيوب. فيشاهد بنور الله المستفاد من سرّ المتابعة أنوار الجمال والجلال، فيكون في خلافة الله الحق؛ فهو تعالى عالم الغيب والشهادة، يظهر على غيبه بقدر سرّ المتابعة، ولوجود هذا الاستعداد والسر الإلهي المكنون في الإنسان استحقّ الخلافة الإلهية. فقد جعل سبحانه الإنسان قابلاً للوصول إلى جنبه بالمتابعة لحقائق أنوار الولاية المحمدية وآله الطاهرين، وللتخلّج بخلع الخلافة الإلهية بحسب لطفه وعنايته. فالتعليم النبوي هو إظهار كمالات الوجود في الإنسان، من العلم والقدرة والحياة، ونقلها من مرحلة القابلية الكامنة إلى مرحلة الفعلية والتحقق، على ضوء المعارف الإلهية الحقّة. ويترتب على هذا التعليم انعكاس الحقائق على القوايل والمرائي المستعدة، وإظهارها بحسب استعداد تلك

(١٣٣) شرح أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٨٢.

المظاهر لانعكاس الوجه الغيبي فيها؛ فإن الظهور بها يكون بمقدار إظهارها.

وضرورة النبوة تأتي من ملاحظة الاستعداد والفقر الوجودي في المخلوقات، ومراعاة نسبة الاستعداد فيها، ويتجلى ذلك في محدودية التحمل؛ قولاً وفعلاً وحالاً، ونسبية العوالم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر/٤٩)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/٢١)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم/٤). من هنا، كانت طريقة العرفاء مقيدة بحسن متابعة الأنبياء، والنبوة المطلقة هي الوسطة الكبرى والتي هي حقيقة الأنبياء؛ ذلك أن النبي المطلق كان ينبئ العقول والنفوس والملائكة والروحانيات كلها عن الله وصفاته وأسمائه وأفعاله على قدر قابليات الموجودات واستعداداتهم، كما هو معلوم من تعليم آدم، عليه السلام، الأسماء كلها، حيث كانت روح آدم تستفيض من العلوم والمعارف، وسائر الأنبياء ما منهم إلا وكان داعياً إلى قومه بالحق عن تبعيته له؛ لقوله، صلى الله عليه وآله: «آدم ومن دونه تحت لوائتي يوم القيامة»<sup>(١٣٤)</sup>.  
ولسان النبوة المطلقة باعتبار الأصل، قوله، صلى الله عليه وآله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»<sup>(١٣٥)</sup>. وباعتبار ظهوره في الخلق، قوله، صلى الله عليه وآله: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة»<sup>(١٣٦)</sup>.

### الإنباء الذاتي والتعليم الحقيقي

الإنباء هو إظهار المعارف الإلهية، وهذا الإظهار ليس بنهج واحد، بل تختلف مراتبه بحسب نشآت الوجود واختلاف العوالم.

والإظهار كشف المستور، وإعلان السر والخفي. ومنشأ الخفاء هو وحدة الذات، في حين أن منشأ الظهور هو كثرة الصفات والتعينات. وعند اقتران الصفات بالذات تتكشف الذات في كسوة الأسماء، فالاسم القادر هو عبارة عن ذات مقترنة بصفة القدرة. وحين تقترن الصفة بالذات تكشفها وتظهرها، ولكن هذا الإظهار يبقى محدوداً بحدود ظهور تلك الصفة. فالذات تتكشف فقط بمقدار اسم القادر. وإظهار الذات من خلال اسم القادر هو إظهار محدود ومقيد، ولهذا تكون النبوة مقيدة. وأما الذات المقترنة بجميع الصفات، فهي الاسم الأعظم، وهذا الاسم يكشف الذات ويظهرها؛ وهو أول ظهور للذات ببركة جميع الصفات، وهذا الظهور يصطلح عليه بمقام الواحدية، وذلك مقابل الذات التي لا تلحظ معها أي صفة من الصفات، فلا يكون لها أي اسم، بل هي غيب الغيوب، ويصطلح عليها بمقام الأحدية. فالمتحقق بالاسم الأعظم هو الصادر الأول والنبوي المطلق. من هنا، عرفوا النبوة المطلقة بأنها: «إظهار ما في غيب الغيوب في الحضرة الواحدية». وما في غيب الغيوب هو «الحقائق المستكنة في الهوية الغيبية» والتي هي الحقيقة الوجودية الكاملة.

(١٣٤) قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح (قم: مؤسسة الإمام المهدي، الطبعة ١٤٠٩هـ)، الجزء ٢، الصفحة ٨٧٦.

(١٣٥) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٣٦) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

وعليه، فالإنبياء الذي يحصل في النشأة الأولى هو الإنبياء عن الذات بإظهارها في كسوة الأسماء والصفات جميعاً. والنبى المطلق هو المتكلم على الأسماء والصفات بمقام تكلمه الذاتي في الحضرة الواحدية. فينبئ العقول والنفوس والملائكة والروحانيات كلها عن الله وصفاته وأسمائه وأفعاله على قدر قابليات الموجودات واستعداداتهم.

وإنبياء النبوة المطلقة هو إنبياء تكويني ذاتي، ولذلك يعبر عنه بالتعليم الحقيقي الأزلي، ويسمى بالربوبية العظمى والسلطنة الكبرى. وإنما كان تعليم الأسماء من حظ الإنسان دون غيره؛ لأن الله تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة حتى استعداد لإدراك أنواع المدركات، ومعرفة ذوات الأشياء وخواصها، وبمعرفة ذلك كله يتأتى له مظهريته لأسماء الله الحسنى كلها. فالإنسان يمتلك استعداداً وجيلةً تمكنانه أن يمثل الكون الجامع.

## القائم بالنبوة المطلقة

### الصادر الأول

جاء في الأخبار: «أول ما خلق الله العقل»<sup>(١٣٧)</sup>، «أول ما خلق الله القلم»<sup>(١٣٨)</sup>، «أول ما خلق الله روعي»<sup>(١٣٩)</sup>، «أول ما خلق الله نوري»<sup>(١٤٠)</sup>. وعن جابر أنه سأل النبي، صلى الله عليه وآله، عن أول شيء خلقه الله. فقال: «نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير»<sup>(١٤١)</sup>. يرى العرفاء أن هذه الأقوال هي في الحقيقة قول واحد؛ ذلك أن مبدأ المخلوقات والموجودات هو الأرواح الإنسانية، ومبدأ الأرواح الإنسانية هو الروح المحمدية (ص)، فهو خلاصة الموجودات ومبدؤها<sup>(١٤٢)</sup>.

### الميثاق

أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله، صلى الله عليه وآله، وينصروه إن أدركوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (آل عمران / ٨١). وعن علي بن أبي طالب، عليه السلام قال: «لم يبعث الله نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرن، ويأمره فيأخذ العهد

(١٣٧) القندوزي، **ينابيع المودة** (دار الأسوة للطباعة، الطبعة ١، ١٤١٦هـ)، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(١٣٨) **ينابيع المودة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(١٣٩) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(١٤٠) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(١٤١) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٥٧.

(١٤٢) نجم الدين الرازي، **مرصاد العباد** (قم: طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب، لا تاريخ)، الصفحة ٣٧.

على قومه، ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾<sup>(١٤٣)</sup>. وقال، صَلَّى اللهُ عليه وآله: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(١٤٤)</sup>.

يستند العرفاء إلى نصوص كثيرة في تأييد فكرتهم حول محورية النبوة المحمدية، والتي تتجاوز بطبيعتها الوجود الدنيوي إلى الوجود القبلي والوجود البعدي فإن كل رسول إنما بعث إلى قوم مخصوصين، ولم يبعث بشريعة عامة إلا، محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله؛ ولهذا يرون أنه لو كان، صَلَّى اللهُ عليه وآله، موجوداً بجسمه من لدن آدم، السلام إلى زمانه، لكان جميع الأنبياء نوابه، ولكان جميع بني آدم تحت شريعته.

### أول المسلمين

لقد خص الله تعالى في القرآن الكريم النبي، محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله، بأنه أول المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ آلِ مُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام/١٦١-١٦٣)، ويقول أيضاً: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر/١٢). فهو الأول من حيث الانقياد والطاعة والعبودية لله سبحانه وتعالى، ومن ثم إذا كان هنالك إنسان يستحق الخلافة عن الله تعالى وسجود الملائكة له فليس هو إلا الرسول الأكرم، صَلَّى اللهُ عليه وآله.

### سيد الأنبياء والناس

قال، صَلَّى اللهُ عليه وآله: «أنا سيد الناس يوم القيامة»<sup>(١٤٥)</sup>. فله يوم القيامة التقدم أيضاً على جميع الرسل مع السيادة. فكانت روحانيته، صَلَّى اللهُ عليه وآله، روحانية كل رسول موجودة، والإمداد يأتي إليهم من روحه الطاهرة بما يظهر منهم من الشرائع والعلوم في زمن وجودهم رسلاً، وكان تشريعهم الشرائع كما كان علي بن أبي طالب يقضي في زمان وجود جسم رسول الله، صَلَّى اللهُ عليه وآله، وكما يكون عيسى، عليه السلام، حين ينزل آخر الزمان بشرع محمد، صَلَّى اللهُ عليه وآله. لكن لما لم يوجد، صَلَّى اللهُ عليه وآله، في الحس نسب كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد، صَلَّى اللهُ عليه وآله، وإن كان مفقود العين، كما يكون، صَلَّى اللهُ عليه وآله، مفقود العين في زمان نزول عيسى وحكمه بالشرع المحمدي. وكان نزول عيسى آخر الزمان حاكماً بغير شرعه الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكمه بشرع محمد، صَلَّى اللهُ عليه وآله، أدل دليل على أنه لا حكم لأحد من الأنبياء مع وجود محمد، صَلَّى اللهُ عليه وآله، أو وجود ما قرره من الحكم. فخرج من هذا

(١٤٣) المتقي الهندي، كنز العمال، تحقيق بكرى حياني (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م)، الجزء ٢، الصفحة ٢٧٧.

(١٤٤) بن أبي شعبة، المصنف (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م)، الجزء ٦، الصفحة ٢٢٨.

(١٤٥) أحمد بن حنبل، مستند أحمد (بيروت: دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة ٤٣٥.

كله أن محمداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ملك وسيد على جميع بني آدم، وأن جميع من تقدمه كان ملكاً له، والحاكمون فيه كانوا نواباً عنه<sup>(١٤٦)</sup>.

وقد أيد العرفاء نظرتهم هذه بالنصوص التي تشير إلى أسبقية خلق الله تعالى للأرواح على الأجساد، وأسبقية النبوة المطلقة: «كنت نبياً [...]»، حيث كان سابقاً بروحه الشريفة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وحقيقته.

## الولاية المطلقة

وباطن هذه النبوة الولاية المطلقة. وهي عبارة عن حصول مجموع الكمالات بحسب الباطن في الأزل وبقائها إلى الأبد. ويرجع إلى فناء العبد في الحق وبقائه به. وإليه الإشارة بقوله (ع) : «أنا وعلي من نور واحد».

يتعرض النص أعلاه لبيان أمور ثلاثة: الولاية المطلقة باطن النبوة المطلقة، وتعريف الولاية المطلقة ومظهر الاسم الأعظم، وبيان القائم بالولاية المطلقة.

## الولاية المطلقة باطن النبوة المطلقة

تقدم الحديث عن الوجوه التي لأجلها تكون الولاية باطناً للنبوة، وأن النبوة إنما تحصل من جهة الولاية باعتبار أن نسبة الولاية إلى النبوة كنسبة الحقيقة إلى الشريعة، والشريعة لا تكون إلا لمن أطلع على الحقيقة، فلا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية. وأن الولاية هي منشأ النبوة؛ لأنها هي الجهة التي يأخذ منها النبي الفيض من الله تعالى، ولولا هذه الجهة لم تكن جهة النبوة. وأن الأنبياء لكونهم مظاهر الولاية المطلقة وسائر الفيوضات الإلهية، صاروا قبلة للناس وانجذب الناس إليهم. كما أن متابعة الولي في التأويل هي عين متابعة النبي في التنزيل، والاختلاف بينهما لا يعدو الظاهر والباطن، فالشريعة ظاهر النبوة، والولاية باطنها، فيتضح بذلك الوجه في أن الولاية أتم من النبوة وباطن لها.

والكلام هنا عن النبوة المطلقة التي هي من لوازم الولاية المطلقة، وحيث إن الولاية صفة إلهية، فتكون النبوة المطلقة بهذا الاعتبار صفة إلهية «يا من دل على ذاته بذاته»<sup>(١٤٧)</sup>. وإن لم يطلق على الله تعالى اسم النبي، ولا يجري عليه اسم غير الأسماء التي وردت في لسان الشريعة؛ فإن أسماء الله توقيفية<sup>(١٤٨)</sup>.

فالنبوة والولاية توأمان يثبتان له، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بلحاظ الواقع ونفس الأمر، ولا يقبلان

(١٤٦) للمزيد انظر: المقرئ، الميرزي، إمتاع الأسماع، الجزء ٣، الصفحات ١١٦ - ١٢٠.

(١٤٧) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٨٤، الصفحة ٣٢٩.

(١٤٨) مصباح الهداية، مصدر سابق، الصفحة ٥٢.

الزوال ما دام لله تعالى عناية في الخلق، وله تعالى ظهور فيه. فإن إطلاع النبي المطلق على الاستعداد الذاتي في جميع الموجودات، وإعطاء كل ذي حق حقه من حيث الإنبياء الذاتي، ناشئ بالضرورة من حصول مجموع الكمالات له بحسب الباطن. فجهة نبوته المطلقة ناشئة من جهة ولايته المطلقة، وجهة ولايته المطلقة هي الباطن لها.

### تعريف الولاية المطلقة

عرّفوا الولاية هنا بأنها عبارة عن حصول الكمالات. وهو تعريف باللازم، إذ يلزم من حصول الفناء والبقاء والتحقق بالوجود الحق، حصول الكمالات كما لا يخفى.

وأما إطلاقها؛ فلاحتمائها على مجموع الكمالات من حيث كمال القابلية، وعلى مجموع الأزمنة أزلاً وأبداً. وما كان كذلك فهو من شؤون الباطن والحقيقة. لذلك، فالولاية صفة إلهية، ليس لها حد محدود، ولا نعت موجود، بل هي مطلقة وعامة.

إلا أن الولاية تقتضي الظهور، أي الانتقال من دائرة وحدة الذات إلى دائرة كثرة الأسماء والصفات، حيث تتوالد الأسماء وتتكاثر جراء اقتران الصفات بالذات على ما تقدم، وإنما كان الظهور الأول للولي المطلق لاشتماله على مجموع الكمالات.

وعليه، فإن حصول الكمالات يرجع إلى فناء العبد في الحق وبقائه به، أي شهود الحق الواحد في مظاهر الخلق، وحيث إن الفناء والبقاء في الولاية المطلقة حاصل بحسب الباطن أزلاً أبداً، فلا بد أن يصير الفاني بهذا الفناء مظهرًا لأسماء الله بإطلاقها.

### مظهر الاسم الأعظم

إن الله جل جلاله هو عين الوجود وهو حق الوجود، ولذلك فهو الحي القيوم العالم القادر لا حياة فوفه ولا يعجزه شيء بل هو على كل شيء قدير، ولا يحتجب عنه شيء، فهو العالم بكل شيء قبل وجوده وعنده وبعده، وظاهره وباطنه، وتفصيله ومجمله. وإلى هذا المعنى، أشار العرفاء بالاسم الأعظم، حيث قالوا إن اسم الله الأعظم هو عبارة عن مجموع الكمالات الوجودية كلها. وإن حروف الاسم الأعظم هي عبارة عن المراتب الوجودية الكمالية. فهو حقيقة عينية كما أن الأسماء الحسنى كلها حقائق عينية، إلا أنه لا يوجد فوفه اسم؛ بل هو جامع لكل كمال وجمال.

ثم إن حصول هذه الكمالات من العلم والقدرة والحياة لأحد، راجع إلى التحقق بالوجود الحق، ويترتب على التحقق بالوجود الحق، الظهور بمظهر الحق. وكلما كان الموجود أقرب إلى الله تعالى؛ معدن العظمة والحياة والعلم والقدرة، كلما كان أشد حياة وعلماً وقدرة.

ثم إنهم ميزوا بين الاسم الأعظم وبين مظهره، حيث قالوا إن الكمالات كلها تكون له تعالى بالأصالة، فهي عينه وهو عينها، ويجمع هذا كله لفظ الغني، فهو الغني المطلق الذي لا فقر فيه، وغيره عين الفقر إليه. وأما مظهر الاسم الأعظم، فليس له هذا الاختصاص الذي اختص الله

سبحانه نفسه به، ذلك أن امتياز الواجب عن الممكن كامتياز ذي الظل عن الظل، هو مرتبة وجودية لا يمكن لأحد أن يصل إليها؛ وإلا لانقلب الفقير الذي هو عين الفقر غنياً.

### القائم بالولاية المطلقة

وإلى هذا المعنى أشاروا بالقول: إن النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والأئمة، عليهم السلام، لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهية، فإن ولايتهم مظاهر الولاية الإلهية، وجزئيات للولاية الإلهية، فلها من آثار السلطنة والتولية ما للولاية الإلهية منها، وإليه يشير بقوله، عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله تعالى»<sup>(١٤٩)</sup>.

حيث إن النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وآل بيته، عليهم السلام، هم أقرب الخلق إلى الله تعالى، كانوا، عليهم السلام، هم الأشد حياة والأشد علمًا وقدرة، فإذا أرادوا أراد الله؛ لفناء إرادتهم في إرادته تعالى، ولو كشف عنهم الغطاء لما ازدادوا يقينًا. ويتلوهم في المرتبة الأنبياء والأوصياء والأولياء الأكمل فالأكمل.

فالمظهر الأتم للاسم الأعظم هو الصادر الأول؛ «كنا عند ربنا، ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحه ونقدس»<sup>(١٥٠)</sup>. و«كيف لا نكون أفضل من الملائكة! وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيبحة وتهليله وتقديسه»<sup>(١٥١)</sup>. فهو؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أول الخلق، وهو السبوح القدوس منذ صدوره. وهو برهان الحق: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (النساء/١٧٤). وهو الحجة الصادقة والمعجزة القاهرة على ما أمر به تعالى. فالمظهر الأتم للاسم الأعظم هو النور المحمدي، والحقيقة المحمدية<sup>(١٥٢)</sup>.

وفي تفسير الصافي للفيض الكاشاني ذكر - ضمن تفسير الآية الكريمة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠) - هذا الحديث الشريف: «قال علي بن الحسين، عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قال: يا عباد الله، إن آدم لما رأى النور ساطعًا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبين الأشباح، فقال: يا رب، ما هذه الأنوار؟ فقال عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا رب لو بينتها لي، فقال الله عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش. فنظر آدم، عليه السلام، ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية

(١٤٩) بصائر الدرجات، مصدر سابق، الصفحة ٩٥.

(١٥٠) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ١٥، الصفحة ٢٤.

(١٥١) عيون أخبار الرضا، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٣٧.

(١٥٢) الحقيقة المحمدية ليست شخصًا بعينه وإنما هي مقام عالٍ مصداقه الأتم هو الرسول الكرم محمد بن عبد الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ولذا سميت تلك الحقيقة باسمه الشريف. للمزيد انظر: عبد الله جوادي الأملي، شرح تمهيد القواعد، الصفحة ٤٢٦.



فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ قال الله: يا آدم، هذه أشباح أفضل خلائقي وبريأتي هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالتي شققت له اسماً من اسمي. وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي. وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عما يعيرهم ويشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي. وهذا الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي. هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم أخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إلي. يا آدم دهتك داعية فاجعلهم إلي شفعاءك فإني آليت على نفسي قسماً حقاً ألا أخيب بهم أملاً ولا أرد بهم سائلاً فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتیب عليه وغفرت له»<sup>(١٥٣)</sup>.

وهو المشار إليه بقوله، صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي من نور واحد»<sup>(١٥٤)</sup>. وإليه أشار بقوله، صلى الله عليه وآله: «خلق الله روجي وروح علي بن أبي طالب، عليه السلام، قبل أن يخلق الخلق بألفي عام»<sup>(١٥٥)</sup>، وأن الله تعالى «بعث علياً مع كل نبي سراً ومعني جهراً»<sup>(١٥٦)</sup>. وقول الإمام علي، عليه السلام: «كنت ولياً وآدم بين الماء والطين»<sup>(١٥٧)</sup>.

وفي **منهاج الكرامة** في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف/١٧٢)، من كتاب **الفردوس** لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة اليماني قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: «لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ قال تبارك وتعالى: أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم»<sup>(١٥٨)</sup>.

وفي **ينابيع المودة**، روى مير سيد علي الهمداني بإسناده عن أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: قبل أن يخلق الله آدم وينفخ الروح فيه، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، قالت الأرواح: بلى، قال الله تعالى: أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم»<sup>(١٥٩)</sup>.

وفي تأويل الآيات، في سورة الواقعة، عن الإمام علي، عليه السلام: «ألا إني أخو رسول الله، وصديقه الأول، وآدم بين الروح والجسد. وقال، صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب»<sup>(١٦٠)</sup>.

(١٥٣) الشيخ المفيد، **المسائل العكبرية** (بيروت: دار المفيد للطباعة، الطبعة ٢، ١٩٩٣م)، الصفحة ٢٨.

(١٥٤) **تفسير القمي**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٨.

(١٥٥) **عوالي اللئالي**، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢٥.

(١٥٦) **شرح الأسماء الحسنى**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٢٨.

(١٥٧) **عوالي اللئالي**، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٥٨) **ينابيع المودة**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٨٤. قال: «رواه صاحب الفردوس».

(١٥٩) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٢٤٨.

(١٦٠) الحاكم النيسابوري، **المستدرک**، تحقيق يوسف المرعشلي، الجزء ٣، الصفحة ١٢٤.

وإلى مثل هذا الإنسان ومرتبته أشار مولانا جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام، في قوله: «إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صورة العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار»<sup>(١٦١)</sup>.

## النبوة والولاية المقيدتان

يتعرض النص أعلاه إلى ثلاثة مطالب: تعريف النبوة المقيدة وأقسامها، بيان الولاية المقيدة وأقسامها، وتقوم النبوة والولاية المقيدتين بالنبوة والولاية المطلقتين.

## تعريف النبوة المقيدة وأقسامها

والنبوة المقيدة هي الإخبار عن الحقائق الإلهية، أي معرفة ذات الحق وصفاته وأحكامه. فإن ضم معه تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق وتعليم الحكمة والقيام بالسياسة، فهي النبوة التشريعية، وتخص بالرسالة. وقس عليها بالولاية المقيدة. فكل من النبوة والولاية من حيث كونها صفة إلهية مطلقة، ومن حيث استناده إلى الأنبياء والأولياء مقيدة، والمقيد مقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيد، فنبوة الأنبياء كلهم جزئيات النبوة المطلقة وولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة.

تتجلى الوسطة النازمة للعلاقة ما بين الحق والخلق - في لغة العرفاء - بوصفها «أنبياء». فالنبوة إنباء وإخبار؛ وقد قسموا النبوة إلى مطلقة ومقيدة، وعرفوا النبوة المقيدة بأنها إخبار عن الحقائق الإلهية، والإخبار عن الحقائق هو معرفتها؛ أي معرفة ذات الحق وصفاته وأحكامه.

وقد اتخذ الإنبياء أشكالاً مختلفة بحسب الظاهر؛ من كتاب منزل، إلى حديث قدسي أو نبوي، ومن قول لفظي إلى سيرة وسلوك وإقرار، كما اتخذ شكل التحديث والإلهام والرؤيا، ومن هنا، ميّز العرفاء بين الوحي وبين تحديث الملك والإلهام. فالوحي يكون للأنبياء إن كان وحي عمل، وللرسل إن أضيف إليه وحي التبليغ بالتشريع. وأما تحديث الملك، فهو للأولياء إن كان تحديث عمل، وللأئمة إن أضيف إليه التحديث بالتبليغ والبيان. وقد يكون بالإلهام الخاص<sup>(١٦٢)</sup>.

والإخبار يعمّ الجميع، وهو إخبار عن الله تعالى في أسمائه وصفاته وأحكامه، أي معرفة الحقائق الإلهية. والإخبار قد يتحقق بلسان الحال والحقيقة وهو النبوة التعريفية، كما قد يتحقق بلسان المقال

(١٦١) شرح الأسماء الحسنى، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٢.

(١٦٢) الرسول: يعاين الملك فيراه، ويحدّثه ويسمع كلامه. والنبوي يرى في منامه، ويسمع الكلام، وينزل عليه الملك ويحدّثه ويكلّمه، ولا يعاينه. وربّما يرى الشخص ولم يسمع الكلام، والإمام (المحدّث): يحدّث فيسمع الكلام، ولا يعاين، ولا يرى في منامه، وينقر في أذنه، وينكث في قلبه. للمزيد انظر: **بصائر الدرجات**، مصدر سابق، الجزء ٨، باب في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة (عليهم السلام) ومعرفتهم وصفاتهم، الصفحة ٣٦٨.

والشريعة وهو النبوة التشريعية. فيرجع معناه إلى الإظهار والتعليم النبوي الذي تقدم الحديث عنه في بحث النبوة المطلقة من هنا، قسموا النبوة المقيدة إلى قسمين:

١. نبوة الإخبار عن الحقائق الإلهية، أي بيان معرفة ذات الحق وصفاته وأحكامه، والتي يصطلحون عليها بالنبوة التعريفية. وتشمل الأنبياء والأوصياء.
٢. نبوة تبليغ الأحكام، والتأديب بالأخلاق، وتعليم الحكمة، والقيام بالسياسة، مضافاً إلى الأخبار عن الحقائق الإلهية، ويصطلحون عليها بالنبوة التشريعية. وهذه النبوة هي التي تختص بالرسالة.

وبتفصيل أكثر، ميّز العرفاء بين أشكال متعددة من الإنبياء. فهو تارة يتعدى إلى الغير، وتارة لا يتعدى. فإذا تعدى إلى الغير كان تبليغاً، وإذا لم يتعدى كان تعريفاً وعملاً. والتبليغ تارة يكون بالتبعية لتشريع نبي سابق، وهو النبوة الاتباعية، وتارة يكون تأسيساً وهو النبوة التشريعية. فإذا خصه الله تعالى بنسخ الشريعة السابقة، أو صاحب التشريع كتاب وسيف، فهو عندهم من أولياء العزم. وعليه، لم تكن الوساطة محددة الشكل بل كانت تتخذ أشكالاً مختلفة من نبوة ورسالة بالاعتبارات الآتية. فالنبوة تظهر بأشكال مختلفة بلحاظ القيود والخصوصيات، ومن تلك القيود أن جهة التبليغ كانت محدودة من جهة الزمان والأقوام، وتلك المحدودية تضيق وتتسع من نبوة إلى أخرى. وهذا الاختلاف ناشئ من مقاصد النبوة ومقتضيات الظرف الزماني والمكاني. فكانت الشرائع تختلف بساطة وتعقيداً بحسب اختلاف الظروف الاجتماعية التي يعاصرها الأنبياء وتعقيداتها الواقعية. ومع أن النبوات اتفقت على معتقد التوحيد، وكذلك على الخطوط الكلية والعامة في الشرائع، وعنصر الاتفاق هذا هو الذي يشكل جوهر الأديان كافة، وإليه يعزى «الدين القيم». إلا أن الملاحظ في تتبع سير النبوات التصاعدي، هو أنها كانت تتجه في تشريعاتها نحو الاستيعاب الزماني والمكاني، وكان الخطاب فيها يتسع ليشمل كافة الناس والظروف والوضعيات المختلفة، وقد بلغ هذا المسار ذروته في النبوة الأخيرة، والتي يعبر عنها بالنبوة الخاتمة.

### بيان الولاية المقيدة وأقسامها

تقدم أن الولاية المطلقة هي حصول مجموع الكمالات أزلاً وأبداً. إلا أن الظهور بتلك الكمالات هو إخبار وإنباء عنها، فتقاس الولاية المقيدة على النبوة المقيدة - بلحاظ الإخبار عن الحقائق الإلهية-؛ إذ الولاية باطن النبوة، تدور معها.

ثم إن الولي قد يكون محدثاً بواسطة الملك أو ملهماً، وقد لا يكون كذلك. والأول هو الإمام. وهو تارة يكون نبياً فهو إمام وحي، كالنبي محمد، صلى الله عليه وآله، وإبراهيم، عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة/١٢٤). وتارة يكون هادياً فهو إمام تحديث وإلهام، كالائمة الأوصياء، عليهم السلام.

## تقوم المقيد بالطلق

تقدم أنّ النبوة إما مطلقة، وهي صفة إلهية لم يلحظ فيها النبي، بل هو فان عن نفسه باق بربه، فليس له، صلى الله عليه وآله، شأن غير الشأن الإلهي. وإما مقيدة، وهي التي تلحظ باعتبار قيامها بالنبي الأعظم، صلى الله عليه وآله، أي من حيث إنه، صلى الله عليه وآله، صاحبها وقائم بها. فبلحاظ إضافتها إليه، صلى الله عليه وآله، وإعمالها في الخلق تخرج هذه النبوة عن الإطلاق وتقتيد.

فالنبوة والولاية باعتبار أنهما من الصفات الإلهية التي ليس لها حد محدود، ولا نعت موجود، تكون مطلقة. وباعتبار ظهورهما في النبي والولي وقيامهما بهما، تكون مقيدة؛ إذ الظهور في الخلق مقيد، وأثر للمطلق، ومتقوم به. فكما أن نبوة الأنبياء من حيث إنهم مظاهر لها هي جزئيات النبوة المطلقة، كذلك ولاية الأولياء جزئيات الولاية المطلقة.

فالأنبياء والأئمة، عليهم السلام، لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهية، حيث إن ولايتهم مظاهر الولاية الإلهية، وجزئيات للولاية الإلهية، فلها من آثار السلطنة والتولية ما للولاية الإلهية منها، قال، عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله تعالى»<sup>(١٦٣)</sup>.

من هنا، قالوا: المطلق - وهو الصفة الإلهية - ظاهر في المقيد. والمقيد متقوم بالمطلق، أي إنها لما كانت صفة إلهية، فهي الأصل، وتكون مطلقة.

توضيح ذلك أن العرفاء قسموا مراتب الشرع الذي هو الدين القيم إلى ثلاثة أقسام، وهي الشريعة والطريقة والحقيقة. وكان نظرهم متمحوراً حول جانب الحقيقة، لهذا عدوا الشريعة ظاهراً للطريقة، والطريقة ظاهراً للحقيقة، والحقيقة هي الباطن. ويعبرون عنها بالولاية. وإذا كان لأهل الكلام والفقه والتاريخ أن يتتبعوا مظاهر النبوات بوصفها عقيدة وشريعة وسيرة، فإن للعرفاء أن يتعقبوا جوهر النبوة بوصفها حقيقة كلية.

والى الحقيقة النبوية الكلية، ترجع جميع الحقائق الكلية الثابتة في جميع الأديان والنبوات، وتقدير تنزلاتها المختلفة في سياق التاريخ وبحسب اقتضاء المصالح وتفاوتها، فهي النبوة بنحو الإطلاق، والتي تكمن - بنظر العرفاء - وراء جميع النبوات الظاهرة.

وهذه النبوات ترتبط بالنبوة المطلقة ارتباطاً المقيد بالمطلق، فكما أن مرجع المقيد إلى المطلق؛ كذلك مرجع جميع النبوات إلى هذه النبوة المطلقة، وما النبوات الممتدة في سياق التاريخ إلا ظهورات متنوعة لتلك الحقيقة الواحدة.

من هنا، ذهبوا إلى أنه قبل النبوات المقيدة توجد نبوة حقيقية مطلقة، وأن هذه النبوة المطلقة إنما تظهر في النبوات المقيدة، فكما أنه لا يوجد للماء سوى حقيقة واحدة، هي الحقيقة المائية ذاتها. وإنما تظهر الحقيقة المائية في البحر والنهر والجدول والساقية، فيتميز البحر بسعته وملوحته، والنهر بجريانه، والجدول بمحدوديته في المكان. وكل هذه التمايزات لا تنتمي إلى الحقيقة المائية

(١٦٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق، الصفحة ٩٥.

ذاتها، وإنما هي قيود دخيلة طارئة، فإذا تجرّد الماء عن العوارض والقيود الدخيلة، فليس هناك سوى ذات الماء وحقيقته المطلقة، كذلك النبوة واحدة، مطلقة. وتجلياتها في التاريخ هي ظهورات تلك النبوة.

ويرى العرفاء أن التواصل مع الحقيقة النبوية المطلقة، إنما يتم بواسطة النبوات التي تجلت عبر التاريخ والتي هي قيود ومظاهر النبوة المطلقة. وليس المراد بالنبوات - في اصطلاحهم - هو نبوات التشريع خاصة، أو نبوات الوحي فحسب، بل تشمل النبوة كل إخبار عن الحقائق الإلهية ومعرفة ذات الحق وأسمائه وصفاته وأحكامه. وهو ما يعبر عنه بالسفر في عوالم الإنسان، وحقائق الوجود، وملكوت السماوات والأرض، فإن الحق يتجلى فيها بوصفها مظاهره التي هي عين الفقر والتعلق به تعالى.

ومع ذلك، يؤكد العرفاء على أن الاتجاه التصاعدي الذي اتبعته النبوات عبر التاريخ، ما هو في الواقع سوى سير واقترب من المقيد إلى المطلق، ومن الظاهر إلى الباطن، ومن الشريعة إلى الحقيقة، ومن البدء إلى الختم. وحين نصل إلى نقطة الختم تزول الحدود الفاصلة بين البدايات والنهايات، ويحصل الإنشاء المطلق؛ وما ذلك إلا لأن النهايات عين البدايات، وأن الحقيقة المطلقة لا ينبئ عنها إلا لسان النبوة المطلقة.

فقد نظر العرفاء إلى بعض النبوات على أنها مظهر لاسم محيط دون غيره، فنظروا إلى نبوة موسى، عليه السلام، على أنها مظهر الجلال وشريعة الجسد، ونظروا إلى نبوة عيسى، عليه السلام، على أنها مظهر الجمال وشريعة الروح، وهذا النحو من الإنشاء الذي لهما هو جوهر نبوتهما. وهو إنشاء عن الحقيقة المطلقة من جانب دون آخر. بينما كان نظر العرفاء إلى نبوة محمد، صلى الله عليه وآله، على أنها المظهر الجامع للجمال والجلال، فختم بنبوته جميع مراتب الظهور، وأوتي جوامع الكلم، وكانت أمته أمةً وسطاً.

ومع أن نبوة محمد، صلى الله عليه وآله، هي نبوة مقيدة بحسب الزمان والمكان وظرف الاجتماع، إلا أنها كانت موازية للنبوة المطلقة بحسب الختم في امتداد سائر النبوات. وهو ختم الكمال فضلاً عن ختم الزمان، فشكّلت نبوته اللبنة الأخيرة في جدار النبوة.

وعليه، فالتعريف بالحقيقة، والإنشاء عنها، هو في أساس النبوات، وحيث إن الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فلا يمكن التعريف بالحقيقة المطلقة والإنشاء عنها بنحو الإطلاق إلا من خلال النبوة المطلقة «كنت نبياً وأدم بين الماء والطين»<sup>(١٦٤)</sup>. أو ما في حكمها «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة [...]»<sup>(١٦٥)</sup>.

(١٦٤) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٦٥) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٥٨.

## العلاقة بين الرسول والنبّي والوليّ

إن المبعوث إلى الخلق لما كان تارة من غير تشريع وكتاب من الله تعالى، وتارة بتشريع وكتاب منه سبحانه وتعالى، انقسم النبي إلى المرسل وغيره، فالمرسلون أعلى مرتبة من غيرهم لجمعهم بين المرتبتين: الولاية والنبوة، وإن كانت مرتبة ولايتهم أعلى من جهة نبوتهم، ونبوتهم أعلى من رسالتهم، لأن الولاية جهة حقيقتهم وفنائهم فيه تعالى، ونبوتهم جهة ملكيتهم، إذ بها تحصل لهم المناسبة للعالم الإنساني، فمقام النبوة برزخ بين الولاية والرسالة يعني أنها فوق الولاية.

يتعرض النص أعلاه إلى مطلبين: أفضلية الرسول من النبي والولي باعتبار جهة الولاية، وأفضلية الولاية في نفسها، ووجه الأفضلية فيها.

### أكمليّة الرسول باعتبار جهة الولاية

الرسالة هي نبوة التشريع، والنبي صاحب الشريعة كموسى وعيسى ومحمد، صلى الله عليه وآله، والرسول يوحى إليه بالعمل والتبليغ، فيسمع ويعاين.

والنبوة هي نبوة الاتباع، كأنبياء بني إسرائيل التابعين لشريعة موسى، عليه السلام، والنبي هو الذي يوحى إليه بالعمل دون التبليغ، وربما يرى أو يسمع.

والولاية هي الاطلاع في مقام الفناء في الله تعالى على الحقائق والمعارف والإنبياء عنها، والولي قد يحدثه الملك بالعمل والتبليغ أو يلهم بذلك إلهاماً خاصاً، فيكون إماماً، وقد يلهم بالعمل دون التبليغ، وهو الولي، وهو يسمع ولا يرى.

فالنبي قد يكون من غير تشريع وكتاب من الله تعالى، وقد يكون بتشريع وكتاب منه سبحانه، والثاني هو الرسول. وحيث إنه جمع بين المراتب الثلاث: الولاية والنبوة والرسالة، فهو أعلى مرتبة من غيره، لأنه جمع رسالة الرسول التي هي جهة بشريته المناسبة للعالم الإنساني. ونبوة النبي التي هي جهة ملكيته؛ إذ بها تحصل له المناسبة بعالم الملائكة فيأخذ الوحي منهم. وولاية الولي التي هي جهة حقيته وفنائته فيه تعالى.

وعليه، فإن كل رسول يكون نبياً، ولا يكون كل نبي رسولاً، كما أن كل نبي يكون ولياً، ولا يكون كل ولي نبياً. وأيضاً، لا يكون نبياً إلا وتكون ولايته متقدمة على نبوته، كما لا يكون رسولاً إلا ونبوته تكون متقدمة على رسالته.

### أكمليّة الولاية باعتبار نفسها

إن التفاضل السابق هو تفاضل بحسب المراتب، أي يلحظ فيه الأكمليّة بحسب الجمع بين المراتب، وهذا لا يتنافى مع القول إن الولاية من حيث هي ولاية، أعلى رتبة من النبوة من حيث هي نبوة، وكذلك النبوة بما هي نبوة أعلى من الرسالة بما هي رسالة. فإن الرسول وإن كان أعلى من النبي غير

المرسل، إلا أن مقام الولاية الكائنة فيه - كل بحسب درجته - أعلى من مرتبة نبوته، ونبوته أعلى من مرتبة رسالته، فالترتيب إنما يكون بالجهات المتحققة في ضمن الفرد الواحد، أي أن جهة الولاية في الشخص الواحد أفضل من جهة النبوة فيه.

فالمعيار التفاضلي لدى العرفاء هو بجهة الولاية، لا بشيء آخر. قال ابن عربي: «فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة، وإنما نظر الرجال إلى التقدم في مرتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم وأما حوادث الأكون فلا تعلق لخواطرهم بها»<sup>(١٦٦)</sup>.

## وجه الأفضلية في جهة الولاية

وهو في جوانب:

**أ - الأكمالية بحسب الباطن:** إن النبي والرسول لهما التصرف في الخلق بحسب الظاهر والشريعة، وللولي التصرف فيه بحسب الباطن والحقيقة، فتكون الولاية أعظم من النبوة وإن لم يكن الولي أعظم من النبي، لأن الولاية هي التصرف في الباطن، والنبوة هي التصرف في الظاهر<sup>(١٦٧)</sup>.

**ب - الأكمالية بحسب الجهة الحقانية:** إن مرتبة ولاية الرسول أعلى من مرتبة نبوته ورسالته؛ لأن ولايته جهة حقيقته وفنائته فيه تعالى، ونبوته جهة ملكيته؛ إذ بها تحصل له المناسبة بعالم الملائكة فيأخذ الوحي منهم، ورسالته جهة بشريته المناسب للعالم الإنساني، ومن هذا الوجه قالوا بأفضلية الولي - بوصفه اسماً من أسماء الله تعالى - على الرسول والنبي.

**ج - الأكمالية بحسب القرب:** فإن قرب الأشياء إلى الحق بالولاية، بل لا يمكن قرب الأشياء إلى الحق إلا بالولاية.

**د - الأكمالية بحسب الدوام والبقاء:** إن الولاية غير منقطعة والنبوة منقطعة، فكان مقام النبي، صلى الله عليه وآله من حيث إنه عالم بالله وأسمائه وصفاته وولي بأنه أفني عبوديته في ربوبيته، أتم وأكمل من مقام نبوته ورسالته، لأن الولاية جهة حقانية فهي أبدية، والنبوة جهة خلقية فهي منقطعة غير أبدية.

**هـ - الأكمالية بحسب الاستغناء:** فإن الولاية لا تتوقف على النبوة والرسالة، بينما هما يتوقفان على الولاية. وكل غني عن شيء يكون أعظم من الآخر المحتاج إلى ذلك الشيء.

**و - الأكمالية بحسب التابعية والمتبوعية:** إن ولاية الرسول أعلى من رسالته، وكذلك ولاية النبي أعلى من نبوته، وحيث إن الولي متبوع؛ فهو من حيث كونه ولياً أفضل منه من حيث هو نبي. وهذه الوجوه يرجع بعضها إلى بعض. فيتضح أن طرف الولاية في الشخص المعين يكون أعظم من طرف نبوته، وطرف نبوته أعظم من طرف رسالته.

(١٦٦) ابن عربي، فصوص الحكم، الصفحة ٦٢.

(١٦٧) حيدر الأملي، المقدمات من كتاب نص النصوص، الصفحتان ١٦٨ و ١٦٩.

أما بالنسبة إلى طرف آخر، فهنا توجد صورتان:

الأولى: المفاضلة بين الولي والنبى والرسول باعتبار تعدد جهاتهم والجمع بينها. وتقدم أن الرسول أفضل من غيره؛ لأن له مرتبتان بعد الولاية هما الرسالة والنبوة، ويعقبه في الفضل النبى، فلا تحصل المساواة بينهم أصلاً.

الثانية: المفاضلة بين الولي والنبى والرسول ولكن في جهة ولايتهم فقط.

وهذا على قسمين:

١. تارة يكون الولي تابعاً للنبى أو للرسول، فلا يكون الولي التابع أفضل من النبى المتبوع؛ ولهذا كان الأولياء والأوصياء محتاجين إلى الأنبياء والرسول في القوانين الشرعية والأحكام الإلهية، قال علي، عليه السلام: «تعلمت من رسول الله ألف باب من العلم، ففتح لي بكل باب ألف باب»<sup>(١٦٨)</sup>. وقال، عليه السلام: «أنا عبد من عبيد محمد، صلى الله عليه وآله»<sup>(١٦٩)</sup>. فالولي وإن علت مرتبته، فهو وارث للنبى، وتابع لشريعته وأحكامه، والتابع لا يكون فوق المتبوع من حيث هو تابع<sup>(١٧٠)</sup>.

٢. وتارة لا يكون تابعاً له، وهنا يمكن أن يكون الولي أفضل من نبى غير تابع له، لا سيما إذا كانت التبعية في الولاية للنبى الخاتم، صلى الله عليه وآله؛ فإن لها من الفضل ما يفوق سائر التابعين والمتبوعين، وقد اتفق الشيعة على أن ولاية أمير المؤمنين وأولاده المعصومين أعظم من ولاية جميع الأنبياء والأولياء بعد نبينا، صلى الله عليه وآله. وهذه الأفضلية هي من جهة الولاية لا غير، وإلا فمرتبة النبوة والرسالة أعظم من أن يكون فوقهما مرتبة. ولهذا، جاء التصريح في الروايات أن أحداً من الأنبياء أو الأوصياء أو الأولياء لم يتقدم على علي، عليه السلام، إلا بفضل النبوة. فليس لعلي، عليه السلام، فضل النبوة، إلا أنه بنور الولاية يسمع ما يسمعه الرسول ويرى ما يراه، وهذه من مختصاته.

قال النبى، صلى الله عليه وآله: «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبى»<sup>(١٧١)</sup>.

وقال، عليه السلام: «أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة»<sup>(١٧٢)</sup>.

وقال الإمام الحسن، عليه السلام، في والده: «والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون»<sup>(١٧٣)</sup>.

وعن الإمام الصادق، عليه السلام: «أدنى معرفة الإمام أنه عدل النبى إلا درجة النبوة، ووارثه،

(١٦٨) رسائل المرتضى، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٣١٧.

(١٦٩) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٩٠.

(١٧٠) حيدر الأملي، جامع الأسرار، الصفحات ٣٨٦ - ٣٨٩.

(١٧١) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١٥٨.

(١٧٢) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ١٥٧.

(١٧٣) المعجم الكبير، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٨١.



وأن طاعته طاعة الله وطاعة رسوله»<sup>(١٧٤)</sup>.

وورد أن الأئمة، عليه السلام: «أعلم من الأنبياء، عليهم السلام»<sup>(١٧٥)</sup>.

وينقل عن رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قوله: «علماء أمي كأنبياء بني إسرائيل»<sup>(١٧٦)</sup>.

وورد في **الكافي والبحار والعوالم** وغيرها أنه قد لا يكون للولي فضل النبوة لكنه قد يكون حسب

ولايته أعلم وأفضل من نبي.

ويتناقل العرفاء حديث الغبطة المروي عن الرسول، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إن لله عز وجل عباداً

ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله»<sup>(١٧٧)</sup>. ويفسره

ابن عربي بأن أنبياء التشريع يغبطون الأولياء الذين هم أنبياء المقام؛ على درجتهم في القرب<sup>(١٧٨)</sup>.

كما يتناقلون قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِثْلَ مَا لَدُنَّا عُلَمَاءُ

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ

مَا لَمْ يُحِط بِهِ خَبْرًا﴾ (الكهف/٦٥-٦٨). فإن أفضلية العبد الصالح في الآية على النبي موسى،

عليه السلام، هي أفضلية ولاية، وإن كان موسى، عليه السلام، مقدماً عليه في التشريع، بل هو

من أنبياء أولي العزم.

وجاء في الروايات أن النبي عيسى بن مريم، عليه السلام، يصلي خلف الحجة، عليه السلام،

ويجاهد بين يديه. مع أن النبي عيسى، عليه السلام، هو من أنبياء أولي العزم. ذلك أن عيسى،

عليه السلام، عليه السلام وإن كان متقدماً على المهدي، عليه السلام، في النبوة، إلا أن صلاة

عيسى، عليه السلام، خلف المهدي، عليه السلام، كاشفة عن أفضلية المهدي، عليه السلام، عليه،

وهذه الأفضلية هي من جهة تابعيته ووارثيته للنبي الخاتم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْوَلَايَةِ. ولا

منافاة أن يكون للمهدي، عليه السلام، علو المكانة والمرتبة في الاتصاف والتحقق بالأسماء الإلهية

إلى حد بحيث يكون حسب الولاية التكوينية أفضل من عيسى، ومن أن يكون من هذه الجهة قدوة

ومتبوعاً حتى من أولي العزم وأصحاب الشريعة.

وبذلك يتضح أن أفضلية الأئمة على الأنبياء يرجع إلى الولاية التي هي المناط في التفاضل

والقرب الإلهي، فإن للنبوة والولاية مراتب في الولاية، وأعلاها مرتبة النبي المعظم، صَلَّى اللهُ

عليه وآله، والأئمة، عليهم السلام.

(١٧٤) السيد هاشم البحراني، **تفسير البرهان**، (طبعة حجرية، لا تاريخ)، الجزء ١، الصفحة ٣٦٧.

(١٧٥) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٢٦، الصفحة ١٩٤.

(١٧٦) العلامة الحلي، **تحرير الأحكام** (قم: مؤسسه الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ)، الجزء ١، الصفحة ٣٨.

(١٧٧) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، الجزء ٦٦، الصفحة ٢٥٢. جاء فيه نقلًا عن جامع الأخبار: عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله)

قال: إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قالوا: يا رسول الله حل لنا. قال: هم المتحابون في الله، والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله.

(١٧٨) **الفتوحات المكية**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٠٨.

## خاتم الأولياء

إن الولاية لما كانت صفة إلهية، فهي غير منقطعة أزلاً وأبداً، ولا يمكن الوصول لأحد من الأنبياء وغيرهم إلى الحضرة الإلهية إلا بالولاية، التي هي باطن النبوة. وهذه المرتبة من حيث جامعية الاسم الأعظم للأنبياء، ومن حيث ظهورها في الشهادة لخاتم الأولياء، فصاحبها واسطة بين الحق وجميع الأنبياء والأولياء. ومن أمعن النظر في جواز كون الملك واسطة بين الحق والأنبياء، لا يصعب عليه قبول كون خاتم الولاية، الذي مظهره الاسم الجامع أعلى مرتبة من الملائكة، واسطة بينهم وبين الحق. ثم المراد بخاتم الأولياء ليس من لا يكون بعده ولي في الزمان، بل المراد به من يكون أعلى مراتب الولاية أقصى درجات القرب مقاما له، بحيث لا يكون من هو أقرب منه إلى الله تعالى، ولا يكون فوق مرتبته في الولاية والقرب مرتبة.

يقع الحديث في هذا المقام عن الإنسان الكامل تحت عنوان «خاتم الأولياء»، ويراد به ذلك الإنسان الحائز على الغاية في مراتب القرب، وأقصى درجات الكمال. وتنشأ ضرورة وجود الإنسان الكامل من كونه خليفة الله تعالى في الظهور بالأسماء والكمالات، وكونه واسطة الفيض والعطاء. ويستدعي ذلك تعريف الولاية الإلهية، وتعريف الواسطة، وتعريف الختم. ويتعرض البحث لبيان أمور خمسة، وهي: أن الولاية الإلهية لا تنقطع، وأن الوصول إلى الحضرة الإلهية يكون بالولاية، وأن هذه المرتبة هي لخاتم الأولياء، وأن صاحبها واسطة بين الحق والأنبياء، مع بيان المراد من خاتم الأولياء.

## الولاية الإلهية لا تنقطع

الولاية على الحقيقة هي ولاية النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وتابعيه من الأئمة، عليهم السلام، والتي تختلف عن ولاية غيرهم، ذلك أن النبي هو المظهر الأتم للولاية، وهو صاحب الولاية الكلية، فهو فنان في الله باق به منذ الأزل إلى الأبد، فلا حجاب بينه وبين الحق كذلك. ولا يجوز انقطاع هذه الولاية أو خلو زمان من الولي الكامل لأسباب، عدوا منها:

## ١ . وجوب بقاء مظهر للاسم الإلهي

إن الولي من أسماء الله تعالى التي لا تنقطع أزلاً وأبداً، ولا بد لهذا الاسم من مظهر تام على الدوام، وحيث إن الولاية لا تنقطع أبداً، فيلزم بقاء الولي في العالم.

يقول الحكيم الأشثياني: «الولاية من الصفات الكلية الإلهية، وهي كلمة الله العليا التي لا تنفذ وإن نفذت كلمة التشريع، ونوره الذي لا ينطمس ولا يأفل، وإن غربت شمس السفارة والرسالة». إذاً، الولي من الأسماء الحسنی التي لا بد لها من مظهر ما دامت الدنيا، لأنه لو انقطع ظهوره ونفذت كلمته، وانطمس ضياؤه وقل نوره لخربت الدنيا، وهلك أهلها، وسكانها، ولم يبق على وجه الأرض أحد من عمارها. وورد في المأثور روايات كثيرة نظير هذه الرواية: «لولا الحجة لساخت الأرض

بأهلها» (١٧٩)(١٨٠).

## ٢ . لزوم الاستخلاف ودوامه

إن إحراز منصب الخلافة الإلهية لا يكون إلا بعد إحراز منصب الولاية. فالإنسان الكامل هو خليفة الله لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠). حيث إن الوصف دائمى لحقيقة الحقائق «جاعل»، إذا، يجب أن يكون المَجْعول دائماً كذلك؛ لأنه تعالى يقول: «جاعل»، وهي غير «جعلت» و«أجعل» ونحوهما. و«جاعل» ليس مقيداً بشخص ما أو زمان خاص حتى تكون عبارات مثل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة/١٢٤) ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص/٢٦) محدودة. والخليفة يجب أن يكون على صفات المستخلف عنه وفي حكمه، وبخلافه فإنه ليس بخليفة، لذا قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/٣١) حيث استخدم الجمع المحلى بالألف واللام المؤكدة بـ «كل» وقدّم كل ذلك على «الخليفة» لأهميته. قال الإمام الصادق، عليه السلام: «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»<sup>(١٨١)</sup>. إذا، الآية في دلالتها على لزوم وجود الخليفة إلى يوم القيامة من الأمهات والمحكمات.

## ٣ . وجوب وجود الخليفة لحفظ العالم

إن العبد إذا صار ولياً لله صار خليفته، وإذا صار العبد خليفة الله، يحفظ الله تعالى خلقه به؛ ذلك أن «قيام العالم بوجوده، فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التي يختم بها الملك على خزائنه، وسماه خليفة من أجل هذا، لأنه تعالى الحافظ به خلقه، كما يحفظ الختم الخزائن، فما دام ختم الملك عليها لا يجسر أحد على فتحها إلا بإذنه، فاستخلفه في حفظ الملك، فلا يزال العالم محفوظاً مادام فيه هذا الإنسان الكامل»<sup>(١٨٢)</sup>.

## ٤ . وجوب بقاء الولي هداية السالكين إلى الله تعالى

بعد انقطاع النبوة لا بد أن تظهر الولاية. ولهذا قالوا: «عند انقطاع نبوة التشريع بإتمام دائرتها، وظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً. ولا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام لينحفظ بهذا الترتيب والنظام. قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد/٧)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر/٢٤)، وكما قال في النبي، صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ (هود/١٢). ولما كانت هذه الخلافة واجبة من الله في العالم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى/٥١)، وجب ظهور الخليفة في كل زمان من الأزمنة؛ ليحصل لهم الاستئناس، ويتصف بالكمال اللائق به كل من الناس»<sup>(١٨٣)</sup>.

(١٧٩) شرح أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٣٠٢.

(١٨٠) الحكيم الأشعري، تعليقة رشيقة على شرح منظومة السبزواري، الصفحتان ٦٢ - ٦٣.

(١٨١) بصائر الدرجات، مصدر سابق، الصفحة ٥٠٧.

(١٨٢) فصوص الحكم، مصدر سابق، الصفحة ٥٠.

(١٨٣) مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحتان ١٠٤ - ١٠٥.

وبهذا أيضاً، تتضح قضية لزوم الاستخلاف ودوامه؛ «أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»<sup>(١٨٤)</sup>.

### الوصول إلى الحضرة الإلهية بالولاية

إن الله تعالى - بحكم اسمه الظاهر والباطن - جعل لوليه حقيقة باطنة وصورة ظاهرة؛ فيكون له وجه إلى القدم يستمد به من الحق سبحانه، ووجه إلى الحدوث يمد به الخلق؛ فالولاية هي جهة قبول الفيض من الله تعالى، والنبوة هي جهة إيصال الفيض إلى الخلق. وإنما جعل له حقيقة باطنة وصورة ظاهرة، وخلع عليه جميع أسمائه وصفاته؛ ليخلف عنه في التصرف في الملك والملكوت، وبذلك ألقى مقادير الأمور إليه، وأجاز تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته، وسخر الخلائق لحكمه وجبروته. وحيث إن الظاهر - أي مقام النبوة - لا يأخذ التأييد والقوة والقدرة والتصرف وجميع ما يفيض من الحق تعالى عليه إلا من الباطن - أي من مقام الولاية -، فلا يمكن للأنبيا الوصول إلى الحق تعالى والاستمداد منه إلا بجهة الولاية.

### ولاية خاتم الأولياء

إن الولاية التي تتسبب لخاتم الأولياء هي ولاية الختم، وذلك بلحاظ أمرين: الأول: من حيث كمال الجامعة للاسم الأعظم. ذلك أن الولاية المطلقة هي مرتبة جامعة لجميع أسمائه وصفاته تعالى، وهي - من حيث جامعيتها - الإسم الأعظم، فالإحاطة بجميع المقامات والمراتب، والتمييز بينها، لا يكون إلا لمن له الاسم الأعظم، وهو خاتم الأولياء. الثاني: إن ظهور الولي الخاتم بالاسم الجامع هو أعلى مراتب القرب والظهور، كذلك إظهار الأشياء برمّتها لا يكون إلا بالاسم الجامع للأسماء كلها؛ ذلك أن لولي المطلق - من حيث تمامية الظهور في الشهادة - مقام البيان والتعريف والشرح والتبيين بالنسبة إلى الذات والصفات والأفعال الإلهية، وهو مقام الظهور بتلك الحقائق بتمامها في عالم الشهادة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة/٣٣).

### الواسطة بين الحق والأنبياء

الواسطة مأخوذة من الوسط، وهو كما ضبطها أهل اللغة: «اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه»<sup>(١٨٥)</sup>. وبناء عليه، فالواسطة بين الحق والأنبياء تكون «من الله»، ولما كانت كذلك، فما كان منه فلا يحول

(١٨٤) نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٣٨.

(١٨٥) الزبيدي، تاج العروس (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م)، الجزء ١٠، الصفحة ٤٤٥. إن وسط الدار - بالفتح - منها، ولم تؤخذ الدار هنا كأجزاء، بل أخذت كوحدة مصمّمة [...] لهذا لا تكون بمعنى: بين، بخلاف: جلست وسط القوم - بالتسكين - فهي بمعنى: بين، وتكون حينئذٍ ظرفاً لا اسماً.

بينه وبينهم. نعم، قد يفهم من الوساطة حين تلحظ مع الخلق، أنها عبارة عن اتخاذ الأسباب للوصول إلى الغايات؛ يشعر بذلك فقر الممكنات واحتياجهم. وأما حين تلحظ مع الغني المطلق تعالى فتكون منه؛ مضافة إليه. وتكون حينئذٍ بمعنى ما قدره الله تعالى من جريان الأمور وفق نظام وترتيب خاص، كجعل الملك واسطة في الإيحاء إلى الأنبياء، وجعل النبي، صلى الله عليه وآله، والأئمة، عليهم السلام، واسطة الهداية، وحجج الله، وبابه الذي منه يؤتى.

والوساطة تارة تكون بين الحق وبين الأنبياء والأولياء، وتارة أخرى تكون بين الحق والخلق. فالوساطة بين الحق والأنبياء هو الإنسان في مرتبة الباطن، وعرفوه بأنه هو الإنسان الكبير، خليفة الله في الأرض والسماء، المعبر عنه بالحقيقة المحمدية، ومظاهرها العلوية. وأما الوساطة بين الحق والخلق فهو الإنسان في مرتبة الظاهر؛ وهو الإنسان بوجوده البشري المنتخب من تلك الحقيقة المحمدية.

وحيث إن الباطن هو مقام الحقيقة الإنسانية، والظاهر هو مصداق تلك الحقيقة الإنسانية، والظاهر إنما يتمكن بتوسط الباطن، قالوا: وسماه إنساناً لإمكان وقوع الأنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسية وواسطة الأنسية. وقالوا: ليحصل لهم الاستئناس ويتصف بالكمال اللائق به كل من الناس<sup>(١٨٦)</sup>. فإن مباشرة الولاية من الذات القديمة؛ بإظهار الخلائق، وتحقيق الحقائق، بغير واسطة بعيد جداً؛ لبعده المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث، لذلك حكى الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في التصرف والولاية والحفظ والرعاية ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثَلِّمٌ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف/١١٠).

ومن أمعن النظر في جواز كون الملك - كجبرئيل مثلاً - واسطة بين الحق والأنبياء، لا يصعب عليه قبول كون خاتم الأولياء - الذي هو مظهر باطن الاسم الجامع، وأعلى مرتبة من الملائكة - واسطة بينهم وبين الحق تعالى. من هنا، ذهب العرفاء إلى أن الله تعالى لا يتجلى للخلق دون واسطة مع قدرته على ذلك، بل جعل النظام العام قائماً على الوسائط؛ ومن هذا القبيل اتخاذ سبجانه الملائكة واسطة بينه وبين الرسل، واتخاذ الرسل واسطة إلى الخلق ﴿وَمَا كَانَ بَشَرًا أَن يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى/٥١)، ومن هذا القبيل جعل المؤمن واسطة في تفريج الكرب. فلا عجب أن يكون خاتم الأولياء واسطة بينه تعالى وبين أنبيائه وأوليائه.

## المراد بخاتم الأولياء

المقصود بالختم هو الانتهاء إلى الغاية القصوى بحسب الإمكان في الكمال والشرف والقرب. وخاتم النبوة - كما عرفه الحكيم الترمذي - هو حجة الله على خلقه، لأنه آخرهم مبعثاً. أما خاتم الأولياء، فهو حجة الله على الأولياء. قال: ولا ينقضي الدهر حتى يأتي الله بخاتم الأولياء، وهو

(١٨٦) مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحتان ١٠٤ و١٠٥.

القائم بالحجة. فيكون مقامه أقرب المقامات<sup>(١٨٧)</sup>.

وخاتم الولاية - عند ابن عربي - هو الذي يحفظ الله به خلقه كما يحفظ الختم الخزائن، ولهذا استخلفه في حفظ الملك وسماه خليفة، فلا يزال العالم محفوظًا ما دام فيه هذا الإنسان الكامل<sup>(١٨٨)</sup>. وليس الختم بالزمان وإنما هو باستيفاء مقام العيان<sup>(١٨٩)</sup>.

والخاتم - كما عرفه عبد الرزاق الكاشاني - هو الذي قطع المقامات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال. وخاتم النبوة هو الذي ختم الله به النبوة، وهو نبيّنا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وخاتم الولاية هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختل بموته نظام العالم، وهو المهدي الموعود في آخر الزمان<sup>(١٩٠)</sup>.

قال السبزواري: وقد ظهر وجه تسميته بالخاتم من كونه غاية للكل، سوى الوجه الظاهري الذي هو أنه انقطع باب النبوة عنده. وهنا وجه آخر للتسمية، وهو أن كل كمال وجمال وجلال فيما دونه خزانتها عنده، وهي ملكه، فكأنه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، جعلها في مخزنه وغلق بابه وضرب عليه خاتمه، فهو، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ختم الكمالات قاطبة. فثبت أنه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، خاتم كل كمال إنساني وجامع كل جمال وجلال<sup>(١٩١)</sup>.

### خاتم الأنبياء هو خاتم الأولياء

تقدم أن للنبوة والولاية ختم، وأن هذا الختم ليس هو بالزمان، وإنما هو باستيفاء مقام العيان<sup>(١٩٢)</sup>. فالختم ليس هو بانقطاع باب النبوة عند النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بحيث يكون آخرهم مبعثًا، وإنما هو باعتبار أنه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، خاتمهم بحسب مراتب الشرف والكمال. وتقدم أن النبوة إما مطلقة أو مقيدة. وأن باطن النبوة المطلقة هو الولاية المطلقة. فخاتم الأنبياء بالإطلاق هو خاتم الأولياء بالإطلاق؛ إذ إليه تستند جميع العلوم والأعمال، وإليه تنتهي جميع المقامات والمراتب.

ويستشهد العرفاء على أن خاتم الأنبياء والرسول هو محمد، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بنصوص، منها قوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أول ما خلق الله روجي»<sup>(١٩٣)</sup>. و«أول ما خلق الله نوري»<sup>(١٩٤)</sup>. «كنت نبيًّا

(١٨٧) الحكيم الترمذي، ختم الأولياء، وضع حواشيه الشيخ عبد الوارث محمد علي (بيروت: دار الكتب العلمية، لا تاريخ)، الصفحتان ٩٠ و٩١.

(١٨٨) فصوص الحكم، مصدر سابق، الصفحة ٥٠.

(١٨٩) ابن عربي، عنقا مغرب (عالم الفكر، لا تاريخ)، الصفحة ٧٣.

(١٩٠) معجم اصطلاحات الصوفية، مصدر سابق، الصفحة ١٧٨.

(١٩١) شرح الأسماء الحسنى، مصدر سابق، الصفحة ٥٤٧.

(١٩٢) عنقا مغرب، مصدر سابق، الصفحة ٧٣.

(١٩٣) ينيابيع المودة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(١٩٤) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

وآدم بين الماء والطين»<sup>(١٩٥)</sup>. والحديث المشهور: «لا نبي بعدي»<sup>(١٩٦)</sup>. فمحمد، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قبل أن يجيء إلى هذا العالم كان نبياً. وعندما يخرج من هذا العالم يكون نبياً. وخاتم الأنبياء باعتباره الصادر الأول يقوم بأمرين: يقبل الفيض من الله، ويوصله إلى الخلق. والجهة التي تستقبل الفيض من الله تعالى هي الولاية. وتلك الجهة التي تعطي للناس تدعى النبوة. فالولاية باطن النبوة، والنبوة ظاهرها. وهاتان هما صفتا محمد، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. من هنا، قالوا: إن فيض السلوك يصل إلى الأنبياء والأولياء من باطن النبوة. فالنبي المطلق كان ينبئ ويخبر العقول والنفوس والروحانيات كلها من الملائكة وغيرهم مما يجب عليه أن ينبئهم من الله من معرفة الله ومعرفة صفاته وأسمائه وأفعاله، ومعرفة الموجودات والمخلوقات على قدر قابليتهم واستعداداتهم، كما هو معلوم من قصة آدم، عليه السلام. بل وروح آدم كان يستفيض منه العلوم والمعارف وما منهم إلا وقد كان داعياً به قومه بالحق عن تبعيته، لقوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»<sup>(١٩٧)</sup>.

والفكرة المركزية التي تهض عليها مقولة العرفاء هذه، هي أن الوجود الروحاني سابق على الوجود الجسماني، وأن الله تعالى «خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام»<sup>(١٩٨)</sup>. وليس المراد بالأعوام هنا المدة والزمان؛ فإن الجسمانيات والعنصريات توجد بمادة ومدة، أما الروحانيات والمجردات فتوجد من غير مادة ولا مدة. وبطبيعة الحال، ليس تقدّم الروحانيات الإبداعيات على الجسمانيات والعنصريات بالزمان، بل الأسبقية بالذات.

وقد فسّر الشيخ المفيد (قده) نظرية أسبقية خلق الأرواح على الأجساد في النص بأنه خلق تقدير، لا خلق إحداث، نظراً لما يترتب على القول بالأسبقية من لوازم فاسدة كقيام الأرواح بأنفسها، وعدم حاجتها إلى ما تتعلّق به.

فيما ذهب العرفاء إلى أن قيام الأرواح بأنفسها، أو تعلّقها بالأجساد المثالية ثم تعلّقها بالأجساد العنصرية، مما لا دليل على امتناعه. واستدلوا على ذلك بظاهر النصوص، وأن المقصود منها: كان نبياً وولياً - بالفعل دون القوة - كالأنبياء والأولياء. وإلا فلو كانا نبياً وولياً بالقوة، لم يتجه قولهما هذا على سبيل الافتخار والشرف على غيرهما. كما لن تكون نبوات الأنبياء وولايات الأولياء متقوّمة بالنبوة الحقيقية والولاية الحقيقية اللتين لهما. وعليه، فإن هذا الأمر - بنظرهم - غير قابل للإنكار، لا سيّما بعدما نطق به القرآن والإخبار وحكم به العلماء والحكماء.

وعليه، فيكون المراد بخاتم الأنبياء هو الذي يكون رجوع جميع الأنبياء والرسل إليه، وهو محمد،

(١٩٥) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(١٩٦) الاقتصاد، مصدر سابق، الصفحة ٢٢٢.

(١٩٧) الخرائج والجرائح، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٨٧٦.

(١٩٨) للمزيد انظر: بصائر الدرجات، مصدر سابق، الصفحة ١٠٧. قال الشيخ المفيد (ره) أنه من أخبار الأحاد، وليس هو ممّا يقطع على الله بصحته.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ مَرَجِعَ جَمِيعِ أَرْوَاحِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَعَثَ - وَهُوَ رُوحٌ - إِلَى الْأَنْبِيَاءِ - وَهُمْ أَرْوَاحٌ - فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ وَإِنْ كَانَ وَجُودُهُ حِينئِذٍ بَعْدَ الْكُلِّ؛ لِقَوْلِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنَا أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وَآخِرُهُمْ بَعَثًا»<sup>(١٩٩)</sup>. وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَشَاهِدُونَ الْحَقَّ وَمَرَاتِبَهُ إِلَّا مِنْ مَقَامِهِ الْمَمْدُ لَهُمْ مِنَ الْبَاطِنِ؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَظَاهِرَ أَمَهَاتِ أَسْمَاءِ الْحَقِّ الدَّاخِلَةِ فِي الْأَسْمَاءِ الْأَعْظَمِ الْجَامِعِ. وَهُوَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقْرَبُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ الْمَظْهَرُ لِأَسْمِ اللهِ الْجَامِعِ لِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، بَلْ هُوَ عَيْنُ ذَلِكَ الْأَسْمِ الْجَامِعِ بِحُكْمِ الْمَظْهَرِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْمَظْهَرَ عَيْنَ الظَّاهِرِ<sup>(٢٠٠)</sup>.

وَحِينئِذٍ، فَكُلُّ مَوْجُودٍ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، يَكُونُ عِلْمُهُ وَحَيَاتُهُ وَكَمَالَاتُهُ بِإِفَاضَةِ الْجَوْهَرِ الْأَوَّلِ عَلَى الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ. وَكُلُّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ وَوَلِيِّ وَوَصِيِّ وَذِي نَفْسٍ، يَكُونُ عِلْمُهُ وَحَيَاتُهُ وَكَمَالَاتُهُ بِإِفَادَةِ النَّبِيِّ الْمَطْلُوقِ وَالْوَلِيِّ الْمَطْلُوقِ عَلَى الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

### خاتمة الأولياء بالوراثة والتابعية

الولي الخاتم إما نبي وإما ولي؛ وإذا انقضت النبوة ظهرت الولاية من الباطن. ونور الولاية لا ينفك عن نور النبوة، فهما متحدان مجتمعان أزلاً وأبداً، ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وآله: «خلق الله رُوحِي وَرُوحَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَنْفِي عَامً»<sup>(٢٠١)</sup>.

فَمَا كَانَ لَخَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ بِلِحَازِ خَتْمِ الْوَلَايَةِ، يَكُونُ لَخَاتِمِ الْأَوْلِيَاءِ كَذَلِكَ. فَخَاتِمُ الْأَوْلِيَاءِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ رَجُوعَ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ إِلَيْهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَهُوَ الَّذِي يَفِيضُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْحُكْمِ وَالْحَقَائِقِ. وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لَا يَأْخُذُونَ مَا لَهُمْ إِلَّا مِنْهُ، حَتَّى أَنْ الرِّسْلَ أَيْضًا لَا يَرُونَ الْحَقَّ إِلَّا مِنْ مَقَامِهِ.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُنْتُ وَلِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»<sup>(٢٠٢)</sup>. وَوَرَدَ أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَائِرُ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، سَبَّحُوا وَهَلَّلُوا وَقَدَّسُوا فَهَلَّلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِمْ وَتَهْلِيلِهِمْ<sup>(٢٠٣)</sup>، فَكَانُوا خُلَفَاءَ اللهِ فِي النُّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ، وَكَانَ رَجُوعَ جَمِيعِ النُّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ إِلَيْهِمْ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ. وَعَلَيْهِ، فَإِنَّ خَتْمَ الْوَلَايَةِ يَكُونُ لِلنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ حَيْثُ إِنَّهَا بَاطِنُ نَبُوَّتِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ لِلْوَصِيِّ الْمَعْظَمِ حَيْثُ إِنَّهُ نَفْسُهُ وَرُوحُهُ.

وَنِسْبَةُ خَاتِمِ الْأَوْلِيَاءِ - مِنْ حَيْثُ وَلايَتِهِ - مَعَ خَاتِمِ الرِّسْلِ، هِيَ نِسْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرِّسْلِ مَعَهُ؛ فَإِنَّ الْوَلِيَّ الْوَارِثَ اسْتِفَادَ كُلَّ مَا اسْتَفَادَهُ عَنْهُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى. وَمِثَالُهُمَا فِي عَالَمِ الْحَسَنِ: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،

(١٩٩) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢٢.

(٢٠٠) الفيضري، شرح فصوص الحکم، تعليقة القمشي على الفص الشيشي من فصوص الحکم، الهامش ١٥، الصفحات ٤٤٠ - ٤٦٤.

(٢٠١) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ١٢٥.

(٢٠٢) المصدر نفسه، الجزء ٤، الصفحة ١٢١.

(٢٠٣) عيون أخبار الرضا، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٣٧.



واستفاضة القمر من الشمس، وإفاضة الشمس له النور. وكذلك النجوم التي تستفيض من الشمس والقمر، فإنهم بمنزلة الأنبياء والأولياء الذين يستفيضون من النبي والولي، قال النبي، صلى الله عليه وآله: «أنا كالشمس، وعلي كالقمر، وأهل بيتي كالنجوم»<sup>(٢٠٤)</sup>.

## خصائص الولاية المحمدية

وهذه الولاية هي الولاية الخاصة التي تختص بأهل الله الفائين في ذات الله الباقيين ببقائه صاحب قرب الفرائض، وهي قد تكون حالاً. والأولى تختص بمحمد، صلى الله عليه وآله، ومحمد نقلها إلى أوصيائه وورثته بالتابعية له، وأما الأنبياء السابقون وأوصياؤهم إن حصلت لهم، حصلت على أن يكون حالاً لهم، لأن يكون مقاماً. يدل على ذلك رؤية كبرائهم في الأفلاك ليلة الإسراء، كل منهم في فلك، إما بمرتبة النفسانية أو العقلانية، والنفس والعقل وعقولها القدسية، وأولياؤه تعالى بالولاية العامة، لا الخاصة، لأن وجوداتهم ليست وجودات حقانية، فإن الوجود الحقاني وجود جمعي إلهي، وهؤلاء وجوداتهم وجودات فرقية. وكلامنا في المقام لا في الحال.

يهدف النص أعلاه إلى بيان حقيقة الولاية المحمدية، وتميزها عن ولاية سائر الأنبياء. فهي الولاية الخاصة؛ المختصة بالقرب الفرائضي، المقامي، الجمعي.

## قرب الولاية المحمدية الفرائضي

تقدم الحديث عن انقسام الولاية إلى العامة والخاصة، وأن الولاية العامة هي التي تعم جميع المؤمنين بأصنافهم، وتشمل كل من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً بمراتبهم. بينما تختص الولاية الخاصة بأهل الله الفائين في ذات الله الباقيين ببقائه الحائزين على مقام قرب الفرائض. وتقدم أيضاً، أن قرب الفرائض لا يحصل إلا بعد قرب النوافل؛ فإن قرب النوافل يوصل العبد إلى الفناء الصفاتي باستهلاك الأسماء والصفات، وهو سبب لأن يصير الرب جوارح السالك المقرب، أي يصير الحق سمعه ويده.

بينما قرب الفرائض يوصل العبد إلى الفناء الذاتي بالاستهلاك الكلي الذاتي والصفاتي المستتبع لإبقاء العبد في بعض الأحيان، ويصير العبد فيه بمنزلة الجوارح لربه؛ كما في الحديث القدسي: «يا بن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أظنني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشيء كن فيكون»<sup>(٢٠٥)</sup>، فيصير سمع الحق وبصره، كما أن أجزاء العالم تكون بمنزلة الجوارح للعبد.

(٢٠٤) عوالي اللئالي، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٨٦.

(٢٠٥) الميرزا النوري، مستدرک وسائل الشيعة (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة ٢، لا تاريخ)، الجزء ١١، الصفحة ٢٥٩. قال نقلاً عن الديلمي في إرشاد القلوب: «روي أنّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: (يا بن آدم، أنا حيّ لا أموت، أظنني فيما أمرتك، حتى أجعلك حياً لا تموت، يا ابن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أظنني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشيء كن فيكون). القطب الراوندي في لبّ اللباب، مثله، إلى قوله: لا تموت».

وعليه، فالفناء والبقاء تارة يكونان في الصفات دون الذات، ويسمى قرب النوافل. وأخرى يكونان في الذات، وهو الفناء والبقاء المطلق؛ أعلى مراتب القرب الإلهي، ويسمى قرب الفرائض، وعند هذا القرب تكون الولاية الخاصة التي تختص بالرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، أصالة، ويكون لأهل بيته، عليهم السلام، وراثه.

قال الإمام الخميني: «فإن حصول الولاية الكلية وظهور البرزخية الكبرى لا يحصل إلا بعد قرب الفرائض وهو غاية المعراج الصعودي لنبيّنا، صلى الله عليه وآله، ولا يحصل لغيره من الأنبياء والأولياء إلا لتبعية لأصالة»<sup>(٢٠٦)</sup>.

وقد دلت الأحاديث المتواترة على أن هذه المرتبة مختصة بمحمد وآله الطاهرين، عليهم السلام، فهم أصحاب قرب الفرائض المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس/٦٢). وفي الحديث القدسي: «أولياي تحت قبابي»<sup>(٢٠٧)</sup>. وهؤلاء هم الذين نضوا جلاب البشريّة وخلعوها، وتجاوزوا عن قدس الجبروت، ودخلوا في قدس اللاهوت، وهم الموحدون حقاً.

### قرب الولاية المحمدية المقامي

تنقسم الولاية الخاصة التي هي الوجود الحقاني إلى قسمين: الولاية المقامية وهي القرب الذاتي، والولاية الحالية وهي القرب العارض. فتتصف الولاية بالحال<sup>(٢٠٨)</sup> بمعنى أنها قرب عارض يزول، وتتصف بالمقام بمعنى أنها قرب ذاتي لا ينفك؛ فالولاية الخاصة قد يكون صاحبها واجداً لها، بحيث تكون الولاية مقاماً له، أي ثابتة غير زائلة أزلماً وأبدأً. وقد تكون حالاً، أي توجد من ذلك القرب الحقيقي له في آتات دون آتات.

وإنما تكون الولاية الخاصة مقاماً لمن يكون وجوده فانياً فيه تعالى، بحيث ليس له إنية أبداً، فلا ظهور فيه إلا ظهوره تعالى، فتكون آثاره، صلى الله عليه وآله، آثار الله تعالى.

فالولاية - أي القرب الحقيقي - مقام له، غير زائل، لعدم وجود له في قبالة تعالى، ولا وجود له إلا أنه مظهر له تعالى، كما أشير إليه في قوله (ع) : «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك فتقها ورتقها بيدك»<sup>(٢٠٩)</sup>.

وأما كونها حالاً، فمعناه أن الولي إذا لم يفن وجوده في وجوده تعالى، بل كان وجوده وجوداً خلقياً،

(٢٠٦) تعليقة على شرح فصوص الحكم، مصدر سابق، الصفحة ٥٧٤.

(٢٠٧) تفسير الألوسي، مصدر سابق، الجزء ١٧، الصفحة ١١٢.

(٢٠٨) الحال - في اصطلاحاتهم - لمحات غيبية ومواهب فائضة ترد على قلب السالك من عالم الغيب أناً فأننا من دون اختيار، وهو سريع الزوال. وأما المقام فهو من القيام، ومقام كل أحد: موضوع إقامته، أي ما هو مشتغل بالرياضة له والمبادرة إلى تحصيله واكتسابه حتى يستوفي حقوقه على التمام. فالأحوال من الأفضال والمواهب التي تأتي من عين الجواد. والمقامات من الأعمال والمكاسب التي تحصل ببذل الجهود. وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مترفع عن حاله.

(٢٠٩) مصباح التهجيد، مصدر سابق، الصفحة ٨٠٣.

وفي عالم الخلق لا في عالم الحق، فلا يكون القرب الحقيقي ذات الولي، ولا حقيقته هذا القرب، بل له وجود خلقي يعرض له القرب، ويسمى القرب العارضي بالحال، فولايته حالية لا مقامية، فهو مقرب إليه تعالى بالقرب العارضي الحالي لا الحقيقي المقامي.

وعليه؛ فالقرب بالولاية على قسمين: قرب عام، وهو أن يتقرب العبد إلى الحق المتعال؛ لا بحيث يفنى فيه ويبدل وجوده الإمكانى بالوجود الحقاني ولم يبق له الجهة الخلقية، بل إن كان، كان بحسب الحال لا المقام. وقرب خاص، وهو أن يفنى العبد بآيئته في الحق بحيث لم يبق له جهة خلقية وكان باقياً بالله.

وتختص الولاية المقامية بمحمد، صلى الله عليه وآله، وبالمحمدين من أوصيائه وورثته بالتابعية له، صلى الله عليه وآله. وأما الأنبياء السابقون وأوصياؤهم إن حصلت لهم الولاية بمعنى القرب، فإنما تحصل لهم على أن يكون حالاً لهم، لا أن يكون مقاماً.

### قرب الولاية المحمدية الجمعي

جعل العرفاء العالم على مراتب:

١. عالم الطبيعة الجسماني، وله مادة هيولانية ومدة زمانية وحركة ومكان، ويسمى عالم الناسوت.
٢. عالم المثال النفساني، وهو أسمى من عالم الطبيعة لأنه فاقد للحركة والزمان والتغيير والمادة، وإن شاركه في الصور والأبعاد. وهو وجود مجرد إمكانى يسمى عالم الملكوت.
٣. عالم الوجود العقلاني والروحاني المجرد عن الصورة والمادة والمدة، وهو عالم المعاني الخالي من الصور والأشباح، وهو برزخ غيرحقاني يسمى عالم الجبروت.
٤. العالم الإلهي السرمدى، والوحدانية، ووجه الله الباقي ببقاء الله. وهو الوجود الحقاني، ويسمى عالم اللاهوت.

والعوالم الثلاثة الأولى وجوداتها فرقية خلقية، فتموت بقيام الساعة؛ وموت البدن قيامة صغرى، وعدم النفس قيامة وسطى، وعدم الروح قيامة كبرى. بخلاف عالم الوجود الحقاني فهو عالم جمعي دائم لا يزول.

ومرتبة «الفرق» هي عبارة عن شهود الخلق بلا حق. ومرتبة «الجمع» هي شهود الحق بلا خلق<sup>(٢١٠)</sup>. وفوقهما مرتبة «جمع الجمع» وهو الاستهلاك بالكلية في الله<sup>(٢١١)</sup> وشهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع<sup>(٢١٢)</sup>. وقد يطلق «الجمع» ويراد به ما هو أعم من المرتبتين الأخيرتين، كما يظهر من الاستعمال الوارد في النص.

وعليه، فالوجود الجمعي هو وجود تجريدي دفعي بسيط منزّه من المادة والجزئية والتبعّض محيط

(٢١٠) معجم اصطلاحات الصوفية، مصدر سابق، الصفحة ٦٧.

(٢١١) المصدر نفسه، الصفحة ٢٨٧.

(٢١٢) المصدر نفسه، الصفحة ٦٧.

تأمّ وفوق التمام، كوجود الواجب تعالى، ووجود النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والأئمة، عليهم السلام في المرتبة الوجودية المنزهة عن المادية والتركب والتفرق.

وأما الوجود الفرقيّ، فهو وجود مركب محدود تدريجي ضعيف كالوجود المادي. فإن الموجود الماديّ بما أنه موجود كمي ذو أبعاد وأجزاء ليس لها وجود جمعي، ويغيب بعض أجزائه عن البعض الآخر، مضافاً إلى أنه في تحول وتغير دائم.

وبعض السالكين لفرط دهشتهم ومحبتهم، أو لسوء استعدادهم، أو نقصان مزاجهم، لا يمكنهم الرجوع إلى مملكتهم، فيبقون مجذوبين مهيمين، لا يعرفون غير الله ولا يعرفهم غير الله. في الحديث القدسي: «أولياي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»<sup>(٢١٣)</sup>. وبعضهم تشمله العناية الإلهية بإعطاء الاستعداد بالفيض الأقدس ويرجعهم إلى مملكتهم غانمين في تلك التجارة، حيث صار عقل الكل عقلهم وروحهم روح الكل وجسمهم جسم الكل، كما ورد: «أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس»<sup>(٢١٤)</sup>. فالكل مدبر بتدبيرهم، يتصرفون فيه كما شاء. ولا يحصل ذلك إلا بقرب الفرائض وهذا هو الوجود الجمعي.

وعليه، فإن وجود النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والأئمة، عليهم السلام، وجود جمعي في بداية الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، فالإمام حاضر مع جميع الناس في الدنيا وفي البرزخ وفي القيامة الكبرى. وإن كان له وجود عنصريّ في الدنيا في زمن محدود، بمعنى أنّه كان له ولادة وشهادة. وهذا يلقي بعض الضوء على كيفية معراجة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في العوالم، وأنه كان على مراحل، وقد رأى في كل مرتبة ما يناسب تلك المرحلة:

١. ففي عالم الطبيعة، كان سيره بنحو ما روي من أنّ الناس قالوا له ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فأخبرنا عن عيرنا<sup>(٢١٥)</sup>. وبعض أمته لا يتعدى سيرهم هذه المرحلة.
٢. وفي عالم المثال، كان سيره بنحو ما قال، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، في الأحاديث المعراجية: «مُتَّلُّ لِي النَّبِيِّينَ»<sup>(٢١٦)</sup>؛ وكذلك مُتَّلُّ لِه الملائكة المقربون بالمكالمة والسؤال والجواب. وهذه المكاشفات والتمثلات والنبوات الإنبائية قد تحصل لبعض أمته، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهم الأقلون.
٣. وفي عالم التجرد والوحدانية، كان سيره بنحو ما قال جبرئيل: «لودنوت أنملة لاحتقرت»<sup>(٢١٧)</sup>.

(٢١٣) تفسير الألويسي، مصدر سابق، الجزء ١٧، الصفحة ١١٢.

(٢١٤) عيون أخبار الرضا، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٣٠٩.

(٢١٥) روى في كامل ابن الأثير أنّ الناس قالوا له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): فأخبرنا عن عيرنا، قال: قَدْ مَرَرْتُ عَلَى عَيْرِ بَنِي فُلَانٍ بِالرُّوحَاءِ، وَقَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ وَهُمْ فِي طَلْبِهِ، فَأَخَذْتُ قَدْحًا فِيهِ مَاءٌ فَشَرِبْتُهُ فَسَلَوُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَمَرَرْتُ بِعَيْرِ بَنِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ فَرَأَيْتُ رَاكِبًا وَقَعُودًا بَدِي مَرَفْتَنَرٍ بَكَرَهُمَا مِنِّي فَسَقَطَ فُلَانٌ فَانْكَسَرَتْ يَدُهُ فَسَلَوُهُمَا. قال: وَمَرَرْتُ بِعَيْرِكُمْ بِالتَّعْمِيمِ يَقْدِمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقٌ عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ مُحِيطَتَانِ تَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَرَجُوا إِلَى الثَّنْبَةِ، فَجَلَسُوا يَنْظُرُونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ لِيَكْبُدُوهُ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ؛ فَقَالَ آخَرٌ: وَاللَّهِ هَذِهِ الْعَيْرُ قَدْ طَلَعَتْ يَقْدِمُهَا بَعِيرٌ أَوْرَقٌ كَمَا قَالَ [...] .

(٢١٦) الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق عبد الله السعد (دار ابن خزيمة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، الجزء ٢، الصفحة ٢٥٥.

(٢١٧) الرازي، تفسير الرازي، الطبعة ٣، الجزء ٢، الصفحة ٢٣٤.

وهذه المرحلة هي للأوحد من الأمة.

ويشتمل العالم المثالي على العرش والكرسي والسموات والسبع والأرضين، وليس المراد من السموات الأجرام العلوية وطبقات الأفلاك؛ بل المراد ملكوتها<sup>(٢١٨)</sup>. وقد تمثل له الأنبياء في هذا العالم كل في سماء؛ «آدم في السماء الأولى، ويحيى وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة»<sup>(٢١٩)</sup>، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ونسبة الأنبياء إلى السموات، مع عدم تحييز أرواحهم؛ تنبيهاً على تفاوت مراتبهم ومراتب أمهم وعلومهم وأحوالهم مع صور أحكام مراتب تلك السموات. فإن كل نبي - ما عدا الكمل - مظهر حقيقة كلية من حقائق العالم، والأسماء الإلهية الخاصة بها، وأرواحها الذين هم الملائ الأعلى، على اختلاف مراتبهم.

ولهذا قال الماتن: أما وجودات سائر الأنبياء فهي وجودات فرقية. قيل: يدل على هذا رؤية النبي الأعظم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كبراءهم من أولي العزم منهم كلا منهم في فلك مخصوص، أما بمرتبة النفسانية أو العقلانية، هذا مع أن النفس والعقل وعقولها القدسية الكائنة بها، إنما هم أولياء الله تعالى بالولاية العامة التي تعم المؤمنين بأصنافهم، لا الخاصة؛ لأن وجود الولي المتصف بالولاية الخاصة إنما هو وجود حقاني جمعي إلهي، وهذا بخلاف وجود أولئك الأنبياء، فإن وجوداتهم وجودات فرقية، إذ إن كلا منهم كان في فلك مخصوص، وأين هذا ممن هو فان عن الوجود وبق بوجود المعبود! فظهر فيه ما كان له تعالى من الإطلاق في الوجود والآثار.

وكيف كان فكلامنا في بيان مقام خاتم الولاية، التي تكون له الولاية مقاماً بالمعنى المتقدم، لا حالاً. والحاصل أن هذه الولاية الخاصة هي الولاية المحمدية وولاية محمديين، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٢١٨) وكذلك العرش والكرسي يطلقان - في اصطلاحهم - على مرتبتين من مراتب ملكوت الوجود الصمدي، وليس على مظهرهما في عالم الملك والشهادة كالفلك التاسع والثامن.

(٢١٩) الطبراني، المعجم الأوسط، (دار الحرمين للطباعة، ١٩٩٥م)، الجزء ٧، الصفحة ٤١.

## ختم الولاية المحمدية

فالولاية الخاصة وهي الولاية المحمدية، قد تكون مقيدة باسم من الأسماء وحدّ من حدودها، وقد تكون مطلقة عن الحدود ومعراة عن القيود، بأن تكون جامعة لظهورات جميع الأسماء والصفات، واجدة لأنحاء تجليات الذات. فالولاية المحمدية قسمان: مطلقة وكلية من حيث كلية روحه المسمى بالعقل الأول، ومقيدة وجزئية من حيث روحه الجزئي المدبر لجسده. ولكل منهما درجات؛ للمقيدة العدة، والمطلقة بالشدة. ويمكن أن يكون عالماً من علماء أمته خاتماً لولايته المقيدة، ووصياً من أوصيائه خاتماً لولايته المطلقة. وقد تطلق المطلقة على الولاية العامة، والولاية المقيدة المحمدية على الولاية الخاصة. وبما ذكرنا يندفع التشوش والاضطراب في كلماتهم ولا تتناقض العبارات. إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، خاتم الأولياء بالولاية المطلقة المحمدية بالإطلاق الأول: أي الجامعة لظهور جميع الأسماء والصفات الواجدة لأنحاء التجليات، وخاتم الولاية المقيدة المحمدية بالإطلاق الثاني، أي الولاية الخاصة، وعيسى ابن مريم، عليه السلام، خاتم الولاية المطلقة بالإطلاق الثاني أي العامة. والمهدي القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف خاتم الولاية المطلقة بالمعنى الأول وخاتم الولاية المقيدة بالمعنى الثاني. والفرق بينه وبين جده أمير المؤمنين لما سيأتي بيانه.

يتعرض البحث لتشخيص خاتم الولاية، وذلك من خلال تقسيم الولاية إلى العامة والخاصة، وتقسيم الخاصة إلى المطلقة والمقيدة. وبالتالي تشخيص الخاتم للولاية بأقسامها الثلاثة: العامة، والمطلقة، والمقيدة؛ دفعا للاشتباه الواقع في كلام بعض العرفاء، وتوصلا إلى المراد بخاتم الولاية المحمدية.

## الولاية مطلقة ومقيدة

تقدم أن الولاية بمعنى القرب، وأن القرب على قسمين: الأول، قرب الهوية الإلهية إلى الأشياء كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد/ ٤)، وهذا القرب عام لا يختص بوجود دون غيره. والثاني، قرب العبد إلى الحق في الكمالات والأخلاق، وهو مختص بعباده المؤمنين الذين تتورت قلوبهم بإشراق الأشعة الإلهية عليها، وهذا القرب هو مناط صحة إطلاق الولاية.

وهذه الولاية على قسمين: عامة وخاصة.

**الولاية العامة:** هي أن يتقرب العبد إلى الحق، ولكن دون أن يبلغ درجة الفناء فيه، بحيث يبذل وجوده الإمكانى بالوجود الحقاني فلا يبقى له جهة خلقية، بل إن حصل ذلك، حصل بحسب الحال لا المقام.

**الولاية الخاصة:** وهي أن يفنى العبد بانيته في الحق بحيث لا يبقى له جهة خلقية فيكون باقياً بالله. وهذه الولاية خاصة بالمحمديين.

وهذه الولاية بدورها تنقسم على قسمين: مطلقة ومقيدة.

**الولاية المطلقة:** وهي الفناء الحاصل بتجلي الله في حقيقة العبد وقلبه بأسمائه كلها؛ فتكون ولايته مطلقة عن الحدود، معراة عن القيود، جامعة لظهورات جميع الأسماء والصفات، واجدة

لأنحاء تجليات الذات. وإذا كان التجلي بجميع الأسماء، يكون العبد أقرب؛ وهذا لا يكون إلا بالفناء الذاتي في الحق بحيث يتجلى الحق له بالأسماء الذاتية ويكون ذلك مقاماً له. وحيث إن هذه الولاية مطلقة؛ لم يلحظ فيها إعمالها في الخلق، بل تلحظ على إطلاقها، كانت الولاية المحمدية مطلقة وكلية من حيث كلية روحه المسمى بالعقل الأول، ومن حيث جامعته لجميع الظهورات.

**الولاية المقيدة:** وهي الفناء الحاصل بتجلي الله في حقيقة العبد وقلبه باسم من أسمائه وحد من حدودها. فهي مقيدة بالتجلي باسم خاص من الأسماء، ويكون القرب بحسبه. وهذا لا يكون إلا بالفناء الصفاتي في الحق، فلا يتجلى له الحق بالأسماء الذاتية، وإن تجلى له بها كان ذلك بحسب الحال لا المقام. وحيث إن هذه الولاية مقيدة؛ لوحظ فيها إعمالها في مظاهرها الخلقية؛ كانت الولاية المحمدية مقيدة وجزئية من حيث روحه الجزئية المدبرة لجسده، صلى الله عليه وآله. فهي مقيدة فاعلاً؛ وهو روحه الجزئية المقدسة، صلى الله عليه وآله، وانفعلاً؛ وهو جسده، صلى الله عليه وآله، أو سائر متعلقات ذلك الاسم.

### الولاية الخاصة وتنوع درجاتها

الفناء الحاصل بتجلي الله في حقيقة العبد وقلبه، تارة يكون بأسمائه كلها، ولها باعتبار إطلاقها درجات بالشدة. وتارة يكون ببعض أسمائه فحسب، ولها باعتبار تقيدها درجات بالعدة. فإن من يشاهد الأنوار كلها من خارجها، يلاحظ الاختلاف الواقع بين مراتبها بالشدة والضعف. أما من يشاهد مرتبة من مراتب النور فحسب، ثم يقارنها بالمرتبة التي هو فيها، فيتوهم أنهما وجودان مختلفان باختلاف القابلية في التأثير، ويفضل عن أنهما مرحلتان لوجود واحد، فيرى اختلافها بالعدة.

فالولاية المطلقة درجاتها بالشدة؛ حيث إنها لم يلحظ فيها إلا نفسها، فهي من حيث كونها مطلقة وغير محدودة بحد تكون ذات شدة، ولشدتها مراتب غير متناهية. أما المقيدة فدرجاتها بالعدة، أي بالكيفية المختصة بهذا الاسم، والكيفية هي الحقيقة المدة - باختلاف مراتبها - للتصرف في الخلق.

فولاية النبي، صلى الله عليه وآله، مطلقة ومقيدة، وهي من الجانب المطلق شأن إلهي، جامع للأسماء والصفات، والظهور الجمعي له درجات تتفاوت بالشدة. وهي من الجانب المقيد شأن إنبائي عامل في الخلق بمقدار ما يقتضيه استعدادهم، وهذا الظهور الفرقي له درجات تتفاوت بالعدة.

### الختم مطلق ومقيد

تقدم تقسيم الولاية إلى العامة والخاصة، وتقسيم الولاية الخاصة - وكذا النبوة - إلى المطلقة والمقيدة. ولكل واحدة من الولاية المطلقة والمقيدة، والنبوة المطلقة والمقيدة، ختمية؛ أي مرتبة ليست فوقها مرتبة أخرى. فلا نبي ولا ولي سوى الشخص المخصوص بالختم. والكل راجع إليه وإن تأخر

وجود طينة صاحبه، فإنه بحقيقته موجود قبله. وخاتم النبوة المطلقة نبينا، صلى الله عليه وآله، وخاتم الولاية المطلقة أمير المؤمنين، عليه السلام. قال علي، عليه السلام: «ختم النبي، صلى الله عليه وآله، مائة [مئة] ألف نبي وأربعة آلاف وعشرين ألف نبي. وختمت أنا مائة [مئة] ألف وصي وأربعة آلاف وعشرين ألف وصي»<sup>(٢٢٠)</sup>.

ويرى بعض العرفاء أن مظهر الولاية العامة في الدرجة والرتبة آدم الصفي، عليه السلام؛ لأنه المظهر التام الأتم للعقل الأول دون غيره، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر/٢٩) بالإضافة إلى نفسه تعالى، ومظهرها في الزمان عيسى، عليه السلام، لأنه يظهر ثانيًا بعد القائم، وفيه قال تعالى: ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء/١٧١) بالتنكير.

وأما خاتم الولاية المحمدية المطلقة في الرتبة فهو المهدي المنتظر قائم آل محمد، ولا ينال في كون علي، عليه السلام، مثلًا خاتمها أيضًا؛ لأن الأئمة، عليهم السلام، كل من نور واحد وأصل واحد، وإنما اختصت في الظاهر به، عليه السلام، لأنه خاتمها في الزمان أيضًا. وأما ختم الولاية المحمدية المقيدة ثقيل: إنه يمكن حصولها لعالم من علماء أمته، صلى الله عليه وآله، بأن يكون هذا العالم خاتمًا لولايته المقيدة، كسلمان (رض) وأشباهه. وقد ادعاها غير واحد لنفسه، كالشيخ محيي الدين. وعليه، فإن ختم الولاية المحمدية المطلقة مختصة به، صلى الله عليه وآله، وبأوصيائه الكرام، عليهم السلام<sup>(٢٢١)</sup>.

### إطلاق الولاية وتقييدها بمعنى آخر

قد تطلق الولاية المطلقة ويراد بها الولاية العامة التي تكون للمؤمنين على اختلافهم، وتطلق الولاية المقيدة ويراد بها الولاية الخاصة التي تقع مقابل الولاية العامة للمؤمنين. وهو إطلاق آخر غير الإطلاق السابق. وهذا يعني أن للولاية المطلقة إطلاقين: فقد يراد بها الولاية الخاصة المطلقة التي هي التجلي بالاسم الجامع، وقد يراد بها الولاية العامة التي تكون للمؤمنين على اختلافهم. كما أن للولاية المقيدة إطلاقين: فقد يراد بها الولاية الخاصة المقيدة التي هي تجل خاص بالاسم الخاص، وقد يراد بها الولاية الخاصة التي تقع مقابل الولاية العامة للمؤمنين على اختلافهم. ونتيجة عدم مراعاة الفرق بين هذين الإطلاقين قد يقع الاشتباه في تشخيص المراد بخاتم الولاية من عباراتهم؛ فيتسبب ذلك إلى عدم التمييز بين خاتم الولاية العامة، وخاتم الولاية المطلقة، وخاتم الولاية المقيدة.

### علي (ع) خاتم الأولياء مطلقًا

ذهب ابن عربي في بعض عباراته إلى أن خاتم الولاية المطلقة هو عيسى، عليه السلام، ونسب ختم

(٢٢٠) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٣٩، الصفحة ٣٤٢.

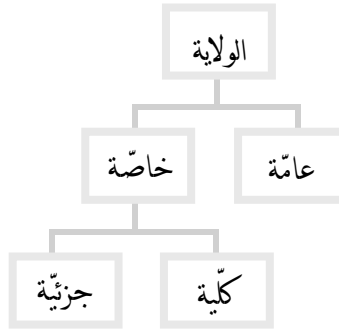
(٢٢١) للمزيد انظر: مقدمة القيصري على الفصوص، رقم الحاشية ٣١، الصفحة ٩.



الولاية المقيدة إلى نفسه. وإن كان يظهر من بعض عباراته الأخرى خلاف ذلك أيضًا. وأجاب السيد حيدر الأملي بأن خاتم الولاية المطلقة هو الإمام علي، عليه السلام، وخاتم الولاية المقيدة هو الإمام المهدي، عليه السلام.

وبما تقدم يتضح وجه اندفاع هذا التشويش:

إذ تنقسم الولاية إلى ولاية عامة، وخاتمها عيسى، عليه السلام، وتسمى مطلقة. وإلى ولاية خاصة، وتسمى مقيدة. وتنقسم الولاية الخاصة إلى ولاية كلية، وخاتمها علي، عليه السلام، والمهدي، عليه السلام، بحسب الزمان، وتسمى أيضًا مطلقة. وإلى ولاية جزئية، وهي لعلماء أمة محمد، صلى الله عليه وآله، أمثال سلمان وغيره، وتسمى أيضًا مقيدة.



ومن هذا البيان يعرف مراد صاحب الفتوحات المكية محيي الدين بن عربي، حيث قال في الفصل الثالث عشر من أجوبة محمد علي الترمذي: «الختم ختمان: ختم يختم به الولاية مطلقاً، وختم يختم به الله الولاية المحمدية. فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى، عليه السلام، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة، وقد حيل بينه وبين نبوة الشريعة والرسالة فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً لا ولي بعده، فكان أول هذا الأمر نبي وهو آدم وآخره عيسى، أعني نبوة الاختصاص، فيكون له حشران: حشر معنا، وحشر مع الأنبياء والرسل. وأما ختم الولاية المحمدية فهو لرجل من العرب أكرمها أصلاً وبدأ وهو في زماننا اليوم موجود وعرفت به سنة خمس وتسعين وخمسماية، ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق عن عيون عباده، وكشفها لي بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية فيه وهي الولاية الخاصة لا يعلمها الكثير من الناس.

### علاقة الحقيقة المحمدية بالولاية الإلهية

الولاية صفة إلهية، وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور، وأشار إليه تعالى بقوله: ﴿هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

تقدم في الفصل الأول تعريف الولاية الإلهية بأنها: حقيقة كلية وصفة إلهية وشأن من الشؤون الذاتية

التي تقتضي الظهور. ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/ ٢٨). فالولاية بحسب المصطلح حقيقة كلية، وصفة إلهية، وشأن ذاتي يقتضي الظهور. وتقدم أن الولي هو الله تعالى، ولا ولاية لأحد إلا منه تعالى، فالولاية ذاتية له سبحانه، وهي الولاية الأصلية الكلية التي تتوافق مع ربوبية الله المطلقة وتجعل كل الموجودات تحتها. فالجميع مخلوقات فقيرة ذليلة لله.

### الفيض الأقدس والفيض المقدس

إن الهوية الغيبية لا تظهر بذاتها، بل تظهر في الحضرة العلمية بالفيض الأقدس، وفي الحضرة العينية بالفيض المقدس. والحضرة العلمية: هي العلم الإلهي قبل أن تقدر الأشياء بالوجود العيني. والفيض الأقدس عبارة عن التجلي الحبي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية. كما قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف» [...]»<sup>(٢٢٢)</sup>.

والفيض المقدس عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج. فالله الحي مثلاً يقتضي وجود الحياة، والله الرازق يقتضي وجود الرزق، والله الولي يقتضي الظهور. كما قال: «[...] فخلقت الخلق لكي أعرف»<sup>(٢٢٣)</sup>.

ويترتب الفيض المقدس على الفيض الأقدس؛ فإن لكل اسم مظهرًا يخصه في المنشآت العلمية والعينية، وما هو المظهر في المنشأة الظاهرة العينية، هو المظهر في المنشأة الغيبية العلمية، وإن كان ما به الظهور مختلفًا، فإن الظهور في الثاني بالفيض الأقدس، وفي الأول بالفيض المقدس<sup>(٢٢٤)</sup>.

### مراتب تجلي الحق تعالى

للحق تعالى مراتب وتجليات ثلاث:

١. التجلي الذاتي: وهو تجلي الحق في حضرة الذات. أي تجلي نفسه لنفسه من نفسه. ولا تتجلى الذات للأسماء قبل أن تتجلى الذات بنفسها لنفسها من نفسها. فمقتضى تجليها لغيرها كونها بحالة من التجلي الذاتي وهذا هو الوجه الغيبي - غياب الهوية، عنقاء المغرب، غياب الغيوب - وهي الذات التي لا تدرك.
٢. التجلي الصفاتي: وهو تعيينات الذات بنفسه لنفسه في مظاهر كمالاته الأسمائية. وهنا، بداية التجلي بالظهورات التي تحصل في عالم الأسماء. وهو عالم الوحدة. وفيه يظهر مطلق الحقيقة الوجودية بعد كمونها. وذلك يحصل عن طريق الفيض الأقدس. والأسماء وإن كانت في تجليات الذات بنفسها لنفسها، لكنها في حقيقة الوجود - الذات - هي شأن من شؤونها؛ هي كليات

(٢٢٢) رسائل الكركي، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٥٩.

(٢٢٣) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ١٥٩. جاء فيه: «فخلقت الخلق لأن أعرف».

(٢٢٤) شرح فصوص الحكم، مصدر سابق، الصفحة ١٨.

الحقيقة، لا شيئاً آخر زائداً على الذات. وهذه الأسماء لها اقتضاءات بأن تحوّل الحقيقة الكلية إلى تعيينات خارجية غير مادية.

٣. التجلي الأفعالي: وهو التجليات الوجودية الفعلية وهي تعيينات الحق بنفسه لنفسه في مظاهر الأعيان الخارجية أي الخلق. وهو عالم الوجدانية وظهورها عن طريق الفيض المقدس. وهذه الأفعال هي تجلي الأسماء وليس شيئاً مستقلاً عنها، وبالتالي فالأفعال أيضاً هي تجلي للذات، وليس لها من نفسها شيء، كلها ترجع إلى الذات. وليست سوى مراحل من الظهورات والتعيينات للذات.

### مراتب الولاية

يمكن أن يلحظ تعريف الولاية - بحسب الاصطلاح - على نحو تراتبى؛ من الحقيقة الكلية، والصفة الإلهية، والشأن الذاتي.

حين تلحظ الولاية في مقام الأفعال يقال لها: «حقيقة كلية». وليس المقصود بكلية هذه الحقيقة؛ الكلي الطبيعي أو الكلي المنطقي، بل الحقيقة المنبسطة والسارية في كل شيء، فهي مع كل شيء بحسبه. فالولاية حقيقة كلية بحسب الأفعال، وبعد الأفعال تكون الأمور الجزئية.

وأما إذا لحظت الولاية في مقام الأسماء، حيث تبدأ بالظهور بنعوت الحق، فيقال لها بهذا الاعتبار: «صفة إلهية».

وأما القول بأنها شأن من شؤون الذات؛ فهو باعتبار أن الذات لا يعبر عنها باسم ولا صفة، وإنما للإشارة إليها على نحو الأمر المبهم غير المحدد.

وهذه الولاية التي هي حقيقة، وصفة، وشأن، تقتضي الظهور. وهذا الظهور يكون من الجزئيات، في كل شيء بحسبه. والولاية تسري في كل شأن من شؤون الخلق لأنها بذاتها وبطبيعتها تقتضي البيان والظهور.

### الظهور بالشأن الذاتي

إن معنى الفيضان من الفيض الأقدس هو ظهور الفيض الأقدس وتجليه وتعيينه في مقام العلم بشأن من شؤونه الذاتية، كالعلم الذاتي والقدرة التي هي عين الذات. أي، ظهوره بهذه الشؤون على وجه الإطلاق اللابشرطي، وهو الظهور بشأن العلم المطلق الذي يعبر عنه بالنورانية والانكشاف، لا بالمفهوم المصدرى والمقيد بالمتعلق والمعلوم؛ «لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور»<sup>(٢٢٥)</sup>.

وظهور الحق بشأن هو تعيينه بهذا الشأن. وتعين الشأن هو العين الثابت. وظهوره بتمام الشؤون هو

(٢٢٥) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٠٧.

تعيّنه باللّه. وتعين هذا الشأن المستجمع هو العين الثابت المحمدي، صَلَّى الله عليه وآله. فالأعيان هي القوابل للتجليات الإلهية، وهي فائضة من الله بالفيض الأقدس. والعين الثابت المحمدي هو الإنسان الكامل الذي له تمام الجامعة وكمال القابلية، حتى يقبل كل ما يقابله. ولما كان جميع الشؤون تحت هذا الشأن المستجمع، كان جميع الأعيان تحت هذا العين. ولما كان الفيض المقدس ظهور الفيض الأقدس، فالجميع ظهور هذا العين من الدرّة إلى الذرة.

قال في جامع الأسرار: «إن الله تعالى لما أراد التنزل من حضرة الذات إلى حضرة الأسماء والصفات، ومنها إلى حضرة الأكوان المعبر عنها بالعالم، والظهور بصورها، ظهر أولاً بصورة حقيقة كلية وتعين بها وتقيد بصورتها، وهي حقيقة الإنسان الكبير [...] ثم بعد ذلك ظهر تعالى بصورة حقيقة أخرى، هي نفس هذا الإنسان [...] ثم ظهر بواسطة هاتين الحقيقتين بصورة كل موجود في الوجود [...] بحسب الجزئيات والكليات إلى ما لا يتناهى. فليس في هذا الوجود فاعل بالحقيقة الإلهية»<sup>(٢٢٦)</sup>.

لهذا يذهب العرفاء إلى أن عالم الصفات والأفعال هو عبارة عن الأئمة، عليهم السلام، ويستندون في ذلك إلى ظاهر بعض الأخبار التي مفادها: «نحن أسماء الله»<sup>(٢٢٧)</sup>، «نحن وجه الله»<sup>(٢٢٨)</sup>، «نحن باب الله»<sup>(٢٢٩)</sup>.

### الحقيقة المحمّديّة مظهر الولاية الإلهيّة

وهذه الصفة عامة بالقياس إلى ما سوى الله؛ لاستواء نسبه تعالى إلى الأشياء. وعن الإمام موسى الكاظم، عليه السلام: «استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء». فصورته ومظهره أيضاً عامة شاملة لجميع ما سوى الله. وليست صورة لجميع ما سوى الله سوى العين الثابت المحمدي، صَلَّى الله عليه وآله، فصورة ذلك الاسم هي الحقيقة المحمّدية، صَلَّى الله عليه وآله. وقد كان صورة لاسم الله الجامع. والصورة الواحدة لا تكون صورة للمتمايزين في العرض، فالاسمان في طول الترتيب. واسم الولي باطن اسم الله، لأن الولاية أخفى من الإلهية. فالولاية باطن الحقيقة المحمّدية. وتلك الحقيقة صورة للاسمين وظاهرهما، فالحقيقة المحمّدية، صَلَّى الله عليه وآله، مظهر للولاية الإلهية التي ظهرت بأوصاف كماله ونعوت جماله، وهي النبوة المطلقة الجامعة للتعريف والتشريع.

يتعرض البحث لبيان الولاية الإلهية في مظهرها التام وصورتها الجامعة؛ والتي يصطلح عليها

(٢٢٦) حيدر آملی، جامع الأسرار، الصفحة ١٤٥.

(٢٢٧) الشيخ محمد باقر الكجوري، الخصائص الفاطمية (انتشارات الشريف الرضي، الطبعة ١، لا تاريخ)، الجزء ١، الصفحة ١١٦.

(٢٢٨) التوحيد، مصدر سابق، الصفحة ١٥٠.

(٢٢٩) القاضي نعمان المغربي، شرح الأخبار، تحقيق السيد محمد الحسيني الجليلي (مؤسسة النشر الإسلامي، لا تاريخ)، الجزء ٢، الصفحة

بالحقيقة المحمدية؛ باعتبارها مظهر الاسم «الولي» ومظهر الاسم «الله» بالترتيب. ولهذا أعاد تعريف الولاية هنا بذكر الاسمين، قال: الولاية صفة إلهية، وشأن من الشؤون الذاتية التي تقتضي الظهور، وأشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/ ٢٨).

### الاسم الولي

البحث هنا عن الولاية الإلهية بمعنى قرب الله تعالى إلى الأشياء، وليس بمعنى قرب العباد إليه تعالى بالولاية المكتسبة والتي بها يكونون أولياءه تعالى. وللبحث عن قرب الله تعالى إلى الأشياء نسبتان؛ نسبة إلى الله تعالى، ونسبة إلى الأشياء.

وباعتبار النسبة إلى الله تعالى، تكون الولاية صفة إلهية قائمة بذاته تعالى؛ وشأناً من شؤونه الذاتية التي تقتضي الظهور. والولي هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/ ٢٨). وهو الاسم الجامع لجميع الأسماء.

وباعتبار النسبة إلى الأشياء، تكون الولاية صفة عامة شاملة لجميع ما سوى الله تعالى؛ لاستواء نسبته تعالى إلى الأشياء. عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم، عليه السلام: «استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء»<sup>(٢٣٠)</sup>.

وعليه، الولاية بالنسبة إلى الذات اسم جامع لجميع الأسماء، وبالنسبة إلى الأشياء صفة عامة شاملة لجميع ما سوى الله تعالى.

### الحقيقة المحمدية مظهر الاسم الولي

للاسم الولي باعتبار النسبة إلى جميع الأشياء، واستواء القرب منها، صورة؛ هي مظهر جميع ما سوى الله تعالى. فإن عموم الظهور يقتضي عموم المظهر، ومظهر جميع ما سوى الله هو الصورة العامة المصطلح عليها بـ «العين الثابت المحمدي». فمظهر الاسم الولي الجامع للأسماء هو الحقيقة المحمدية، فتكون صورة عامة شاملة لجميع الأشياء؛ بها يظهر الاسم الإلهي الجامع لجميع الأسماء في الأعيان.

وعليه، فالولي اسم جامع للأسماء باعتبار الذات المقدسة، وله صورة عامة هي مظهر الاسم الإلهي الجامع باعتبار الأشياء كلها. وهذه الصورة هي المشار إليها بالحقيقة المحمدية.

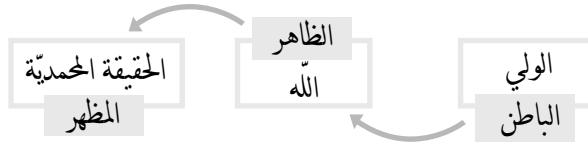
### الحقيقة المحمدية مظهر الاسم الله

هنا أمور:

الأول، أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الولي.

(٢٣٠) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٢٧..

الثاني، أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الله أيضاً.  
الثالث، أن الاسم الولي متمايز عن الاسم الله؛ فإن الاسم الولي اسم جامع، والاسم الله هو سائر الأسماء. والصورة الواحدة لا تكون صورة للمتمايزين في العرض.  
وحيث إن الصورة الواحدة هي صورة للاسمين، فيكون التمايز بينهما طولياً، لا في العرض. وهو التمايز بحسب مراتب الظهور والبطون. فالحقيقة المحمدية صورة للاسمين؛ فهي صورة اسم «الله» وصورة اسم «الولي». ولكن في طول الترتيب؛ لوحدة مظهرهما وصورتها حينئذٍ.



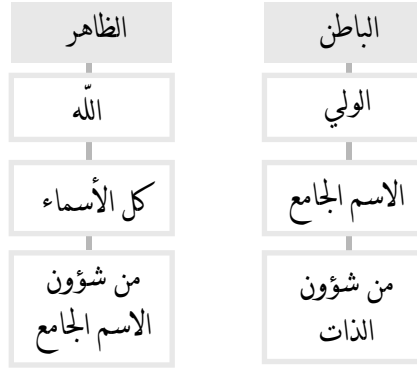
### وجه الترتيب بين الاسمين

اسم الولي باطن اسم الله، فإن اسم «الولي» هو الاسم الجامع الذي هو من شؤون الذات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/ ٢٨). وهو باطن باعتباره الاسم الجامع لأسماء الله الباطنة فيه. وأما اسم «الله» فهو مظهر الاسم الولي، أي هو ظهور الأسماء الإلهية كلها والتي هي من شؤون الاسم الجامع. فالاسم «الولي» مقام بطون اسم الله بجامعيته، والاسم «الله» مقام ظهور ألوهيته بالأسماء المتمايضة المختلفة مفهوماً المتحدة مصداقاً. فالبطون باعتبار الجمع، والظهور باعتبار التمايز.

فيتضح أن الحقيقة المحمدية هي مظهر «الإلهية» بالأسماء المتمايضة، ومظهر «الولاية» بالاسم الجامع. واسم «الولي»: باطن اسم «الله». ويطون الألوهية يكون بالاسم الجامع الذي هو من شؤون الذات. فالولاية صفة إلهية وشأن من الشؤون الذاتية يقتضي الظهور. واسم «الله»: ظاهر اسم «الولي». وظهور الألوهية يكون بالأسماء المتمايضة مفهوماً المتحدة مصداقاً التي هي من شؤون الاسم الجامع. فالإلهية هي ظهور الأسماء بآثارها في الخلق.

ومعلوم أن الظاهر عين الباطن، والباطن عين الظاهر، والاثنية بالتمايز العقلي، وأما في الوجود فهما متحدان في الصورة المحمدية وحقيقتها الواحدة، والتي هي ظهور تلك الأسماء أي ظهور الله بالإلهية، وظهور الولي بالولاية.

وعليه، فالولاية الكائنة في اسم الولي أخفى من الإلهية وباطن لها؛ لأن الإلهية هي ظهور الأسماء بآثارها في الخلق بحقيقة الولاية. وحيث إن الإلهية المشار إليها بالله باطن الحقيقة المحمدية، فالولاية باطن الحقيقة المحمدية. والحقيقة المحمدية ظاهر الاسمين الولي والله، فتكون صورة الولاية والإلهية.



### الحقيقة المحمدية مظهر الولاية الإلهية

الحقيقة المحمدية هي الولاية المطلقة الإلهية التي ظهرت بأوصاف كماله ونعوت جماله، وتقدم أنها النبوة الجامعة للتعريف والتشريع.

ومعنى ظهورها بأوصاف كماله، أن الولاية الإلهية اختفت في النبوة، وظهرت بأوصافه فيها؛ فإن ظهور الشيء كشفه بوجه، وحجابه بوجه. فكما تختفي المرأة في الصورة الظاهرة فيها، فالصورة تحجب المرأة والمرأة تنكشف باعتبارها صورة. كذلك تختفي الولاية في النبوة الظاهرة فيها، فالنبوة تحجب الولاية والولاية تنكشف باعتبارها نبوة.

### خلاصة

الولي اسم من أسماء الذات، قائم بها، ومن شؤونها، وهذا الاسم جامع للأسماء، والأسماء مستبطنة فيه. أما بالنسبة إلى الأشياء، لا الذات المقدسة، فالولي صفة عامة؛ تستوي في نسبتها إلى جميع الأشياء. ولهذه الصفة العامة صورة عامة تسمى الحقيقة المحمدية؛ بها تخرج الولاية الإلهية من باطن الاسم الجامع، فتظهر بآثارها التي تقتضيها الأسماء. فيتضح أن البحث في الحقيقة المحمدية، هو بحث في ظهور الولاية الإلهية، أي ما تقتضيه الأسماء - المستبطنة في الاسم الجامع - من آثار. واسم الولي باطن اسم الله، واسم الله باطن الحقيقة المحمدية، فالولي باطن الحقيقة المحمدية. والحقيقة المحمدية مظهر اسم الله، واسم الله مظهر اسم الولي، فالحقيقة المحمدية مظهر اسم الولي. فهي مظهر الولاية الإلهية التي ظهرت بأوصاف كماله ونعوت جماله، وهي النبوة المطلقة الجامعة للتعريف والتشريع.

## وحدة الولاية المحمّديّة والحقائق النوريّة

ثم ظهرت الولاية الإلهية المحمدية بنعت الولاية، فصارت ولي الله وخليفة رسول الله. ثم ظهرت كل يوم في شأن من شؤونه، وفي كل مظهر بنعت من نعوته فصارت حجج الله وخلفاء رسول الله، صلى الله عليه وآله، إلى أن ظهرت بجميع أوصافه، فصارت قائمهم، ومظهر أوصافهم، وكلهم نور واحد وحقيقة واحدة، واختلافهم في ظهور أوصاف حقيقتهم الأصلية، وهي الولاية المطلقة الإلهية كما ورد: «أولنا محمد، وأسطنا محمد، آخرنا محمد، كلنا محمد». فيرتفع ما يتوهم من التناقض في قولنا تارة: خاتم الولاية المحمدية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، وتارة أنه المهدي الموعود المنتظر، عليه السلام؛ لأنهما بل لأنهم، عليهم السلام، نور واحد بالسنخ، والاختلاف بالشؤون والظهورات على حسب اقتضاء الحكمة البالغة. فظهر أن ما في خاتم الولاية المحمدية هي الحقيقة النورية المحمدية، التي خلعت لباس النبوة، واكتست كساء الولاية وظهرت في صورة أوصيائه المعصومين. فإن شئت قلت: أمير المؤمنين، وإن شئت قلت: بأي إمام من الأئمة المعصومين، عليهم السلام، إلا أن قائمهم أولى بذلك لظهور جميع الأوصاف فيه، عليه السلام.

المقصود بالبحث هو إثبات وحدة أنوار الأئمة، عليهم السلام، باعتبار أن حقيقتهم مظاهر للحقيقة المحمدية بالسنخ، والاختلاف بالظهور لا يستلزم الاختلاف بالذات؛ وبالتالي دفع ما قد يتوهم من القول بأن خاتم الأولياء هو علي، عليه السلام، وهو المهدي، عليه السلام.

## الظهور بنعت الولاية

الولاية المطلقة باعتبارها اسم الله الجامع، هي باطن الألوهية، والباطن أشرف من الظاهر؛ لأنه جهة الارتباط بالحق، بينما الظاهر تابع في الفضل للباطن ومرتبطة بالخلق. والألوهية باعتبارها أسماء الله تعالى، هي باطن النبوة. فالنبوة مظهر الألوهية والولاية. وبما أن الرسول الأعظم (ص) هو صاحب النبوة المطلقة، فهو صاحب الولاية المطلقة أولاً وأبداً. فتكون الولاية قد اجتمعت فيه مع النبوة والرسالة.

وبعد اختتام النبوة لا تنقطع الولاية المطلقة، بل تنتقل إلى وارثه، وتظهر فيه بنعت الولاية، أي منحازة عن النبوة والرسالة، فيكون خليفة رسول الله، وولي الله المطلق، فيقوم بالإمامة الكبرى، والخلافة العظمى. وهاتان المرتبتان تكونان لخاتم الأنبياء محمد، صلى الله عليه وآله، أصالةً، وخاتم الأولياء علي، عليه السلام، وراثَةً، للذين هما من نور واحد، وحيث إنه لا انقطاع للولاية فتنتقل بعده لأولاده المعصومين، المنصوص عليهم من الله تعالى بالإمامة والخلافة، فتظهر كل يوم في شأن من شؤونه، وفي كل مظهر من الأولياء والأئمة، عليهم السلام، واحداً بعد واحد؛ بنعت من نعوت ذلك الشأن، فتصير حجج الله وخلفاء رسول الله، صلى الله عليه وآله، إلى أن تظهر بجميع أوصاف ذلك الشأن، فتصير قائمهم ومظهر أوصافهم.





### الاختلاف بالظهور لا بالحقيقة

وإنما تظهر كل يوم في شأن من شؤونها، وفي كل مظهر بنعت من نعوتها، لاقتضاء المناسبة ذلك، وإلا فإن ولاية الأئمة، عليهم السلام، هي ولاية محمدية مطلقة، على ما تقدم من أن هذه الولاية صفة إلهية وشأن من الشؤون الذاتية، وأن صورتها ومظهرها شامل لجميع ما سوى الله، وهي العين الثابتة المحمدية التي هي عين واحدة ثابتة في علم الغيب الإلهي، وإنما تختلف ظهوراتها العلمية، واختلاف الظهورات لا يقدر بوحدة حقيقتها؛ فكما أننا قد نتعلق ماهية من الماهيات، فتكون صورة عقلية مجردة بلا تقدر وتشكل. ثم نتخيل ذلك المعنى بالقوة الخيالية، فيصير المعنى صورة مقدارية بسبب التخيل. وهذا المعنى في التقدير الخيالي هو عين المعنى في التجريد العقلي؛ لم يضاف إلى ذاته شيء، ولم يسقط من ذاته شيء، وإنما ظهر تارة مجرداً كلياً، ثم ظهر تارة أخرى مقدراً جزئياً، دون أن يكون بينهما اختلاف إلا بالظهور. كذلك العين الواحدة يمكن أن تكون أعياناً متعددة بلا اختلاف في الذات والعوارض، كالعين الثابتة المحمدية تكون عين أوصيائه وخلفائه.

فإذا كانت الولاية واحدة والعين واحدة، ولا اختلاف إلا في الظهور بالأوصاف الذاتية الكامنة الموجبة لاختلاف الشؤون في المظاهر المتعددة، فكلهم نور واحد، وحقيقة واحدة. وإذا كان اختلافهم ليس بالذات، وإنما في ظهور أوصاف حقيقتهم الأصلية التي هي الولاية المطلقة المحمدية، فيتضح حينئذ قوله، عليه السلام: «أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد»<sup>(٣٢١)</sup>.

### رفع وهم التناقض

يتضح بما تقدم أنه لا منافاة في كون خاتم الولاية المحمدية هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، وهو أيضاً المهدي المنتظر، عليه السلام، لأن الأئمة نور واحد بالنسخ، والاختلاف إنما يكون بالشؤون والظهورات، على حسب اقتضاء الحكمة البالغة. فيتضح حينئذ أن ما في خاتم الولاية المحمدية - أمير المؤمنين، عليه السلام، أو المهدي، عليه السلام، أو أحدهم، عليهم السلام - هو

(٣٢١) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٢٥، الصفحة ٣٦٣.

الحقيقة النورية المحمدية التي كانت أولاً لنفسه الشريفة (ص) مع النبوة، والتي خلعت لباس النبوة، واكتست كساء الولاية، وظهرت في صورة أوصيائه المعصومين. فإن شئت قلت: أمير المؤمنين، عليه السلام وإن شئت قلت: في أي من الأئمة المعصومين، إلا أن قائمهم أولى بذلك لظهور جميع الأوصاف فيه، عليه السلام.

## الأسماء والحقائق النورية

هذه جملة من الكلمات التي ذكرها المسمون بأهل العرفان في هذا المجال، ولو كان لما ذكره الحكماء الإسلاميون من القول بالعقول الطولية والأنوار القاهرة، والعقول العرضية المتكافئة المعبر عنها بالمثل النورية، محلاً صحيحاً ومستنداً قوياً، فإن الكبراء منهم كالحقق الطوسي (قده) قال في متن التجريد: «أما العقل فلم يثبت دليل على امتناعه وأدلة وجوده مدخولة»، وإلا لكان حقيقاً أن يقال: «إن النور المحمدي (ص) الظاهر في خاتم الأنبياء وأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين والأئمة المعصومين متحد بحسب الحقيقة مع تلك الأنوار القاهرة الأعلين، وما هو في سائر الأنبياء وأوصيائهم مع الأنوار العرضية، والمثل النورية بحسب مراتبهم».

يهدف البحث إثبات أن المبنى الفلسفي لا يتناقض مع المبنى العرفاني في حقيقة الأنوار، كما أن النصوص تشير بوضوح إلى أن المراد بالأنوار هم محمد (ص) والأئمة (ع).

## تمهيد

للإنسان عوالم سابقة، هي عالم الربوبية، وعالم العقل، وعالم المثال، وعالم المادة. **عالم الربوبية**: يمتاز العالم الربوبي بأنه عالم واجب الوجود لذاته. والعوالم الأخرى بعضها علة للآخر؛ والترتب بينها طولي، إلا أنها جميعاً تنتهي إليه تعالى، فكل موجود، كيفما فرض، فهو أثره.

**عالم العقل**: هو أول موجودات عالم الإمكان سبقاً، بسيط غير مركب، له كل كمال وجودي؛ فله الفعلية التامة من كل جهة والتنزه عن القوة والاستعداد والتجرد التام عن المادة وأثارها؛ ذاتاً وفعللاً. وهو علة إعدادية لما بعده، ولا يخرج عن الظلية في وجوده للواجب تعالى.

وقد طرح المشاؤون نظرية العقول الطولية، لتفسير كيفية صدور الخلق عن الحق. وتقدم أن العقل هو الصادر الأول عن الواجب تعالى. كما ورد أنه هو نور النبي، صلى الله عليه وآله، وأن الله تعالى خلق بواسطته كل خير خلقه بعد ذلك. وأضاف الإشراقيون نظرية العقول العرضية متأثرين في ذلك بنظرية المثل الأفلاطونية، فأثبتوا عقولاً عرضية لا عليّة ولا معلوليّة بينها، يحاذي كل عقل منها نوعاً من الأنواع المادية الموجودة في عالم الطبيعة هو الذي يدبره بواسطة صورته النوعية فيخرجه من القوة إلى الفعل. ومن هنا سميت هذه العقول بـ «أرباب الأنواع».

**عالم المثال:** العالم الثاني بعد العقل. وهو معلول لعالم العقل وعلّة لعالم المادة؛ فهو برزخ بين عالم العقل وعالم المادة؛ لتوسطه بينهما. وهو مجرد عن المادة دون بعض آثارها؛ من قبيل الشكل والمقدار والوضع وغيرها من الأعراض. ويسمى عالم الأشباح والأظلة.

وقد آمن أصحاب الحكمة المتعالية بوجود عالم المثال هذا. وأطلقوا عليه اسم الصور «الشبحية المثالية» (مثلاً معلقة) وذلك مقابل «المثل الكلية» المشتهرة بالمثل الأفلاطونية. وخلافاً للإشراقين الذين ذهبوا إلى كون المثل علّة لعالم المادة والطبيعة، فقد ذهب صدر المتألهين والسيد الطباطبائي إلى أن عالم المثال هو العلة المتوسطة لعالم المادة. وأما المشائون فقد أنكروا عالمي المثال والمثل، ولم يعترفوا بغير عالم العقل علّة لعالم المادة، وعندهم أن العقل الفعال هو آخر العقول الطولية.

هذا، ويختلف عالم المثال عن المثل الأفلاطونية والعقول العرضية من جهات، منها:

١. إن المثل الأفلاطونية مجردة عن المادة تجرداً تاماً، ذاتاً وأثراً لتعلقها بعالم العقول المجردة تجرداً تاماً، بخلاف عالم المثال فإنه مجرد عن المادة ذاتاً لا أثراً.
٢. إن المثل الأفلاطونية تتقدم في الوجود تقدماً علياً على عالمي المادة والمثل، أما عالم المثال فيتقدم في الوجود على عالم المادة تقدماً علياً.

ويطلق على عالم المثال أيضاً عالم الخيال المنفصل، وأطلق شيخ الإشراق السهروردي عليه عالم الأشباح المجردة والصور المعلقة أو المثل المعلقة، ويعبر عنه في كلمات أهل البيت، عليهم السلام بعالم الأشباح والأظلة.

**عالم المادة:** هو العالم المحسوس، ويسمى بعالم الطبيعة، والهيولى الأولى. وهذا العالم مرتبط بالمادة ذاتاً وأثراً، وهويته عين التغير والتجدد، فهو مجعول بجعل واحد بسيط؛ هو نفس التجدد والسيلان في جوهره، لا أن الحركة عارضة عليه.

### توافق المبنى الفلسفي مع المبنى العرفاني

بناءً على ما تقدم، قال بعض الأعاظم: لو كان لما ذكره الحكماء الإسلاميون من القول بالعقول الطولية والأنوار القاهرة، والعقول العرضية المتكافئة المعبر عنها بالمثل النورية محمل صحيح، ومستند قويم، فإن الكبراء منهم كالمحقق الطوسي (قده) في متن التجريد: «وأما العقل فلم يثبت دليل على امتناعه، وأدلة وجوده مدخولة»<sup>(٢٢٢)</sup>، أي أنه لم يثبت بالعقل امتناع القول بوجود العقول الطولية والأنوار القاهرة، وغيرها مما ذكر<sup>(٢٢٣)</sup>، وإن كانت أدلة وجودها المذكورة عند القوم

(٢٢٢) تجريد الاعتقاد، مصدر سابق، الصفحة ٢٢٧.

(٢٢٣) أقصى ما استدللّ للامتناع أنه لو كان مجرداً شارك البارّي تعالى، وهو محال. وأجيب بأنّ المشاركة في السلوب والإضافات لا يقتضي المشاركة في الذات حتّى يلزم التركيب. ثمّ إنّ الممكن منحصر في العرض والجواهر الخمسة. أي الجسم والصورة والهيولى والنفس والعقل. وأوّل صادر عن البارّي لا يمكن أن يكون إلا العقل؛ فلا يكون جسماً لأنّ الواحد لا يصدر عنه أمران؛ والجسم مركّب من الصورة والهيولى. ولا يكون صورة ونفساً؛ لأنّهما لا يؤثران إلا إذا كانا مع المادّة والبدن، وإلا يلزم كونهما علّة مع عدم وجود شرط علّتهما. ولا يكون عرضاً؛ لأنّ العرض محتاج في وجوده إلى الجوهر، فلو كان العرض أوّل الأشياء لكان علّة للجوهر المتقدّم عليه. ولا يكون هيولى ومادّة لأنّ الهيولى قابلة فلا يمكن أن تكون قاعلة.

مدخولة أي يمكن الإشكال عليها، فلا يمكن الاعتماد عليها<sup>(٢٣٤)</sup>.

وكيف كان، فلو كان لما ذكروه محمل صحيح لكان حقيقاً أن يقال: إن النور المحمدي (ص) الظاهر في خاتم الأنبياء وأمير المؤمنين، عليه السلام، وسيدة النساء، عليها السلام، والأئمة المعصومين، عليهم السلام، متحد بحسب الحقيقة مع تلك الأنوار القاهرة الأعلى، وما هو في سائر الأنبياء وأوصيائهم متحد مع الأنوار العرضية والمثل النورية على حسب مراتبهم، بحسب التدبر في الأحاديث المروية في المجلد الأول من كتاب أصول الكايف.

### توافق النصوص مع المبنى العرفاني

وهذا ما يستفاد من التدبر في الأحاديث المروية في المجلد الأول من كتاب أصول الكايف.

منها: ما ورد في باب أن الأئمة، عليهم السلام، نور الله عز وجل: «عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن/٨)، فقال: يا أبا خالد، النور - والله - الأئمة من آل محمد، صلى الله عليه وآله، إلى يوم القيامة، وهم نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات والأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله تعالى نورهم عن من يشاء، فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ولا يتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا، ويكون سلماً لنا: فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وأمنه من فزع يوم القيامة الأكبر»<sup>(٢٣٥)</sup>.

وفي باب خلقه النبي، صلى الله عليه وآله، والأئمة الطاهرين قبل خلق السموات والأرض. منها: عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني، فأجريت اختلاف السبعة، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم يزل متفرّداً بوحديته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكتوا ألف عام ومن ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: «يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»<sup>(٢٣٦)</sup>. ومنها: ما روي عن المفضل: «يا أبا عبد الله، كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: «يا مفضل، كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في أظلة خضراء نسبحه ونقدسسه ونهلله، ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق الكان والمكان. فخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً فلم يزل أولين إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزلوا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله

(٢٣٤) هي مدخولة؛ لأن المؤثر ههنا مختار، والمختار تعدد آثاره وأفعاله، فيمكن أن يكون الصادر منه ابتداء أشياء كثيرة.

(٢٣٥) أصول الكايف، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ١٩٤.

(٢٣٦) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤١.

وأبي طالب»<sup>(٢٣٧)</sup>.

ومنها: ما روي عن جابر بن يزيد قال: «قال لي أبو جعفر: يا جابر، إن الله أول ما خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباحاً نورية بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور أبداناً نورية بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحد، وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة، والصوم، والسجود، والتسبيح، والتلهيل، ويصلون الصلاة، ويصومون، ويحجون»<sup>(٢٣٨)</sup>.

وتدبر أيضاً فيما وقع في الزيارة الجامعة الكبيرة من قوله: «وإن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محققين حتى من علينا بكم»<sup>(٢٣٩)</sup>.

(٢٣٧) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤٢.

(٢٣٨) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤٢.

(٢٣٩) مفاتيح الجنان، مصدر سابق، الصفحة ٨٠٧.



# الفهارس





## فهرس الأعلام

- إبراهيم (ع) ..... ٩٩ - ١١٧
- ابن سينا ..... ٦٣
- ابن شيرويه ..... ٩٧
- أبو القاسم فارس ..... ٥٤
- أبو جعفر الثاني (ع) ..... ١٣٢
- أبو خالد الكابلي : راو ..... ١٣٢
- أبو هريرة ..... ٩٧
- أحمد بن محمد حسن الأشثيانى ..... ١٥ - ١٠٦
- إدرىس (ع) ..... ١١٧
- آدم (ع) ..... ٢٢ - ١١٧
- إسرائئيل : بنوإسرائئيل ..... ١٠٥
- أفلاطون : الإلهى ..... ٨٥
- أنس بن مالك ..... ٢٠
- جابر الصحابى ..... ٩٢
- جابر بن يزىد ..... ٢٤
- جبرئىل (ع) ..... ١٠٩
- جعفر بن محمد الصادق (ع) ..... ٩٨
- حذيفة اليمانى ..... ٩٧
- الحسن (ع) ..... ٩٧ - ١٠٤
- الحسین (ع) ..... ٩٧
- حيدر الآملى ..... ٧٩ - ١٢١
- الخمىنى ..... ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٦٤ - ١١٤
- داوود (ع) ..... ٦٤
- الراغب الأصفهانى ..... ٢٩
- الرضا (ع) ..... ٧٤
- السبزوارى : ملا هادى ..... ٦٣ - ١١٠
- سلمان (رض) ..... ١٢٠ - ١٢١
- السهروردى ..... ١٣١
- سهل بن حنىف ..... ٦٤

- شمس الدين محمد اللاهجي \_\_\_\_\_ ٦٤
- الشهيد الثاني \_\_\_\_\_ ٤٥
- صدر المتألهين \_\_\_\_\_ ١٣١
- الطوسي : المحقق \_\_\_\_\_ ٢٣
- عبد الرزاق الكاشاني \_\_\_\_\_ ١١٠
- عبد الله : والد النبي (ص) \_\_\_\_\_ ٢٤
- علي بن أبي طالب (ع) \_\_\_\_\_ ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢١ - ١٢٠ - ٩٧ - ٩٣ - ٩٢ - ٢٣ - ٢٢ - ١٧
- علي بن الحسين (ع) \_\_\_\_\_ ٩٦
- عيسى بن مريم (ع) \_\_\_\_\_ ١٢١ - ١٢٠ - ١٠٥ - ٩٣ - ٢٢
- فاطمة (ع) \_\_\_\_\_ ١٣٢
- الفيض الكاشاني \_\_\_\_\_ ٩٦
- محمد (ص) \_\_\_\_\_ ١٣٠ - ١٢١ - ١١٥ - ١١٤ - ١١١ - ١٠٤ - ١٠١ - ٩٩ - ٩٣ - ٢١ - ١٥
- محمد علي الترمذي \_\_\_\_\_ ١٠٩ - ٢٢
- محيي الدين بن عربي \_\_\_\_\_ ١٢٠ - ١١٠ - ٢٢
- المفضل : راو \_\_\_\_\_ ١٣٢
- المفيد : الشيخ \_\_\_\_\_ ١١١
- المهدي (ع) \_\_\_\_\_ ١٢٩ - ١٢٨ - ١٢١ - ١٢٠ - ١٠٥ - ٢٣ - ٢٢
- موسى (ع) \_\_\_\_\_ ١١٧ - ١٠٥ - ٤١
- موسى بن جعفر الكاظم (ع) \_\_\_\_\_ ٢٣
- مير سيد علي الهمداني \_\_\_\_\_ ٩٧
- هارون (ع) \_\_\_\_\_ ١١٧
- يحيى (ع) \_\_\_\_\_ ١١٧
- يوسف (ع) \_\_\_\_\_ ١١٧ - ٥٤

## فهرس المؤلفات

٦٤ - ٦٧	القرآن الكرم
١٩	الإشارات والتنبيهات
٢٢	الفتوحات المكّية
١٣٢ - ٢٤	أصول الكافي
٢٠	بحار الأنوار
٢٩	تاج العروس
٩٧	تأويل الآيات
٩٦	تفسير الصافي
١٢٤	جامع الاسرار
١٣	رسالة في الإنسان الكامل والولاية التكوينية
٢٩	مفردات ألفاظ القرآن الكرم
٩٧	منهاج الكرامة
٩٧	ينابيع المودة



## فهرس الآيات القرآنية

## البقرة

- ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٣٠]. \_\_\_\_\_ ١٠٧ - ٩٦
- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [٣١]. \_\_\_\_\_ ١٠٧
- ﴿فَأَيْتَمًا تُولُوا فَمَتَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [١١٥]. \_\_\_\_\_ ٧٣ - ٣٨
- ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [١٢٤]. \_\_\_\_\_ ١٠٧ - ٩٩
- ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ [١٤٨]. \_\_\_\_\_ ٥٧
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [١٦٥]. \_\_\_\_\_ ٦٥
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١٧٢]. \_\_\_\_\_ ٤١
- ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٢١٣]. \_\_\_\_\_ ٢٥
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢٥٥]. \_\_\_\_\_ ٣٥
- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [٢٥٧]. \_\_\_\_\_ ٦٠
- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٢٥٧]. \_\_\_\_\_ ٧٣ - ٧٠ - ٣٠ - ١٧
- ﴿وَلَمْ تَكُن تَأْمَنُ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [٢٦٠]. \_\_\_\_\_ ٤٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [٢٧٧]. \_\_\_\_\_ ٤٤

## آل عمران

- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْنِ﴾ [٢٠]. \_\_\_\_\_ ٤١
- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣١]. \_\_\_\_\_ ٧٧ - ١٨
- ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٤٥]. \_\_\_\_\_ ٤١
- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [٦٤]. \_\_\_\_\_ ٤١
- ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٨]. \_\_\_\_\_ ٣٠
- ﴿وَلَا يَكْفُرُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [٧٧]. \_\_\_\_\_ ٤١

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

٩٢ \_\_\_\_\_ [٨١].

٦٦ \_\_\_\_\_ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [١٠٢].

٣٧ \_\_\_\_\_ ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [١٠٩].

### النساء

٧٧ - ٧٠ \_\_\_\_\_ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [٨٠].

٨٢ \_\_\_\_\_ ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [١٠٠].

٣٧ \_\_\_\_\_ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [١٢٦].

٧٣ - ٣٠ \_\_\_\_\_ ﴿أَيَسْتَعْزِفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [١٣٩].

١٢٠ \_\_\_\_\_ ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [١٧١].

٩٦ \_\_\_\_\_ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [١٧٤].

### المائدة

٧٧ \_\_\_\_\_ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ

الموتى بِإِذْنِي﴾ [١١٠].

٦٤ \_\_\_\_\_ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١١٧].

٣٤ \_\_\_\_\_

### الأنعام

٣٤ \_\_\_\_\_ ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١٤].

٣٤ \_\_\_\_\_ ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَابْتِغُوا عِنْدَهُ ثَمَرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ مُقْسِمٍ﴾ [١٤].

٧٥ \_\_\_\_\_ ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [٧٥].

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ

إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦١﴾ [١٦٣ - ١٦٤].

٩٣

### الأعراف

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [١٠٧].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [١٧٢].

﴿الَّتِ بَرَّبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ...﴾ [١٧٢].

٦٤

٩٠

٩٠

### الأنفال

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [١٧].

٧٩

### التوبة

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٤].

﴿يُظَاهِرُهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [٣٣].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [٧١].

١٨

١٠٨

٢٩

### يونس

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [٦٣].

١١٤ - ٨٣ - ٥٩

٨٣

### هود

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [١٢].

١٠٧

## يوسف

- ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [٣١]. \_\_\_\_\_ ٥٤
- ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [٥٠]. \_\_\_\_\_ ٥٤
- ﴿فَاطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [١٠١]. \_\_\_\_\_ ٧٠
- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [١٠٦]. \_\_\_\_\_ ٨٣

## الرعد

- ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [٧]. \_\_\_\_\_ ١٠٧ - ٧١
- ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [١١]. \_\_\_\_\_ ٣٤
- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [١٧]. \_\_\_\_\_ ٤٠
- ﴿أَقَمْنُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [٣٣]. \_\_\_\_\_ ٣٥

## إبراهيم

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [٤]. \_\_\_\_\_ ٩١
- ﴿فَاطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١٤]. \_\_\_\_\_ ٣٧
- ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [٣٤]. \_\_\_\_\_ ٨٩

## الحجر

- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [٢١]. \_\_\_\_\_ ٨٣
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [٢٩]. \_\_\_\_\_ ٥٩
- ﴿وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [٢٩]. \_\_\_\_\_ ١١٩ - ٥٩

## النحل

- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [٩٦]. \_\_\_\_\_ ٧٠



## الإسراء

- ﴿كَلَّا نُمَدِّهُوْلَاءٌ وَهَوْلَاءٌ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠]. \_\_\_\_\_ ٤٠
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ [١١١]. \_\_\_\_\_ ٧٣ - ٣٠

## الكهف

- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [٢٨]. \_\_\_\_\_ ٦٧
- ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [٤٤]. \_\_\_\_\_ ٩٠
- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [٦٥ - ٦٨]. \_\_\_\_\_ ١٠٥
- ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [١١٠]. \_\_\_\_\_ ١٠٩

## مريم

- ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [٥٢]. \_\_\_\_\_ ٤١

## طه

- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [١١٢]. \_\_\_\_\_ ٤٤

## الأنبياء

- ﴿وَسَجَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ... وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [٧٩ - ٨١]. \_\_\_\_\_ ٦٤

## الحج

- ﴿الْمَلِكُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ﴾ [٥٦]. \_\_\_\_\_ ٧٧

## المؤمنون

﴿فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [١٠١]. \_\_\_\_\_ ٧٧

## الروم

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٧٠]. \_\_\_\_\_ ٧٤

## فاطر

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [١٥]. \_\_\_\_\_ ٤٢ - ١٧

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [٢٤]. \_\_\_\_\_ ١٠٧ - ١٧

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [٤١]. \_\_\_\_\_ ٧١ - ١٧

## ص

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [٢٦]. \_\_\_\_\_ ١٠٧

﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [٧٢]. \_\_\_\_\_ ١٨

## الزمر

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٢]. \_\_\_\_\_ ٩٣

## غافر

﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦]. \_\_\_\_\_ ٧٤

## فصلت

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [٥٤]. \_\_\_\_\_ ٣٤

## الشورى

- ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [٩]. \_\_\_\_\_ ٣٢
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١١]. \_\_\_\_\_ ١٨٩
- ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٢٨]. \_\_\_\_\_ ١٢٥ - ١٢٢ - ٧٠ - ٦٣ - ٣٣ - ١٥
- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [٥١]. \_\_\_\_\_ ١٠٩ - ١٠٧

## الجاثية

- ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [١٩]. \_\_\_\_\_ ٣٠

## محمّد

- ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ [٣٥]. \_\_\_\_\_ ٣٤

## الفتح

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [١٠]. \_\_\_\_\_ ٧٩

## الحجرات

- ﴿وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ افْتَتَلَا﴾ [٩]. \_\_\_\_\_ ٤٤
- ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [١٣]. \_\_\_\_\_ ١٨

## ق

- ﴿وَيَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [١٦]. \_\_\_\_\_ ٣٨

## القمر

- ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩]. \_\_\_\_\_ ٩١
- ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٠]. \_\_\_\_\_ ٥٠

## الحديد

- ﴿ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَمَا كُنتُمْ ﴾ [٤]. \_\_\_\_\_ ١١٨ - ٧٤ - ٣٩ - ٣٨ - ٣٥ - ٣٤

## المتحنة

- ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [١]. \_\_\_\_\_ ٥٧

## التغابن

- ﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَالتُّوْرَ الَّذِيْ اَنْزَلْنَا ﴾ [٨]. \_\_\_\_\_ ٢٤

## المزمل

- ﴿ وَتَبَلَّ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [٨]. \_\_\_\_\_ ٦٧

## الإنسان

- ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ [١]. \_\_\_\_\_ ٥٥
- ﴿ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [٩]. \_\_\_\_\_ ٥٥

## عبس

- ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُ الْمَرْءُ مِنْ أُخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [٣٦ - ٣٤]. \_\_\_\_\_ ٧١

## المطففين

﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبٌ﴾ [١٥]. \_\_\_\_\_ ٧٩

### الفجر

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَاَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [٢٩ و ٣٠]. \_\_\_\_\_ ٧٠

### الشرح

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٥]. \_\_\_\_\_ ٨٢

### التين

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [٥]. \_\_\_\_\_ ٨٢

## التكاثر

﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [١ - ٨]. \_\_\_\_\_ ٦٧



## فهرس الروايات

- آدم في السماء الأولى، ويحيى وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة. \_\_\_\_\_ ١١٧
- آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة. \_\_\_\_\_ ٩١ - ١١١
- أدنى معرفة الإمام أنه عدل النبيّ إلا درجة النبوة، ووارثه، وأن طاعته طاعة الله وطاعة رسوله \_\_\_\_\_ ١٠٥
- أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس. \_\_\_\_\_ ١١٦
- أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة. \_\_\_\_\_ ١٠٤
- استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. \_\_\_\_\_ ٢٣ - ١٢٥
- استوى مع كل شيء. \_\_\_\_\_ ١٦
- استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب. \_\_\_\_\_ ٣٧
- أعلم من الأنبياء، عليهم السلام. \_\_\_\_\_ ١٠٥
- ألا إنني أخور رسول الله، وصديقه الأول، وآدم بين الروح والجسد. وقال صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب. \_\_\_\_\_ ٩٧
- الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق. \_\_\_\_\_ ١٠٧
- إن الصورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صورة العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجّة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار. \_\_\_\_\_ ٩٨

٤٥ أن تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر.

١٠٥ إنَّ لله عزَّ وجلَّ عبادةً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله.

١١٢ أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً.

٩٣ أنا سيّد الناس يوم القيامة.

١٠٤ أنا عبد من عبيد محمّد، صلّى الله عليه وآله.

أنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله... وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة. ونحن حجّة الله في عباده، وشهداؤه على خلقه، وأمناؤه على وحيه، وخزّانه على علمه، ووجهه الذي يُؤتى منه، وعينه في بريّته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدلّ عليه. — ٦٢

١١٣ أنا كالشمس، وعليّ كالقمر، وأهل بيتي كالنجوم.

٩٧ - ٩٤ - ٢١ أنا وعليّ من نور واحد.

١٠٤ إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنّك لست بنبيّ.

إنه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أحبته، وإن سألتني أعطيتته. — ٦٢

٣٢ أول الدين معرفته.

٩٢ أول ما خلق الله العقل.

٩٢ أول ما خلق الله القلم.

١١١ - ٩٢ أول ما خلق الله روعي.



أول ما خلق الله نوري. \_\_\_\_\_ ٩٢ - ١١١

أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد. \_\_\_\_\_ ٢٣ - ١٢٨ - ١٢٩

أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري. \_\_\_\_\_ ٨٤ - ١١٤ - ١١٦

أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه. \_\_\_\_\_ ١٠٨

بعث علياً مع كل نبي سرّاً ومعني جهراً. \_\_\_\_\_ ٩٧

بنا يختم الله كما فتح الله. \_\_\_\_\_ ٨٩

بي يسمع وبني يبصر وبني يمشي وبني يبطن. \_\_\_\_\_ ٧٥

تخلّقوا بأخلاق الله. \_\_\_\_\_ ٥٠ - ٧٥

تعلّمت من رسول الله ألف باب من العلم، ففتح لي بكلّ باب ألف باب. \_\_\_\_\_ ١٠٤

حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة. \_\_\_\_\_ ٢٠ - ٨٧ - ٩١ - ١٠١

ختم النبيّ، صلّى الله عليه وآله، مائة [مئة] ألف نبي وأربعة آلاف وعشرين ألف نبيّ. وختمت أنا مائة [مئة] ألف وصيّ وأربعة آلاف وعشرين ألف وصيّ. \_\_\_\_\_ ١٢٠

خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام. \_\_\_\_\_ ١١١

خلق الله روعي وروح عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، قبل أن يخلق الخلق بألفي عام. \_\_\_\_\_ ٩٧ - ١١١

ربّ أرني الأشياء كما هي. \_\_\_\_\_ ٧٥

صلّوا كما رأيتموني أصلي. \_\_\_\_\_ ٧١

عبيدي أطعني حتى أجعلك مثلي أقول لكل شيء كن فيكون. ١٨ - ٦١

علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل. ١٠٥

عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ ، فقال: يا أبا خالد، النور - والله - الأئمة من آل محمد، صلى الله عليه وآله، إلى يوم القيامة، وهم نور الله الذي أنزل، وهم - والله - نور الله في السماوات والأرض، - والله يا أبا خالد - لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله تعالى نورهم عن من يشاء، فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد، لا يحبنا عبد ولا يتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا، ويكون سلماً لنا: فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وأمنه من فزع يوم القيامة الأكبر. ٢٤ - ١٣٢

فلما أحدث الأشياء، وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور. ٣٢

قال علي بن الحسين، عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله، صلى الله عليه وآله، قال: يا عباد الله أن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح فقال يا رب ما هذه الأنوار؟ فقال عزّ وجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهره، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي، فقال الله عزّ وجلّ: انظر يا آدم إلى ذروة العرش. فنظر آدم، عليه السلام، ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ قال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلّقتي وبرياتي هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالتي شققت له اسماً من اسمي. وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي. وهذه فاطمة وأنا فاطم السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عما يعيرهم ويشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي. وهذا الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي. هؤلاء خيار خلّقتي وكرام بريّتي بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسّل بهم إليّ. يا آدم دهتك داعية فاجعلهم إليّ شفعاءك فإنّي آليت على نفسي قسماً حقاً إلا أخيب بهم أملاً ولا أرد بهم سائلاً فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتّيب عليه وغفرت له. ٩٦

قال لي أبو جعفر: يا جابر، إنّ الله أوّل ما خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباحاً نوريّة

بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور؛ أبداناً نوريةً بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحد، وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصوم، والسجود، والتسبيح، والتهليل، ويصلون الصلاة، ويصومون ويحجون. — ٢٤ - ١٣٣

قالوا: يا رسول الله، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال صلى الله عليه وآله: الذين إذا نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فاهتموا بأجلها حيث اهتم الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن يتركوه، فما عرض لهم عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه، خلقت الدنيا عندهم فما يجدونها وخربت بينهم فما يعمرونها، وحلت في صدورهم فما يحبونها، بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثالثات فما يرون أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون. — ٢٠ - ٨٣

قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمان والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه. — ٢٧

قلعت باب خبير بقوة ربانية. — ١٧

قيل: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: قبل أن يخلق الله آدم وينفخ الروح فيه، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، قالت الأرواح: بلى، قال الله تعالى: أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم. — ٩٧

كنّا عند ربنا، ليس عنده أحد غيرنا، في ظلّة خضراء، نسبّحه وتقدّسه. — ٩٦

كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف. — ٣١ - ١٢٢

كنت نبياً وادم بين الماء والطين. — ٢٠ - ٨٧ - ٨٩ - ٩١ - ١٠١ - ١١١

كيف لا نكون أفضل من الملائكة! وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه! — ٩٦

لا اله إلا الله حصني. — ٥٩

لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك فتقها ورتقها بيدك. \_\_\_\_\_ ١١٤

لا نبىّ بعدي. \_\_\_\_\_ ١١١ - ٨٩

لم يبعث الله نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، ثم تلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾ . ٩٢ -

لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور. \_\_\_\_\_ ١٢٣ - ٣١

لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني. \_\_\_\_\_ ٩٣

لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمّي أمير المؤمنين وأدم بين الروح والجسد. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ قال تبارك وتعالى: أنا ربّكم، ومحمد نبىّكم، وعليّ أميركم. \_\_\_\_\_ ٩٧

لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها. \_\_\_\_\_ ١٠٧

ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود. \_\_\_\_\_ ٣١

ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله. \_\_\_\_\_ ٧٥

ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالفرائض حتى أحبّه، فإذا أحببته صار سمعي. \_\_\_\_\_ ٦٢

مُتَّل لي النبيّون. \_\_\_\_\_ ١١٦

مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة. \_\_\_\_\_ ٣٥ - ١٥

نحن أسماء الله. \_\_\_\_\_ ١٢٤

نحن باب الله. \_\_\_\_\_ ١٢٤

نحن وجه الله. \_\_\_\_\_ ١٢٤

نور لا ظلمة فيه، وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه. \_\_\_\_\_ ٣١

نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير. \_\_\_\_\_ ٩٢

والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون. \_\_\_\_\_ ١٠٤

والله ما قلعت باب خبير ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكنني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة. \_\_\_\_\_ ٦٤

وإن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محدقين حتى من علينا بكم. \_\_\_\_\_ ٢٥ - ١٣٣

وأنته شيء بحقيقة الشئية. \_\_\_\_\_ ٦٠

ولايتنا ولاية الله تعالى. \_\_\_\_\_ ٩٦ - ١٠٠

ولم يكن الجليل واللطيف والثقل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء. \_\_\_\_\_ ٣٧

ولو ذهب في هذا بحسب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة على أن خالق النملة هو فاطر النحلة. ١٥-

يا أبا عبد الله، كيف كنتم حيث كنتم في الأظلمة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في أظلمة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله، ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق الكان والمكان، فخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً فلم يزا إلا أوليين إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزا إلا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب. \_\_\_\_\_ ٢٤ - ١٣٢

يا بن آدم، أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني فيما أمرتك، أجعلك تقول للشئ كن فيكون. — ١١٣

يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك. \_\_\_\_\_ ٤٥

يا من دلّ على ذاته بذاته. \_\_\_\_\_ ٩٤

عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني، فأجريت اختلاف السبعة، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم يزل متفردًا بوحدانيته، ثم خلق محمدًا وعليًا وفاطمة، فمكثوا ألف عام ومن ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثم قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد. \_\_\_\_\_ ٢٤ - ١٣٢



